مَوسُوعة النَابُلسي للعُلوم الإسلَاميّة

ندوات الإعجاز العلمي

www.nabulsi.com info@nabulsi.com

الحلقة 01 – 30 : مقدمة 1

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة :

المذيع :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، والصلاة والسلام على رسولنا الكريم ﷺ .

أخوة الإيمان والإسلام ؛ ندعوكم معنا في مثل هذه الحلقات للتفكر والتأمل في خلق السموات والأرض ، نتلمس عظمة الخالق عز وجل ، لقد بدأ هذا الدين برجل واحد ، فأصبح أمة ، فكان لا بد من إعجاز وقدرة إلهية ، وقدرة على الإقناع .

أيها الأخوة ؛ من خلال هذه الحلقات التي تدور حول الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة نتناول في كل لقاء آية من آيات الله عز وجل ، نرى بين أيدينا كتاباً مؤلفه معنا نحاوره ويحاورنا ، الكتاب تحت عنوان : " الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة " أما المحاور فهو فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، أستاذ محاضر في كلية التربية بجامعة دمشق ، خطيب ومدرس ديني في جوامع دمشق ، أهلاً وسهلاً بك .

بداية فضيلة الدكتور ، نريد أن نعرّف بهذه المادة التي سنتناولها من خلال هذه اللقاءات .

تسخير الكون للإنسان تسخير تعريف و تكريم :

الدكتور راتب :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين . الله عز وجل خلق هذا الكون ، وسخره للإنسان تسخير تعريف وتكريم ، ردّ فعل التعريف أن نؤمن ، وردّ فعل التكريم أن نشكر ، فالإنسان حينما يؤمن وحينما يشكر يحقق سرّ وجوده في الحياة ، بدليل أن الله عز وجل يقول:

﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ ﴾

[سورة النساء : 147]

إنكم حينما تحققون علة وجودكم من أجل أن تعرفوا الله ، وتعبدوه ، وتسعدوا بعبادته في الدنيا والآخرة ، ذلك أن من أدق تعريفات العبادة أنها طاعة طوعية ، ممزوجة بمحبة قلبية ، أساسها معرفة يقينية ، تفضي إلى سعادة أبدية ، ففي هذا التعريف الدقيق جانب معرفي هو السبب ، وجانب سلوكي هو الأصل ، وجانب جمالي هو الثمرة ، فالله عز وجل خلقنا ليسعدنا ، على خلاف ما يتوهم بعض الجهلة ، بدليل قول الله تعالى :

﴿ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾

[سورة هود :119]

المدرسة حينما تؤسس من أجل أن تخرج قادة للأمة ، الطالب حينما يقصر يعاقب ، فإذا توهم هذا الطالب المقصر أن هذه المؤسسة التربوية الضخمة أنشئت لتعذيب الطلاب فهو جاهل جهلاً فاضحاً ، فالله عز وجل خلقنا ليسعدنا ، سعادتنا اللامتناهية تحتاج إلى معرفة ، والمعرفة من لوازمها الطاعة .

إنك حينما توقن أن الذي أمر أمره يطولك ، وقدرته تطولك ، فلا بد من أن تطيعه ، الكون مظهر لأسماء الله الحسنى ، وتجسيد لهذه الأسماء ، والصفات العلا ، الله عز وجل لا تدركه الأبصار ، ولكن كل شيء في الكون ينطق بوجوده ووحدانيته وكماله . والله عز وجل حينما خلق الإنسان جعله مكرماً ، قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾

[سورة الإسراء : 70]

هذه الآية تبيّن تكريم الإنسان ، وفي آية أخرى تبيّن تكليفه :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

[سورة الذاريات: 56]

وفي آية ثالثة تبيّن أنه المخلوق الأول رتبة ، بدليل قوله تعالى :

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ﴾

[سورة الأحزاب: 72]

فهو المخلوق الأول رتبة ، لأنه قبِل حمل الأمانة ، والأمانة نفسه التي بين جنبيه:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا *وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾

[سورة الشمس: 9-10]

أي يفلح هذا الإنسان ، وينجح ، ويسعد إلى أبد الآبدين حينما يزكي نفسه ، أي يعرّفها بربها ، ويحملها على طاعته ، هذا هو الامتحان ، لكن الله جلّ جلاله ما كلفنا حمل الأمانة إلا بعد أن أعطانا مقوماتها .

والحقيقة أنّ هذا الموضوع هو تمهيد شديد الصلة بمحور هذه الحلقات القادمة إن شاء الله تعالى ، ما كلفنا حمل الأمانة إلا بعد أن أعطانا مقوماتها .

أول مقوم من مقومات حمل الأمانة هذا الكون الذي ينطق بوجود الله ووحدانيته وكماله .

المذيع :

ما دمنا فضيلة الدكتور نتحدث عن طاعة المخلوق ، فهل التعرف إلى الله سبحانه وتعالى من خلال آياته الكونية والقرآنية تعطي دافعًا للمؤمن والمسلم على طاعة الله عز وجل واتباع سنة نبيه ﷺ ؟

من آمن بالله و طلب الحقيقة سعد في الدنيا و الآخرة :

الدكتور راتب :

حينما نقول هذه المقولة الأساسية : أنت حينما تعرف الآمر ، وتعرف الأمر تتفانى في طاعة الآمر ، أما حينما لا تعرف الآمر ، وتعرف الأمر فتتفنن في التفلت من هذا الأمر ، فحلقة اليوم محورها : " كيف نعرف الآمر ؟ "، فالله عز وجل حينما كلفنا أن نعرفه ، وحينما كلفنا أن نطيعه ، من أجل أن نقطف ثمار هذه الطاعة سعادة وسلامة في الدنيا والآخرة، كيف نعرفه ؟ هذا الكون مظهر لأسمائه الحسنى ، وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد .

إلا أن الإنسان ما لم يتخذ قراراً أوّلياً لطلب الحقيقة ، ولو كان في أكبر محطة فضاء في الأرض لا يؤمن بالله ، ولو كان في أضخم مجهر إلكتروني وهو يرى الخلية لا يؤمن بالله ، لكن يؤمن بالله إذا اتخذ قراراً أوّلياً بطلب الحقيقة ، الإنسان هو المخلوق المتميز عن بقية المخلوقات بقوة إدراكية ، فإن لم يطلب الحقيقة ، ولم يبحث عنها هبط من مستوى إنسانيته إلى مستوى آخر لا يليق به .

المذيع :

قد يقول البعض : إن الإعجاز لا بد منه للإقناع ، ولكن قد يذكر البعض أننا لسنا بحاجة للإعجاز ، بل هو فقط للعوام ، ولكن الخواص لهم إعجاز آخر ، وهم يطيعون من دون إعجاز ، ومن دون هذا الإقناع .

تمسك المؤمن بدينه وثوابته ومبادئه :

الدكتور راتب :

كلام طيب ، الإنسان حينما يعبد الله من دون أدلة قوية جداً يعبد الله بفطرته ، الفطرة السليمة تدعونا إلى أن نعبد الله ، بل إن الإنسان لا يجد نفسه إلا إذا عبد الله ، الإنسان لا يحقق توازنه ، ولا يستريح إلا إذا عبد الله ، لكن هذه العبادة التي لا تدعم بأدلة قوية جداً عبادة هشّة ، لا تقاوم ضغطاً شديداً ، ولا إغراءً شديداً ، فلعله في عصور سابقة الفتن نائمة ، والشهوات مستعرة ، فيمكن أن نكتفي بعبادته فكرياً ، أما الآن فالضلالات لا تعد ولا تحصى، والشبهات على الأديان لا تعد ولا تحصى ، والمصالح صارخة ، وكل شيء يدعو إلى المعصية، في مثل هذا الجو الصعب جداً لا بد من أدلة قوية تقوي مناعتنا ومقاومتنا للضغوط والشهوات .

فالمؤمن الصادق لا يتحول عن منهجه ، لا تحت سياط الجلادين اللاذعة ، ولا أمام بريق سبائك الذهب اللامعة، هو مؤمن ، متمسك بدينه وثوابته ومبادئه ، كما قال الله عز وجل :

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾

[سورة الأحزاب: 23]

مقوِّمات التكليف :

1 . الكون :

أول مقوِّمٍ من مقوِّمات حمل الأمانة هذا الكون ، لكنه يحتاج إلى عقل ، وأداة معرفة ، ومن بديع خَلْقِ الله عز وجل أن هذا الكون صمم وفق نواميس ، أحدها السببية ، فما من شيء في الأرض إلا وله سبب ، من أجل أن يقودنا مبدأ السببية إلى مسبب الأسباب ، لو تصورنا أن هذا الكون نظامه بلا مبدأ السببية نجد الشيء بلا زراعة، نجد الماء بلا حفر بئر ، لتوهمنا أن هذا الكون بلا خالق ، لأن الله صمم هذا الكون وفق نظام السببية ، فنظام السببية نفسه يقود إلى معرفة الله عز وجل .

2 . العقل :

والعقل من أبرز مبادئه السببية والغائية وعدم التناقض ، فكل شيء له سبب ، وله غاية ، ولا يقبل العقل البشري أن يكون إنسان في دمشق وفي بيروت في وقت واحد ، نظام العقل البشري متوافق مع نظام الكون ، فكما أن الله عز وجل جعل هذا الكون مظهراً لأسمائه الحسنى وصفاته الفضلى جعل مبادئ العقل متوافقة مع نظام الكون ، فالمقوِّم الثاني هو العقل ، وتكاد تكون آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن العقل تقترب من ألف آية ، وأسوق هذه القصة التي وردت في صحيح البخاري ، فعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ :

((بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرِيَّةً ، فَاسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ ، فَغَضِبَ ، فَقَالَ : أَلَيْسَ أَمَرَكُمْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تُطِيعُونِي ؟ قَالُوا : بَلَى ، قَالَ : فَاجْمَعُوا لِي حَطَبًا ، فَجَمَعُوا ، فَقَالَ: أَوْقِدُوا نَارًا ، فَأَوْقَدُوهَا ، فَقَالَ : ادْخُلُوهَا ، فَهَمُّوا ، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يُمْسِكُ بَعْضًا ، وَيَقُولُونَ : فَرَرْنَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ النَّارِ ، فَمَا زَالُوا حَتَّى خَمَدَتِ النَّارُ ، فَسَكَنَ غَضَبُهُ ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ))

[البخاري عَنْ عَلِيٍّ]

في منهج الإسلام العظيم العقل لا يعطّل أبداً .

الآن : أعطانا كوناً ينطق بعظمته ، ووحدانيته ، وبعلمه ، وبرحمته ، وبلطفه ، كل أسماء الله الحسنى مجسدة في الكون ، ولكن علينا أن نبحث عنها ، وإن شاء الله تكون الحلقات القادمة حول هذا المحور .

3 . الفطرة :

ثم إن الله سبحانه وتعالى أعطانا فطرة ، العقل مقياس علمي ، لكن الفطرة مقياس نفسي ، نكشف به أخطاءنا ، الإنسان حينما يخطئ ، وحينما يخرج عن جبلته ومبادئ فطرته ، وعن إنسانيته يتألم أشد الألم ، سمّي هذا كآبة أو شعوراً بالذنب أو بالنقص ، إنه ألمٌ نفسي ، هذه الفطرة ، والدليل على وجود الفطرة الآية الكريمة :

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾

[سورة الشمس: 7-8]

أي أنه ألهمها أنها حينما تفجر أنها تفجر ، والعياذ بالله لا يمكن أن تفهم الآية كما يفهمها بعض الجهلة ، أن الله خلق فيها الفجور ، لكن الآية تعني أن برمجة هذه النفس في مستوى رفيع جداً ، حيث لو أخطأت تتنبأ أنها أخطأت ، كيف أن بعض الآلات الحديثة جداً يصيبها خلل يظهر على الشاشة موضعُ الخلل ، كذلك النفس

الإنسانية حينما تفجر تعرف أنها فجرت ، وحينما تتقي تعرف أنها اتقت ، هذه الفطرة ميزان نفسي ، فأنا بالعقل أتعرّف إلى الله ، وبالفطرة أكشف خطئي .

إنسان لو كان بجزيرة نائية لم تصل إليه رسالة إطلاقاً ، لو أنه فعل شيئاً قبيحاً تنكره الأديان كلها لعرف أنه فعل قبيحاً بشكل ذاتي فطري ، فأول مقوِم الكون ، والحديث عنه في الحلقات القادمة إن شاء الله ، وثاني مقوِم العقل بمبادئه الثلاثة ، السببية ، والغائية ، وعدم التناقض ، والمقوم الثالث الفطرة السليمة .

4 . الشهوة :

الآن الإنسان من دون شهوة كتلة جامدة ، لولا أن الله أودع فينا الشهوات لما رأيت شيئاً على وجه الأرض ، الحركة تحتاج إلى دافع ، فالدافع للطعام والشراب يحتاج إلى أن تتعلم ، وتكسب وظيفة تعيش منها ، الدافع للطعام والشراب يدفعك لتكون تاجراً ، أو صناعياً ، أو طبيباً ، أو مهندساً معمارياً ، أو بائعاً ، فالحاجة الأولى في الإنسان هي الطعام والشراب ، هي حاجة لحفظ الفرد ، والحاجة الثانية هي الحاجة للطرف الآخر ، حاجة الجنس ، هذه حاجة لحفظ النوع ، والحاجة الثالثة لخلود الذكر ، وهي تأكيد الذات ، الإنسان يبدأ فيأكل ، ثم يتزوج ، ثم يحب أن يؤكد للناس أنه متفوق ، هذه الدوافع الثلاثة جاءت بشكل آخر في القرآن الكريم ، قال تعالى:

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾

[سورة آل عمران: 14]

فهذه الشهوات أودعها الله فينا لتكون قوة دافعة ، لكنها حيادية ، بمعنى أنك إن وظفتها وفق منهج الله كانت قوة دافعة نافعة ، أما إذا وظفتها في الشر فستكون قوة مدمرة ، أرأيت إلى البترول السائل – البنزين – إذا وضع في مستودعات محكمة ، وسار في الأنابيب المحكمة ، وانفجر في الوقت المناسب ، وفي المكان المناسب ولّد حركة نافعة ، نقلتك إلى مكان جميل أنت وأهلك ، أما إذا وضع هذا السائل المتفجر على المركبة ، وأصابها عود ثقاب أحرق المركبة ومن فيها ، والمادة هيَ هِيَ ، فالشهوات حيادية ، وهي سلّم نرقى بها إلى أعلى عليين ، أو نهوي بها إلى أسفل سافلين ، أدق كلمة في الشهوات أنها حيادية ، المال يوظف في الخير والشر ، والمرأة توظف في الخير زوجة ، في الشر زنا ، وما من شهوة أودعها الله في الإنسان – وهذه حقيقة دقيقة – إلا وجعل لها قناة نظيفة تسري خلالها .

الشهوات قوى محركة ، أو قوى مدمرة ، لأن الإنسان مخير فكل خصائصه وحظوظه حيادية ، لو أن إنساناً سأل: هل المال نعمة ؟ ليس نعمة ! نقمة ؟ ليس نقمة ! المال قيمة موقوفة على طريقة توظيفه ، إن وظفته في الخير كان سبباً إلى أعلى مقامات الجنة ، وإن وظف في الشر كان سبباً لبلوغ أسفل دركات النار . المال ، والمرأة ، والعلو في الأرض هذه كلها قيم حيادية . لذلك يوجد ملمح لطيف في قوله تعالى :

﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴾

[سورة الفجر: 15-16]

جاء الردع :

﴿ كَلَّا ﴾

ليس عطائي إكراماً ، ولا منعي حرماناً ، عطائي ابتلاء، وحرماني دواء ، فالشهوات يمكن أن نرقى بها ، ويمكن أن نهوي بها ، فصار الكون والعقل والفطرة والشهوة من مقومات التكليف .

5 . حرية الاختيار :

بقي من المقوِّمات حرية الاختيار ، لولا أن الإنسان مخير لما كان لعمله قيمة ، لو أن الله عز وجل أجبر عباده على الطاعة لبطل الثواب ، ولو أجبرهم على المعصية لبطل العقاب ، ولو تركهم هملاً لكان عجزاً في القدرة ، إن الله أمر عباده تخييراً ، ونهاهم تحذيراً ، وكلف يسيراً ، ولم يكلف عسيراً ، وأعطى على القليل كثيراً . يروى أن رجلاً شارب خمر جيء به إلى سيدنا عمر ليقام عليه الحد ، فقال : " والله يا أمير المؤمنين ، إن الله قدّر عليّ ذلك – أجبره على أن يشرب الخمر – فقال : أقيموا عليه الحد مرتين ، مرة لأنه شرب الخمر ، ومرة لأنه افترى على الله ، قال : ويحك يا هذا إن قضاء الله لم يخرجك من الاختيار إلى الاضطرار " . وفي أيّ ثانية نعتقد أن الإنسان مجبر ومسير في كل شيء نكون قد ألغينا الثواب والعقاب ، والجنة والنار ، والتكليف والمسؤولية ، ولأوقعنا أنفسنا في عقيدة فاسدة تشف أن هناك مهزلة في الكون ، هل تصدق أن مدير مؤسسة يريد وظيفة فيجري مسابقة يتقدم إليها الآلاف وفي ذهنه واحد سيعيّنه في النهاية ؟ هذه تمثيلية سمجة ، فالإنسان مخير :

﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً ﴾

[سورة الإنسان : 3]

﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾

[سورة البقرة: 148]

﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾

[سورة الأنعام : 148]

هذه الآية أصل في أن الإنسان مخيّر ، لكن حينما نتوهم أن هذه الآية تعني أنه مسيّر فقد قال العلماء : الآيات المتشابهة مهما كثرت تُحمَل على الآيات المحكمة مهما قَلَّتْ ، فإذا قرأنا آية :

﴿ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ ﴾

قال العلماء : هذا الإضلال الجزائي مبني على ضلال اختياري ، وما من مثل يوضح هذه الآية كطالبٍ لم يتقدم إلى الامتحان ، ولم يداوم ولا ساعة ، وجاءه إنذار أول ، وثانٍ ، وثالث ، ولم يستجب ، فصدر قرار بطرده من الجامعة ، هذا القرار تجسيد لرغبته بترك الدراسة ، فإذا قرأنا آية يُشَمّ منها رائحة الجبر فهو الإضلال الجزائي المبني على ضلال اختياري ، كقوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾

[سورة الصف: 5]

6 . المنهج :

الكون والعقل والفطرة والشهوة والاختيار مقوّمات التكليف ، بقي شيء واحد هو المنهج ، فضلاً عن أن العقل أداة معرفة الله ، وعن أن الفطرة تكشف لك خطأك ، وأن الشهوات قوى دافعة أو مدمرة ، أعطاك منهجًا ، افعل ولا تفعل ، هذا المنهج هو هذا الكتاب الذي أنزله الله على نبيه الكريم ، وكذلك الكتب السماوية التي نزلت على أنبياء الله الكرام .

خاتمة و توديع :

المذيع :

اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً وكرماً ، يا أرحم الراحمين .

فضيلة الدكتور إن شاء الله نبدأ في الحلقات القادمة الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة ، قال الله تعالى :

﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

[سورة آل عمران : الآية 191]

إذاً أيها الأخوة والأخوات ؛ إلى حلقة قادمة بإذن الله تعالى من هذا البرنامج : " الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة " أستودعكم الله ، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

والحمد لله رب العالمين

الحلقة 02 – 30 : مقدمة2

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة :

المذيع :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، والصلاة والسلام على رسولنا الكريم ، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا، يا أرحم الراحمين .

أخوة الإيمان والإسلام ، في هذه الحلقة من برنامج : " الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة " معنا فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، أستاذ محاضر في كلية التربية بجامعة دمشق ، خطيب ، ومدرس ديني في جوامع دمشق ، أهلاً وسهلاً بكم مجدداً .

قال الله عز وجل في كتابه الكريم :

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾

[سورة فصلت : 53]

سنفصل إن شاء الله في هذه الحلقة عن الإعجاز العلمي تفسيراً وتعريفاً للمستمعين ، وكنا قد فصّلنا ، ولكن بشكل عام في الحلقة الماضية .

كمال الخَلق يدل على كمال التصرف :

الدكتور راتب :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين . الله جلّ جلاله خلق هذا الكون – كما قلت في اللقاء السابق – كمظهر لأسمائه الحسنى ، وصفاته الفضلى ، لكن هناك قاعدة رائعة من مسلَّمات العقل ، أن كمال الخَلق يدل على كمال التصرف ، فلا بد من التناسب بين التفوق الفكري وبين التفوق السلوكي ، فإذا ظهرت حكمة الله عز وجل وعلمه ورحمته في خَلقه ألا يقتضي هذا الكمال الإلهي الذي بدا صارخاً في خلقه أن يكون ما يقابله من كمال في إرشاد العباد إلى سرّ وجودهم وغاية وجودهم ؟ بشكل مبسط ، أنت أب مثالي ، رأيت ابنك يتجه نحو المدفأة ، وهي مشتعلة ، هل تبقى صامتاً ؟ ألا ينبغي أن تتحرك ، أو تقول كلمة ، أن تزجره ، وترشده ، لذلك الحقيقة المسلَّم بها أن كمال الخلق يدل على كمال التصرف ، مع أن الله سبحانه وتعالى أعطى عباده كل مقوِّمات إيمانهم ، وطاعتهم ، وسعادتهم ، لكنه تفضل عليهم برسالات الأنبياء ، والدليل :

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾

[سورة آل عمران: 164]

المن هو العطاء الزائد ، مثلاً : ابنك في مدرسة ، اخترت له أفضل مدرَسة ، وأفضل مدرِّسين ، وكل الوسائل مؤمَّنة في أعلى مستوى ، وفوق كل ذلك جعلت له أستاذاً خاصاً يأتيه إلى البيت ، فهذا الأستاذ الخاص ليس من حقه ، الوسائل الأساسية كافية لتفوقه ، ولكنك تفضلت عليه بوسيلة استثنائية ، فبعثة الأنبياء هي مَنٌّ مِنَ الله لعباده ، لكن العقل يدل على الله ، والفطرة تدل ، والكون يدل ، وكل شيء خلقه الله يدل عليه ، فمن كمال الخَلق لا بد من أن يكون منه كمال التصرف ، فمن هنا بدأت بعثة الأنبياء .

المذيع :

كمال الخلق لله عز وجل ، وهنا يجب على المؤمن والمسلم التصرف السليم ، مطلوب منه الكمال .

النبي بشر وتجري عليه كل خصائص البشر فهو قدوة لهم :

الدكتور راتب :

الله عز وجل لو جعل أنبياءه ملائكة لسقطت الحجة ، يا أخي ! أنت مَلَك وأنا بشر، أنا عندي شهوات ، لحكمة أرادها الله جعل أنبياءه ورسله من بني البشر ، ولولا أن النبي بشر يعاني ما يعانيه البشر ، وتجري عليه كل خصائص البشر لما كان سيد البشر ، ولما كان حجة أمامنا ، لو أن النبي مَلَك لا يشتهي ، لا يتألم ، لا يخاف ، كيف يكون قدوة لنا ؟ فلا بد من أن يكون هذا الرسول ، أو ذاك النبي من بني البشر ، يعاني ما يعانيه البشر .

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾

[سورة الكهف: 110]

المذيع :

هناك تميّز للنبي ﷺ .

اصطفاء الله عز وجل الأنبياء ثم منحهم الوحي و المعجزات :

الدكتور راتب :

لكن هذا التميّز مبني على التفوق ، والدليل :

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آَدَمَ وَنُوحاً وَآَلَ إِبْرَاهِيمَ وَآَلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾

[سورة آل عمران: 33]

في النبوة جانب كسبي ، وجانب وهبي ، ليس من المعقول أن تقول : النبوة كلها جانب وهبي ، إنسان عادي جداً يجعله الله نبياً بلا سبب ؟

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آَدَمَ وَنُوحاً وَآَلَ إِبْرَاهِيمَ وَآَلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾

[سورة آل عمران: 33]

فهناك جانب من النبوة كسبي ، الله عز وجل اصطفى أنبياءه من قمم البشر ، الآن بعد أن اصطفاهم منحهم الوحي ، والمعجزات ، والبيان ، والتذكر التام :

﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى ﴾

[سورة الأعلى: 6]

أعطاهم وسائل النبوة ، تماماً كما لو أنك أردت أن تضع سفيراً في أقوى دولة في العالم ، تحتاجه متفوقاً في اللغة الأجنبية ، في العلوم ، والآداب ، وعنده ذكاء اجتماعي ، وله شكل مقبول ، بعد أن تتوافر فيه الصفات الأساسية، طبعاً دراساته من كسبه ، تمنحه جواز سفر ، وحقيبة دبلوماسية ، وشيكًا مفتوحًا ، هذه كلها تأتي بعد الاختيار ، فكأن الله عز وجل اصطفى أنبياءه وهم قمم البشر ، ثم منحهم وسائل الدعوة إليه .

المذيع :

فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، نرى في معجزات كل نبي تميُّزًا ، وهناك تمايزاً في المعجزات ، هل هناك هدف من وراء ذلك ؟

الفرق بين المنهج الإلهي و الديانات الوضعية :

الدكتور راتب :

نعم ، سآتي إلى هذا الموضوع بعد قليل ، فالله عز وجل اختار الأنبياء من بني البشر ، لأن النبي يشعر كما يشعر البشر ، لكنه انتصر على بشريته ، نحن خلقنا جميعاً لنكون على شاكلة محمد ، لأنه بشر فيه كل صفات البشر ، لكنه انتصر على بشريته ، واستحق هذه المرتبة العليّة .

المشكلة الآن أن هذه الديانات الوضعية فيها ولاء فقط الآن ، وطقوس تؤدى بسهولة ، لذلك الأتباع بمئات الملايين ، لا يوجد جهد ، ولا ثمن ، يكفي أن أعلن ولائي لهذا الإله المزعوم ، وأن أمارس بعض الطقوس ، حركات ، وسكنات ، وتمتمات لا معنى لها ، هذه الطقوس ، أما في منهج الله عز وجل فهناك افعل ولا تفعل ، الفكرة دقيقة : الإنسان أودعت فيه الشهوات – كما قلت في الحلقة السابقة ، فهي تمهيد لكل الحلقات إن شاء الله – وهو مخيّر ، بإمكانه أن يمارس هذه الشهوة بمئة وثمانين درجة ، جاء المنهج الإلهي ، وسمح لك بثمانين درجة فقط ، المرأة زوجتك ، المال دخل حلال ، فالشهوات واسعة جداً ، وأنت حر ، لكن المنهج الإلهي أعطاك زاوية تستطيع من خلالها أن تمارس هذه الشهوة . أقوى دليلٍ على ذلك :

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ﴾

[سورة القصص: 50]

المعنى المخالف أنه لو اتبع هواه وفق هدى الله لا شيء عليه ، لو أن الإنسان اتبع هواه في حب المرأة ، فتزوج امرأة تحصنه من أن ينظر إلى غيرها ، فلا بأس في ذلك ، اشتهى المال ليأكل ويشرب هو وأولاده ، ليسكن في بيت ، فعمل في تجارة مشروعة إسلامية ، لا شيء عليه ، فالأنبياء حينما أرسلهم الله عز وجل معهم منهج ، معهم افعل ولا تفعل ، منهج الله يحدّ من شهوات المعرضين ، هذا الإنسان المعرض مصلحته في أن يمارس هذه

الشهوة بأوسع أبوابها ، فجاءه منهج يقول له : غضّ البصر ، دع الربا ، والغيبة ، والنميمة ، والتباهي بالآباء والأجداد ، فردُّ فعل هؤلاء الذين يتحركون أوسع زاوية في شهواتهم ، الموقف الطبيعي لهم أن يكذبوا هذا النبي . الله عز وجل أرسل أنبياء من بني البشر ، ومنحهم تفوقاً في كل شيء ، لكن معهم منهجاً ، هذا المنهج يقتضي أن يحد من شهوات الناس ، فرد فعل الغارقين في شهواتهم تجاه هذا المنهج أن يكذبوا الرسول ، كيف يثبت الرسول أنه رسول ؟ هنا موضوع الحلقات : كيف يثبت هذا الرسول الذي أرسله الله ، ومعه منهج لهؤلاء البشر الضالين الضائعين ، وقد كذبوه ، وادعوا أنه ساحر ، وكاهن ، ومجنون ، وشاعر ، وهو رسول في الحقيقة ، فكيف يثبت هذا الرسول لهؤلاء المعرضين الكافرين أنه رسول ؟

المذيع :

المعجزة كما ذكرنا سبب لعدم تكذيب النبي ﷺ ؟

المعجزة سبب لعدم تكذيب النبي الكريم :

الدكتور راتب :

هذا هو السبب ، أو كيف يشهد الله لهذا الإنسان أنه رسول ؟ إن شئت أن تقول: كيف يثبت هذا النبي الكريم لقومه الذين كذبوه أنه نبي أو رسول ؟ أو كيف يشهد الله لعباده أن هذا الذي أرسله هو نبي أو رسول ؟ لا بد من أن يؤيده بالمعجزات ، هنا بدأ محور هذه الحلقات المباركة إن شاء الله .

المعجزة خرق للنواميس وللقوانين وللعادات ، لا بد لإنجاب الولد من أب وأم ، فإذا جاء الولد من أب بلا أم ، أو من أم بلا أب ، أو من غير أب وأم فهذا خرق للنواميس ، المعجزة لا تقبلها العادات ، ولكن العقل يقبلها ، لماذا؟ لأن الذي قنن هذا القانون عدّله ، الذي نظّم هذا النظام بدّله ، فالمعجزة هي خرق للنواميس .

هناك ملمح لطيف جداً في هذا المجال ، وهو أن الله لحكمة أرادها جعل لكل شيء سبباً ، لكن الناس أحياناً يؤلّهون السبب ، ويعتمدون عليه ، ويستغنون عن رحمة الله ، فقد تأتي المعجزات أو خرق النواميس تذكيرًا للناس، من أن السبب لا يخلق النتيجة ، لكن الله يخلق النتيجة ، فأحياناً الأمطار لا تنزل ، مع أن المنطقة ساحلية والمنخفضات كثيرة جداً ، لكنها لا تمطر ، فحينما نعتمد على السبب ونؤلّهه فقد وقعنا في الشرك ، وهذا مرض الغربيين ، وحينما لا نأخذ به هذا مرض الشرقيين .

المذيع :

ولكن نريد أن نفرق دكتور بين العلم وأن نتبع العلم كما هو ، وطبعاً أن نتبع بشكل أعمى ، هنا نريد أن نفرق بهذه النقطة حتى لا نتجنى على العلم .

الدكتور راتب :

أنا حينما أرى زلزالاً ، هناك حقائق علمية وراء الزلزال ، هناك حركة باطنية في الأرض ، وطبقات انزاحت عن مكانها ، فسببت هذا الزلزال ، هذا التفسير العلمي الحقيقي الواقعي لا يتناقض مع التفسير الإلهي للزلزال ، فالله إذا أراد إهلاك قرية زلزل أرضها فرضاً ، فالله مسبِّب الأسباب ، لا أرى تناقضاً بين التفسير الإلهي التوحيدي للزلزال والتفسير العلمي ، لأن الله حينما يكرم يكرِم بسبب ، وحينما يهلك يهلِك بسبب ، إن أراد إهلاك قرية بالزلزال تتحرك الطبقات الباطنية ، وتصبح زلزالاً فتدمر القرية ، هل يتناقض التفسير العلمي مع التفسير التوحيدي – القرآن – ؟ لا يتناقض إطلاقاً .

المعجزة خرق للنواميس يقبلها العقل ولا تقبلها العادة :

لكن أريد أن أقول : هذه المعجزة خرق للنواميس ، يقبلها العقل ، ولا تقبلها العادة ، أنا أَلِفْتُ أن النار تحرق ، فإذا ألقي إنسان في النار ، ولم تحرقه النار فهذا خرق للنواميس ، الذي أعطى النار فاعلية الإحراق عطّل هذه

الفاعلية ، والآية الدقيقة جداً :

﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً﴾

[سورة الأنبياء : 69]

لو قال الله : كوني برداً لمات من البرد ، ولكنه قال :

﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً﴾

[سورة الأنبياء : 69]

لنجا ولتعطّل مفعول النار إلى لأبد ، ولكن خصص فقال :

﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾

[سورة الأنبياء : 69]

فالذي خلق القانون يعطله ، أو يغيره ، أو يبطله ، فالمعجزة في الأصل خرق للنواميس ، الأنبياء السابقون – ولحكمة أرادها الله عز وجل – كانت معجزاتهم حسية ، أي إنها كعود الثقاب ، يتألق مرة ، ويصبح خبراً يصدقه من يصدقه ، ويكذبه من يكذبه ، لكن لأن النبي عليه الصلاة والسلام آخر الأنبياء ، ورسالته خاتمة الرسالات ، وهو للعالمين قاطبة ، وهو رحمة للعالمين جميعاً ، رسالته لكل البشر ، فلا بد من أن تكون معجزته مستمرة ، معجزات الأنبياء السابقة هي معجزات حسية ، لأن لكل قوم هاد ، هذه المعجزة لهؤلاء القوم ، ولهم نبي ، أما معجزة النبي عليه الصلاة والسلام ، لأنه لكل البشر ، ولكل أهل الأرض فينبغي أن تكون متميزة ، من هنا كما تفضلت قبل قليل تميزت معجزة النبي عليه الصلاة والسلام عن بقية المعجزات بأنها مستمرة ، فكانت علمية ، ولم تكن حسية ، حسية تقع مرة واحدة ولن تقع بعدها ، تصبح خبراً يصدقه من يصدقه ، ويكذبه من يكذبه ، لكن معجزة النبي الكريم معجزة مستمرة باقية إلى أبد الآبدين ، أو نهاية الدوران ، لذلك هي معجزة علمية ، ففي هذا القرآن الكريم ألف وثلاثمئة آية تتحدث عن الكون ، وعن المجرات ، والشمس والقمر ، والليل والنهار ، وعن

الجبال ، وعن البحار والأنهار والأمطار ، والأسماك والأطيار ، تتحدث عن خلق الإنسان ، هذا الكم الكبير من آيات القرآن الكريم الشيء الذي لا يصدق أن النبي عليه الصلاة والسلام لم يشرحها أبداً ! لحكمة بالغة ، إما باجتهاد منه أقره عليه الوحي ، أو بوحي من الله ، لماذا ؟

المذيع :

العجيب فضيلة الدكتور أن الصحابة كانوا يسألون عن أشياء كثيرة ، إلا هذه الأشياء .

بحث الإنسان في الوقت الحالي عن الإعجاز على خلاف الصحابة الكرام :

الدكتور راتب :

يسألون عن أحكام العبادات ، لأنها هي التي تقربهم إلى الله عز وجل ، هم عاشوا مع النبي ، ومع الوحي ، عاشوا الإسلام بأقوى مظاهره ، لذلك هم بحاجة إلى طاعة الله عز وجل ، أما نحن فأصل الدين عندنا مهزوز ، ولا بد من أدلة قوية ، لذلك نبحث عن الإعجاز . فالنبي عليه الصلاة والسلام لو تصورنا أنه شرح هذه الآيات الألف والثلاثمئة بطريقة كما أراه الله آيات الكون .

﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾

[سورة النجم: 18]

لو شرحها شرحاً مبسطاً جداً يتناسب مع بيئات العصر ومعطيات العلم في وقت النبي الكريم لأنكرنا عليه ، الحكمة التي لا تصدق أنها تركت بلا شرح ، ليتحرك العلم ، ويكشف في كل وقت وزمن أسرار هذه الآيات ، وتلك المعجزات ، فكان هذا القرآن بحق معجزة النبي عليه الصلاة والسلام المستمرة .

ولكن لا بد من تعليق بسيط مثلاً : لو كان هناك إعجاز في أن الكمبيوتر في عصر سيدنا عيسى لا قيمة له ، لا بد من أن يكون الإعجاز في مجال تفوق به الكون ، تفوقوا في الطب لدرجة مذهلة ، فجاءت معجزة سيدنا عيسى إحياء الميت ، وهذا فوق مقدور الطب ، في عهد سيدنا موسى كان السحر عصا تصبح ثعباناً مبيناً ، هذا فوق عمل السحرة ! فيجب أن تكون المعجزة في موضوع تفوق فيه الكون ، وتحداهم الله به ، هذا الذي أريد أن أوضحه في موضوع المعجزات .

المذيع :

التميز ، طبعاً معجزات الأنبياء ، أو النبي بحسب كل قوم يأتون إليه ، فضيلة الدكتور ، ما دمنا في هذه الحلقات الأولى من البرنامج نريد أن تحدثنا عن تقسيم الموضوعات للحلقات القادمة ؟

اختصاص كل حلقة بموضوع متكامل يعطي الإنسان دفعة إيمانية :

الدكتور راتب :

الكون مصطلح علمي حديث ، يقابله في القرآن السموات والأرض ، وهو مصطلح قرآني يعني الكون ، فهذه المعجزات ، أو آيات الإعجاز العلمي للكتاب والسنة هي في حيز الكون كله ، فإذا بدأنا بالمجرات ، بالكازارات ، بالمذنبات ، بالمجموعة الشمسية ، بالشمس، بالقمر ، بالليل والنهار ، بالأرض ، بجبالها ، ببحارها ، وبحيراتها ، وأنهارها ، وأمطارها ، بصحاريها ، بحيواناتها ، بأسماكها ، بأطيارها ، بالإنسان ، بأجهزته ، وطبعه ، فالحقيقة أن موضوع الإعجاز يشمل كل هذه الموضوعات ، ونحن قد نأخذ بها بتسلسل ، أو بغير تسلسل ، العبرة أن كل موضوع يعد وحدة قائمة بذاته تدل على الله .

ملاحظة لطيفة : قد يسأل سائل لمَ لم يكن القرآن مبوباً على الأبواب ؟ باب الكون ، باب التشريع ، باب التاريخ، باب الجنة والنار ، إن كان كذلك فهو ليس كتاب هداية، هذا الترتيب ترتيب موضوعي ، لكن الترتيب ترتيب سيكولوجي ، هو أقرب إلى النفس البشرية ، فأنت في سورة واحدة تقرأ آية كونية ، وقصة من قصص الأقوام الغابرة ، ومشهداً من مشاهد الجنة أو النار ، ثم حكماً شرعياً ، ثم توجيهاً إلهياً ، ونحن حينما نتنقل من بحث إلى بحث ، من إنسان ، إلى طائر ، إلى حيوان ، إلى جبل ، إلى نهر ، إلى كون ، إلى مجرة ، هذا وفق الترتيب القرآني .

فالعبرة أن كل حلقة إن شاء الله سوف تختص بموضوع متكامل يعطي الإنسان دفعة إيمانية يتأثر بها في معرفة ربه ، وأنا أقول دائماً : إن هذه الآيات الكونية أقصر طريق إلى الله ، وأوسع باب ندخل منه على الله عز وجل .

خاتمة و توديع :

المذيع :

نشكر فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، نستودعكم الله ، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

والحمد لله رب العالمين

الحلقة 03 – 30 : الله الذي رفع السماوات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة :

المذيع :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، والصلاة والسلام على رسولنا الكريم ﷺ.

أخوة الإيمان والإسلام، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، هذه حلقة جديدة من برنامج: "الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة"، آياته في القرآن الكريم، وفي كونه العظيم، وفي أفعاله، فإذا تتبعت أفعال الله عز وجل رأيت يداً حكيمة عليمة، رحيمة قديرة، بيدها كل شيء، وإذا تتبعت خلقه رأيت الإعجاز والكمال، معنا اليوم فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي، أستاذ محاضر في كلية التربية بجامعة دمشق، خطيب ومدرس ديني في جوامع دمشق، أهلاً وسهلاً بك.

بداية فضيلة الدكتور، رأينا وقرأنا في كتابكم: "فضل الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة" أنكم تحدثتم الكثير عن آية في سورة الرعد، ألا وهي قوله تعالى :

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾

[سورة الرعد: 2]

ما هو التفسير لهذه الآية ؟

تفسير قوله تعالى: اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا :

الأستاذ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين. أستاذ عبد الحليم، جزاك الله خيراً على هذه الندوات، هذه الآية لا بد لها من تمهيد، قلت في الحلقة الأولى: إن العقل البشري أداة معرفة الله عز وجل، لكن قدراته محدودة، بمعنى أن العقل إذا جال في الكون جولة يستنبط أنه لا بد لهذا الكون من خالق، يأتي الوحي، ويجيب العقل عن هذا السؤال الذي قلت: إنه لا بد له من خالق، إنه الله، الله الذي رفع السموات، فالحقيقة أنّ كلمة : } اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا { هي في مضمونها إجابة لتساؤل العقل من أن هذا الكون لا بد له من خالق، فهذه هي الإجابة :

﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً﴾

[سورة الملك]

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾

[سورة الرعد]

لا بد من تكامل بين العقل والنقل، سأوضح هذا بمثل: إذا دخلت إلى جامعة فرأيت أبنيتها، وقاعات المحاضرات والمخابر، وبيوت الطلبة، والحدائق الغناء والملاعب، عقلك يستنبط عشرات الحقائق من هذا الذي رأيته.

الآن الملاحظة، لاحظت دقة في الأبنية، وتناسب الأبنية مع أهداف الجامعة، وقاعات المحاضرات، فيها عزل للصوت، ومدرج، وسبورات تمسح آلياً، بيوت الطلبة حولها حدائق، وموقع الجامعة بعيد عن الضوضاء، والمخابر العملاقة، تستنبط أن هناك إدارة وجامعة وتخطيطًا وهندسة، ولكن هل تستطيع أن تستنبط من هو عميد الكلية؟ من هو رئيس الجامعة من هذه الأبنية؟ هل لك أن تستنبط نظامها الداخلي؟ متى ينجح الطالب ومتى يرسب؟ هل لك أن تستنبط أسماء الأساتذة؟ مستحيل، فالنظر في أبنية الجامعة ينبئك أن وراء هذه الأبنية مهندسين وعلماء، لكن من هم؟ ما أسماؤهم؟ ما النظام الذي يحكمهم؟ كيف ينجح الطالب؟ هذا لا بد من كتيب عن الجامعة، فالنظر في الكون يكمله الوحي، التأمل والتفكر في خلق السموات والأرض يكمله وحي السماء، فأنت بالعقل إذا جال في الكون تعرف أنه لا بد لهذا الكون من خالق، يأتي الوحي ويقول لك :

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾

العقل لا قيمة له من دون وحي ينير له الطريق :

شيء آخر مهم جداً، الوحي ينقل لك مراد الله منك! لماذا خلقك؟ ولماذا جعل الدنيا محدودة وجعلها قصيرة؟ لماذا جعلها ممرًّا للآخرة؟ فكل هذه التساؤلات يأتيك الجواب عنها في الوحي، فنحن لا يمكن أن نعتمد على العقل وحده في الإيمان، تماماً كهذه العين، فلو أن إنسانًا يملك عينًا في أعلى مستوى من الرؤية، ما قيمتها من دون ضوء؟ لا قيمة لها إطلاقاً، لو جلس إنسان يبصر في غرفة مظلمة، وإنسان لا يبصر

فهما يستويان، فكما أن هذه العين لا قيمة لها من دون ضوء يتوسط بينها وبين الأشياء، كذلك هذا العقل لا قيمة له من دون وحي ينير له الطريق، أقول: العقل من دون وحي:

﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ * فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ * سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾

[سورة المدثر]

العقل وحده لا يكفي فهو محدود، لا بد للعين من ضوء، ولا بد للعقل من وحي، فالله عز وجل يجيب العقل الذي تساءل عن أن هذا الكون يحتاج إلى خالق، أجابه، وقال :

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾

بمعنى أنه رفعها بعمد لا ترونها، وما من تفسير لنظرية التجاذب في الكون إلا هذه الآية.

في الكون قوى تجاذب لا يراها الإنسان :

في الكون قوى تجاذب لا نراها، لو أنك جئت بورقة، ووضعت عليها مسمارًا، وفي أسفل الورقة دون أن نرى المغناطيس حركت هذا المغناطيس فتحرك المسمار، بين الورقة والمغناطيس قوى تجاذب، لكنها غير مرئية، لا تُرى بالعين، فأنت على وجه الأرض مرتبط بقوى التجاذب، ما هو وزن الإنسان في الأساس؟ هو قوة جذبه نحو مركز الأرض، الوزن كله، بدليل أن الإنسان فيما بين الأرض والقمر تنعدم الجاذبية، فيصبح لا وزن له، رواد الفضاء يستيقظون، فإذا هم في سقف المركبة، تنعدم الجاذبية، فالآية :

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾

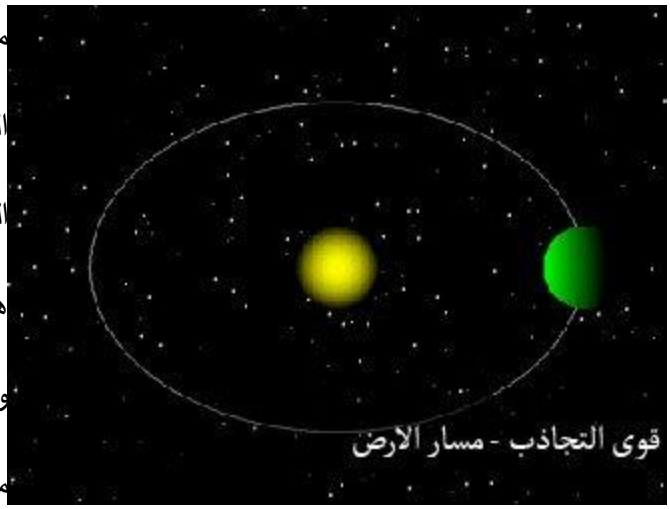

من حكمة الله عز وجل أن الأرض تدور حول الشمس، هذا شيء بديهي، سرعتها في دورانها حول الشمس ثلاثون كيلو مترًا في الثانية! نحن من أول هذا اللقاء إلى الآن قطعنا مئات ألوف الكيلومترات، وهذا شيء يقيني، الأرض تدور حول الشمس في مسار إهليلجي بيضوي، والمسار البيضوي له قطران، صغير وكبير، الشكل البيضوي لو أخذنا مركزه، عندنا نصف قطر طويل، ونصف قطر قصير، ليس كالدائري، كالبيضة تماماً، فالأرض تدور حول الشمس بمسار إهليلجي، وهذا المسار له قطر صغير وقطر كبير، أو نصف قطر صغير، ونصف قطر كبير، في أثناء سير الأرض حول الشمس، وعلى هذا المسار إذا اقتربت من نصف القطر الصغير قَلَّت المسافة بينها وبين الشمس، وتعلمون أستاذ عبد الحليم – جزاكم الله خيراً – أن قانون الجاذبية يتناسب مع الكتلة والمسافة، فإذا قَلَّتْ المسافة ازداد الجذب، فبديهي أن الأرض حينما تقترب من الشمس في هذا المكان الذي قطره صغير لا بد من أن تنجذب إلى الشمس، ما الذي يحصل؟ ترفع الأرض من سرعتها، وكأنها عاقلة، ترفع هذه السرعة لينشأ من هذه السرعة الزائدة قوة نابذة تكافئ القوة الجاذبة كيف؟ لو حملت وعاء ماء وملأته ماء، ودورته، الماء لا يسقط، لماذا؟ لأنك حينما تدير هذا الوعاء ينشأ من هذا الدوران قوة نبذ بعيدة عن المركز، فالماء لا يسقط، فالأرض حينما تصل إلى هذه المرحلة الحرجة، والتي يخشى منها أن تنجذب إلى الشمس ترفع سرعتها، حيث ينشأ من هذه السرعة الإضافية قوة نبذ استثنائية تكافئ قوة الجذب الاستثنائية، فتبقى في مسارها، وهي مادة غير عاقلة.

آيات الله عز وجل في الآفاق :

هل تصدق مركبة في طريق ليس فيها سائق؟ سيارة من حديد توقفت عند الإشارة الحمراء، مرّ طفل فأطلقت بوقها، عند المنعطف انحرفت نحو اليمين، هل تصدق ذلك؟ هل تعد المادة عاقلة؟ هذا شيء مستحيل، شيء من صخر، لماذا رفعتْ من سرعتها؟ ولماذا تابعتْ سيرها؟ لأن هناك إدراكًا بالجذب القوي، لأن هناك خالقًا يسيّرها اسمه اللهُ، لكن الشيء اللطيف لو أنّ هذه الأرض رفعت سرعتها فجأة لانهدم كل ما عليها، لكن الحكمة البالغة أن التسارع بطيء، ليبقى كل شيء في مكانه، تماماً لو وضعت بضع علب في شاحنة، وأقلعت فجأة تقع العلب، أو وقفت فجأة تقع العلب، السبب أن في قانون العطالة الجسم المتحرك يرفض السكون، والجسم الساكن يرفض الحركة، لماذا حزام الأمان في السيارة؟ لأنها إذا توقفت فجأة بسبب حادث فأنت تركب معها، فأنت يحكمك مبدأ العطالة، تريد ألا تقف، فتبقى متحركًا، فيقع الحادث، لذلك وجد حزام الأمان لتكون مرتبطًا بالسيارة، فهذه الأرض حينما تصل إلى هذا المكان الحرج ترفع سرعتها، فينشأ من رفع هذه السرعة قوة نابذة تكافئ القوة الجاذبة، فتبقى في مسارها.

الآن الأرض تمشي، وصلنا إلى القطر الأعظم، المسافة طالت بينها وبين الشمس، والجاذبية ضعفت، يوجد خطر من تفلت الجاذبية للشمس، الآن خطر آخر، نوع آخر، أول خطر هو خطر الانجذاب إلى الشمس، والأرض إذا ألقيت في الشمس تبخرت في ثانية واحدة، الخطر الثاني خطر التفلت من جاذبية الشمس، فإذا سارت الأرض في الفضاء الكوني أصبحت الحرارة مئتين وسبعين تحت الصفر، ولمات كل ما على الأرض، برودة لا تحتمل!! خطر الانجذاب إلى الشمس بالاحتراق، وخطر التفلت من الشمس بالتلف الناتج عن البرودة الكبيرة جداً.

الآن: الأرض في هذا المكان الثاني تبطئ من سرعتها لينشأ من بطء السرعة ضعف في قوة النبذ يكافئ ضعف الجاذبية، فتبقى في مسارها.

لا بد لهذا المسار والمسير من قدرة إلهية محكمة بحركة الأرض، الآن التسارع بطيء والتباطؤ بطيء، وهذا يعبر عن اسم "اللطيف".

أحياناً تركب مع سائق أرعن، يوقف المركبة فجأة، فيقلب الركاب، يقلع فجأة فيزعجهم، السائق اللطيف لا تشعر بشيء مزعج معه.

تركب طائرة، الطيار يهبط بخط انسيابي، وهناك طيار ينزل بك بالطائرة، وكأنك في درج فهذا من اسم "اللطيف".

المذيع :

فضيلة الدكتور، سنعود للسماء والعمد الذي تحدثنا عنه، أنها بغير عمد، هكذا ذكر الله سبحانه وتعالى، إن كان هناك عمد فهي كما ذكرتم قوة الجاذبية ولكن غير مرئية.

الحكمة من رفع السموات بغير عمد نراها :

الأستاذ :

لو أن الأرض تفلتت من جاذبية الشمس، وسارت في الفضاء الكوني، وأردنا أن نرجعها فلا بد من مليون مَليون حبل تربط بها إلى الشمس، ومن المعلوم أن أمتن حبل في الكون هو الفولاذ المضفور، ونحن من أجل أن نعيد الأرض إلى مسارها حول الشمس لا بد من أن نربطها بمليون مليون حبل فولاذي، قطر كل حبل خمسة أمتار، والمعلوم أن الحبل الفولاذي قطره خمسة أمتار يحمل مليوني طن، قوى الشد في هذا الحبل تساوي مليوني طن، نحن الآن سنغرس مليون مليون حبل على سطح الأرض كي نشدها إلى الشمس، لو زرعنا هذه الحبال لفوجئنا أنه بقي بين كل حبل وحبل مسافة حبل واحد، نحن أمام غابة من الحبال تعيق الحركة، والبناء، والطرق، وتعيق

ضوء الشمس، إذاً ستنتهي الحياة، لكن حكمة الله أنه رفع السموات بغير عمد ترونها، بقوى تجاذب!!! معنى ذلك أن الأرض مرتبطة بالشمس باثنين مليون ضرب مليون مليون، هذه قوة جذب الشمس للأرض، كل هذه القوة من أجل أن تحرف الأرض ثلاثة مليمترات كل ثانية، هذا الشكل الإهليلجي الذي هو مسارها حول الشمس.

هذه القوة من أجل أن تحرف الأرض ثلاثة مليمترات كل ثانية، هذا معنى قوله تعالى :

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾

المذيع :

هذا الحديث يذكرنا بما ذكره بعض العلماء في السابق عن شكل الأرض، وأنها على شكل بيضوي وليست مسطحة، هذا إعجاز، فبعد أن تحدثنا عن قوة الجذب بين السماء والأرض، الآن نتحدث عن السماء ذات الرجع، وهذه آية مختلفة ذكرها الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز، أيضاً التفسير هنا نراه بشكل معجز.

تفسير قوله تعالى : وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ :

الأستاذ :

كان يفهم من هذه الآية أنه إذا صعد بخار الماء إلى السماء رجع مطراً، هذه المعطيات الأولية، ثم اكتشفوا أن هذا البث الإذاعي لولا أن هناك طبقة في الجو اسمها الأثير تعيد هذه الموجات إلى الأرض لما كان هناك بث إذاعي في الأرض، ثم اكتشف أن الحقيقة التي تنتظم الكون كله هي قوله تعالى :

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴾

[سورة الطارق]

أي إن كل نجم أو كل كوكب ينطلق في مسار مغلق، ويعود إلى مكان حركته الأولى المصطلح عليها، كل كوكب يدور في مسار مغلق يعود إلى مكان انطلاقه الأول، المسار المفتوح هو الحلزوني، أما المسار المغلق فأن هذا النجم يعود إلى مركز انطلاقه الأول تماماً، بدليل أن ساعة

[بيك بين]

تضبط على حركة نجم، وقد تختلف في العام ثانية أو ثانيتين، والنجم أدق من أي ساعة في الأرض.

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴾

أي إن كل كوكب يتحرك، لو تصورنا أن الكون كواكبه لا تتحرك، بحسب قانون الجاذبية لا بد من أن يصبح الكون كتلة واحدة، كل نجم أكبر يجذب الأصغر، وتنتهي الحياة، لولا هذه الحركة لما كانت حركة في الكون، فحركة النجم في مسار مغلق، أي يعود إلى مكان انطلاقه الأول، هذه الحقيقة تنتظم الكون كله:

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ * وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾

[سورة الطارق]

المذيع :

نسبح الله سبحانه وتعالى بهذه الكلمات، ونرى هذه الآيات المعجزة التي نزلت في القرآن الكريم منذ ألف وأربعمئة سنة، يكتشفها الآن العلماء في خلال هذه السنوات، ومن خلال الميكروسكوبات، والمركبات الفضائية التي نراها.

اكتشاف الآيات المعجزة التي نزلت في القرآن الكريم منذ ألف وأربعمئة سنة :

الأستاذ :

هذا مصداق قوله تعالى :

﴿ سَنُرِيهِمْ﴾

[سورة فصلت]

السين للاستقبال، و الميم للغائب، الله هو المتكلم، والمؤمن مخاطَب، والطرف الآخر هو الغائب، مصداقاً لهذا الدين العظيم :

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾

[سورة فصلت : 53]

خاتمة و توديع :

المذيع :

سبحان الله! أيها الأخوة والأخوات، مع هذا التأمل، وهذا التفكير في آياته الكريمة، وفي خلقه خلق السموات والأرض، مع فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي، نتابع هذه المسيرة المتأملة في خلقه، وإلى حلقة قادمة بإذن الله تعالى، نستودعكم الله.

والحمد لله رب العالمين

الحلقة 04 – 30 : مواقع النجوم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة :

المذيع:

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى، آمين يا أرحم الراحمين.

أخوة الإيمان والإسلام، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، حلقة جديدة مع فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي، مع كتاب الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة، لقد كانت رحلة المعراج معجزة للنبي عليه الصلاة والسلام، فشاهد الأنبياء، وكلّمهم، وكان ذلك في السماء، إلا أننا حينما يذهب رواد الفضاء بعد ألف وأربعمئة سنة من ذلك التاريخ، وبمركبات فضائية مجهزة نرى العجب العجاب، فتزداد معجزة النبي e بهاء، ويزداد المتأمل إعجاباً، تكلمت فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي في كتابك هذا عن ظلمات في الفضاء، وتكلم عنها الشارع الحكيم في كتابه، فماذا رأيتم؟

الحق دائرة يتقاطع فيها أربعة خطوط :

الأستاذ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

قبل أن أجيب عن هذا السؤال لا بد من مقدمة هي أن الحق دائرة يتقاطع فيها أربعة خطوط، خط النقل الصحيح، وخط العقل الصريح، وخط الفطرة السليمة، وخط الواقع الموضوعي، العقل الصريح أداة معرفة الله، والنقل الصحيح الوحيان– الكتاب والسنة– والواقع الموضوعي خلقه، والفطرة جِبِلَّة أودعت فينا، إذاً كل هذه البنود من أصل واحد، إنه الله عز وجل، والقاعدة أن الأصل إذا اتحد فالفروع متساوية فيما بينها.

فالحق لا بد من أن يتطابق مع ما في القرآن الكريم وهو كلامه، مع قوانين خلقه، مع جبلة الإنسان، مع الواقع الموضوعي، هذا المنطلق يبيّن أن العلم كلما تقدم كشف عن جانب في القرآن الكريم.

ظاهرة انتشار الضوء :

كان هناك عالم من علماء الفلك في زيارة مركز من مراكز إطلاق المراكب الفضائية في بعض الدول المتقدمة، وهو في زيارة هذا المركز الذي ظلّ على اتصال مستمر بمركبة فضائية أُطلقت قبل زيارته، فإذا برائد الفضاء الذي على المركبة يتصل بمركز انطلاق المركبة، ويخبرها أنه أصبح لا يرى شيئاً! لقد أصبحنا عمياً!! لا نرى شيئاً، والغريب أن المركبة قد انطلقت في وضح النهار، وبعد وقت قليل تجاوزت هذه

المركبة الغلاف الجوي، ودخلت في منطقة لا هواء فيها، وأصبح الجو مظلماً ظلاماً كلياً، فصاح هذا الرائد: لقد أبحنا عمياً، لا نرى شيئاً، ما الذي حصل؟ مركبة انطلقت في وضح النهار، وضح النهار في الأرض معروف، كل شيء مكشوف وواضح بأشعة الشمس، أو من دون أشعة الشمس، لكن هناك أصبح الظلام مسيطراً، ولا يرى هذا الرائد شيئاً! الذي حصل أن أشعة الشمس إذا وصلت إلى الغلاف الجوي تتناثر، بمعنى أن كل ذرة في الهواء تعكس على أختها بعض أشعة الشمس! فانتثار الضوء ظاهرة علمية، أساسها أن أشعة الشمس تنعكس على ذرات الهواء، وكل ذرة تعكس على أختها من أشعة الشمس شيئاً، في الأرض يوجد ظاهرة، أن هناك منطقة فيها ضياء وليس فيها أشعة شمس، فنقول فيها: الجو نهار، ونرى كل شيء، والشمس في بعض الأماكن نرى أشعتها، بينما في الفضاء الجوي لا هواء، أي لا انتثار للضوء، فالجو ظلام تام دامس، لا يرى في الفضاء الخارجي إلا قرص الشمس فقط، فحينما نظر هذا الرائد من نافذة المركبة رأى ظلاماً دامساً مطبقاً فصاح: أصبحنا عمياً، لا نرى شيئاً، هذه الحقيقة، أن الفضاء الخارجي ليس فيه هواء، وبالتالي ليس فيه انتثار ضوء.

المذيع:

هنا نريد أن نفسر حقيقة علمية، أنه لولا الغلاف الجوي لما كان هناك ضياء.

الأستاذ:

نعم هذا كلام دقيق، الآية الكريمة:

﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنْ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ، لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ﴾

[سورة الحجر: 14-15]

المذيع:

هنا أتينا إلى القرآن الكريم الذي يفسر هذه الظاهرة العلمية.

القرآن كلام الله عز وجل و إعجازه :

الأستاذ:

نعلم إن الطيران اكتشف أخيراً، وما من أحد في عهد النبي e صعد إلى الفضاء، فهذه الحقيقة لا يمكن أن تُكتشف وقتها، فجاءت بها آية كريمة، الآن حينما سافر الإنسان إلى الفضاء، ورأى كيف أن الفضاء الخارجي فيه ظلام دامس مطبِق، تطابقت رؤية رائد الفضاء مع الآية الكريمة، هذا الكلام ليس كلام النبي عليه الصلاة والسلام، إنما هو كلام الله، ولعل أقوى دليل على أن القرآن كلام الله و إعجازه، فلذلك يقول الله عز وجل:

﴿ سَنُرِيهِمْ آَيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾

[سورة فصلت: 53]

وكأن هذه الآيات شهادة الله للناس أن هذا الإنسان الذي جاء بالقرآن إنما هو رسوله.

الشيء الدقيق أيضاً هو أن النبي عليه الصلاة والسلام حينما لم يشرح هذه الآيات، وحينما تركت للتطور العلمي إذاً أصبحت آيات القرآن الكريم معجزات مستمرة إلى نهاية الدوران.

المذيع:

الآن سننتقل إلى موضوع آخر، وما دمنا مع الفضاء، وهذه الأمور التي نراها في السماء.

في الليل نرى نجوماً، وفي النهار لا نراها، وذلك لكثرة الضياء، ذُكِرت النجوم في آيات الله وكتابه العزيز:

﴿ فلا أقسم بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾

[سورة الواقعة: 75]

فما هي هذه المواقع؟ ذُكِرت مواقع النجوم، ولم يذكر: لا أقسم بالنجوم مثلاً، لماذا؟

آيات الله في الكون :

الأستاذ:

أنا أعتقد أن هذه الآية لو قرأها عالم فلك لخرّ ساجداً لله من كلمة واحدة فيها، ألا وهي كلمة مواقع، ولكن قبل شرحها لا بد من تمهيد.

بين الأرض والقمر ثانية ضوئية واحدة، أي إن الضوء يقطع المسافة بين الأرض والقمر والتي تصل إلى ثلاثمئة ألف كيلو متر في ثانية واحدة، لأن أعلى سرعة في الكون هي سرعة الضوء ثلاثمئة ألف كيلو متر في ثانية واحدة، فبين الأرض والقمر ثانية ضوئية واحدة، والإنسان عنده غرور شديد، فحينما وصل بمركبته للقمر قال:

غزونا الفضاء، بين الأرض والشمس ثماني دقائق ضوئية، يوجد مئة وستة وخمسين مليون كيلو متر، يقطعها الضوء في ثماني دقائق، بين الأرض وأقرب نجم ملتهب للأرض أربع سنوات ضوئية!

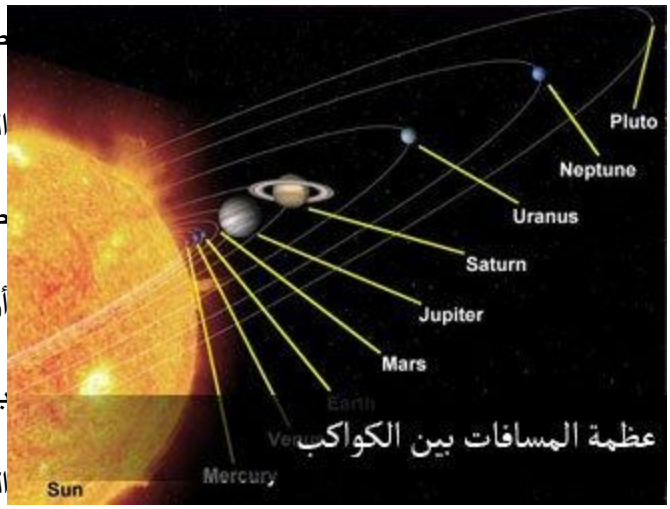

طبعاً طالب ثانوي بإمكانه أن يحسب المسافة، لأن الضوء يقطع ثلاثمئة ألف كيلو متر في الثانية، ضرب ستين بالدقيقة، ضرب ستين بالساعة، ضرب أربعة وعشرين، باليوم ضرب ثلاثمئة وخمسة وستين بالسنة، ضرب أربع بأربع سنوات، هذا الرقم كم يقطع الضوء، وأقرب نجم إلى الأرض.

لو أننا نركب مركبة أرضية بسرعة مئة، قسمنا هذا الرقم على مئة كم ساعة؟ على أربع وعشرين كم يومًا؟ على ثلاثمئة وخمسة وستين، كم سنة؟ يتضح أننا نحتاج لنصل لأقرب نجم ملتهب إلى الأرض إلى خمسين مليون سنة، لو أردت أن تصل لأقرب نجم ملتهب إلى الأرض بمركبة أرضية تحتاج إلى خمسين مليون سنة. الآن نجم القطب يبعد عنا أربعة آلاف سنة ضوئية، كم سنة نحتاج؟ الأربع سنوات يحتاجون إلى خمسين مليون سنة! الأربعة آلاف مليون سنة، شيء مخيف، المرأة المسلسلة هذه المجرة تبعد عنا مليوني سنة ضوئية، أحدث مجرة اكتشفت تبعد عنا عشرين مليار سنة ضوئية!.

فلا أقسم بِمَوَاقِعِ النُّجُوم آية من آيات الله الدالة على عظمته و إعجازه :

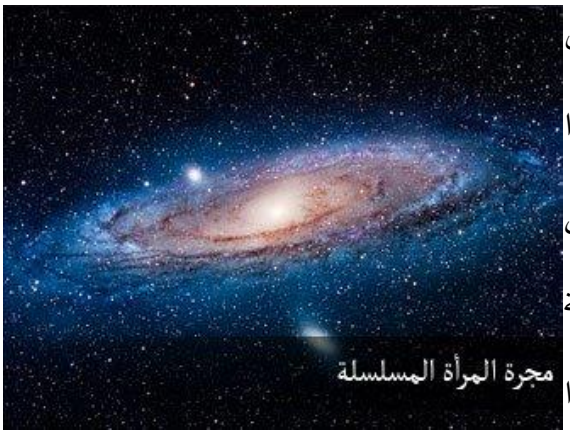

هذه المجرة، ولو فرضناها كوكباً كان في هذا المكان قبل عشرين مليار سنة، وأرسل أشعته للأرض، وبقي ضوء هذا النجم العملاق يمشي عشرين مليار سنة حتى وصل إلى الأرض، فرأيناه نحن، لكنه ينطلق بسرعة مذهلة، سرعة المجرات البعيدة مئتان وأربعون ألف كيلو متر في الثانية، فإذا

كان من عشرين مليار سنة في هذا المكان، وسرعته مئتان وأربعون ألف كيلو متر في الثانية، أين هو الآن؟ ما الكلمة التي تعبر عن هذا المكان و ليس فيه صاحب المكان؟ الموقع، لو أن الله قال مثلاً: فلا أقسم بالمسافات بين النجوم ليس قرآناً، وليس كلام خالق الكون، لكن لأنه قال:

﴿ فلا أقسم بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾

[سورة الواقعة: 75]

النجم متحرك، تغير موقعه من موقع إلى آخر، انتقل لمكان آخر، أما حينما أطلق أشعته فكان في هذا الموقع وتركه، هذا الموقع انطلقت منه الأشعة نحو الأرض، وهذا ما رأيناه، من كلمة موقع وحدها يخر عالم الفلك ساجداً لله عز وجل:

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾

[سورة الواقعة: 75-76]

إذا كان خلق الله غير متناهٍ، فكيف بالذات الإلهية؟ الكون نظرياً له حدود، لأنه ما سوى الله، تعلمون أن الله عز وجل واجب الوجود، وأن ما سواه محتمل الوجود، يمكن أن يوجد على ما هو عليه، أو على غير ما هو عليه، أو ألاّ يكون موجوداً، هذا خلق الله يبدو لنا لا نهائياً.

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ آية أخرى من آيات الله الدالة على عظمته :

يوجد آية ثانية، أن الله عز وجل حينما قال:

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴾

[سورة البروج: 1]

هناك بروج في السماء، برج الجوزة، برج العقرب، وفي هذه البروج نجوم كثيرة، أحد هذه البروج برج العقرب، وفيه نجم صغير، اسمه قلب العقرب، هذا النجم أحمر متألق، شيء لا يصدق! بين الأرض والشمس مئة وستة وخمسون مليون كيلو مكتر، والشمس تكبر الأرض بمليون وثلاثمئة ألف مرة، أي إن جوف الشمس يتسع لمليون وثلاثمئة ألف أرض! الآن هذا النجم الصغير قلب العقرب يتسع للشمس والأرض مع المسافة بينهما!!! هذا معنى قوله تعالى:

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾

[سورة فصلت: 53]

المذيع:

شيء مذهل، فضيلة الدكتور هذه المسافات وهذا الحجم الهائل.

علم الله وخبرته لا نهاية لهما :

الأستاذ:

لذلك نقول نحن اصطلاحاً: مسافات فلكية، أرقام فلكية، إن أردنا أن نبالغ في شيء في الأرض نقول: رقم فلكي، شيء لا يصدق، هذا الإله العظيم يعصى؟ ألا يخطب وده؟ هل يستغنى عن منهجه؟ هل يتهم كتابه بالمبالغات وأن هذا الحكم لا يتناسب مع هذا العصر؟ إن علم الله وخبرته لا نهاية لهما، هذا معنى قوله تعالى:

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾

[سورة الواقعة: 75-76]

لو تعلمون، لذلك قال تعالى:

﴿ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾

[سورة فاطر: 28]

وليس أحد غيرهم يخشى الله عز وجل، لذلك إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً، و يظل المرء عالماً ما طلب العلم، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل.

والإنسان من دون علم يقترب من حياة البهائم، وفضل الله على هذا الإنسان أنه كرمه بالقوة الإدراكية، لولا هذه القوة الإدراكية لكنا أمثال مخلوقات لا تليق بنا.

خاتمة و توديع :

المذيع:

في نهاية هذه الحلقة لا يسعنا إلا أن نشكر فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي لهذا الإيضاح، ولهذه العين المتأملة في هذا الكون العجيب، وفي السماء، والنجوم التي حدثتنا عنها، إلى حلقة قادمة بإذن الله تعالى، ورؤية علمية وقرآنية جديدة.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

والحمد لله رب العالمين

الحلقة 05 – 30 : خلق الإنسان – جهاز المناعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة :

المذيع:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

إخوة الإيمان والإسلام ؛ السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، حلقة جديدة من برنامج الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة ، معنا فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، أستاذ محاضر في كلية التربية بجامعة دمشق ، خطيب ومدرس ديني في جوامع دمشق ، أهلاً وسهلاً بكم .

يوقن الباحث في العلم ، ويشعر المتأمل في الكون حينما يقرأ آيات القرآن المتعلقة بخلق الأكوان والإنسان ، يوقن، ويشعر أن كل خلية في جسمه ، وبكل قطرة في دمه أن هذا القرآن كلام الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، في الحلقة السابقة تكلمنا عن النجوم ومواقعها وإعجاز القرآن ، بأنه أقسم بمواقع النجوم ، قال تعالى :

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾

[سورة الواقعة الآيات : 75-76]

أما في هذه الحلقة فنريد أن نتكلم ، ونبدأ الحديث عن الإنسان ، فكل ما نراه يدل على عظمة الخالق في خلق الإنسان .

خلق الإنسان :

الأستاذ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

في قوله تعالى :

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ﴾

[سورة فصلت الآية : 53]

فكما أن الإنسان مكلف أن يجول جولات وجولات في أرجاء الكون مكلف أيضاً أن يجول جولات وجولات في دقائق خلقه ، بل إن الآيات التي في خلقه أقرب شيء إليه ، وهذا معنى قوله تعالى :

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ﴾

[سورة فصلت الآية : 53]

هناك في حياة كل منا آيات معجزة صارخة دالة على عظمة الله عز وجل ، منها جسمنا الذي هو أقرب شيء إلينا .

ففي رأس كل منا ثلاثمئة ألف شعرة ، لكل شعرة بصلة ، ووريد ، وشريان ، وعضلة ، وعصب ، وغدة دهنية ، وغدة صبغية .

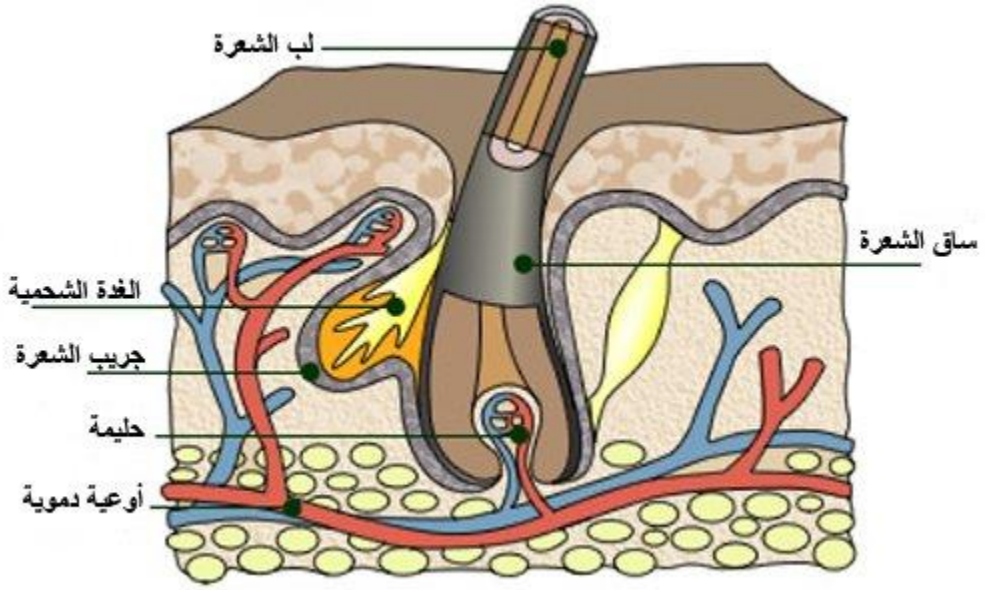

الشعرة ومكوناتها آية دالة على عظمة الله

وفي شبكية العين عشر طبقات ، في آخرها مئة وأربعون مليون مستقبل للضوء ، ما بين مخروط ، وعصية ، ويخرج من العين على الدماغ عصب بصري يحتوي على خمسمئة ألف ليف عصبي .

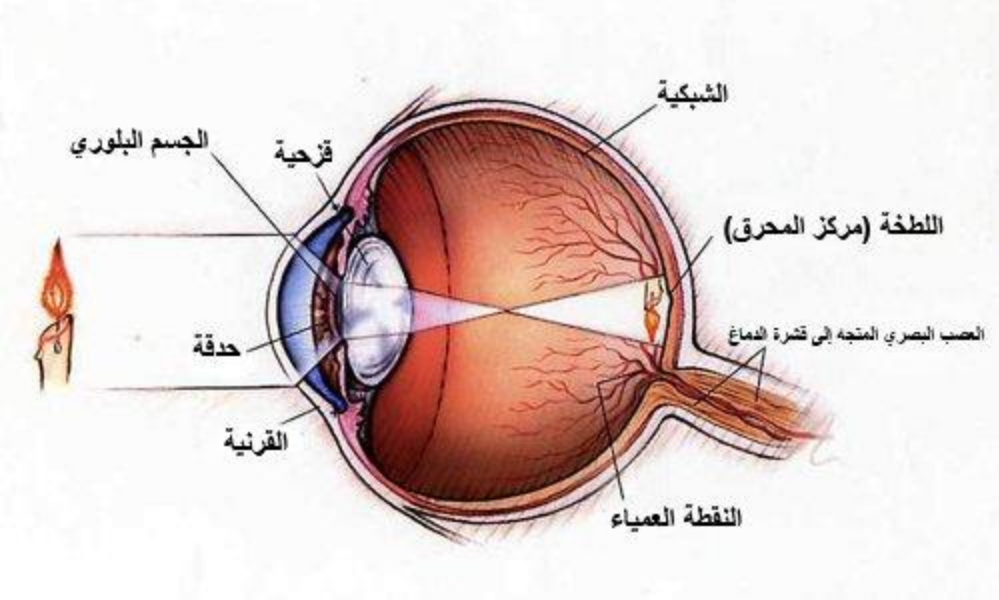

العين آية دالة على عظمة الله

وفي الأذن ما يشبه شبكية العين ، ففيها ثلاثون ألف خلية سمعية لنقل أدق الأصوات ، وفي الدماغ جهاز يقيس التفاضل الزمني لوصول الصوت إلى كل من الأذنين ، وهذا التفاضل يقلّ عن جزء وألف وستمئة جزء من الثانية، وهو يكشف للإنسان جهة الصوت .

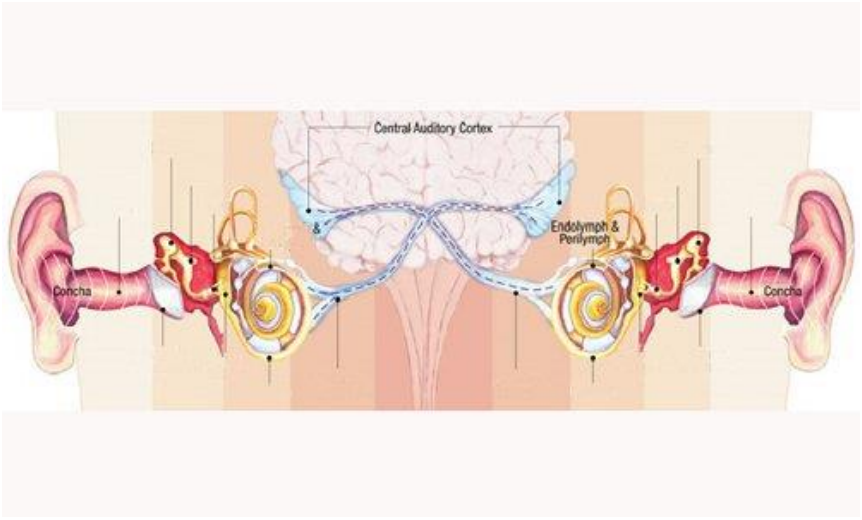

تفاضل الصوت الوارد عبر الأذنين آية دالة على عظمة الله

وعلى سطح اللسان تسعة آلاف نتوء من أجل تذوق الطعام ، لمعرفة الطعم الحلو والحامض ، والمر والمالح

التذوق آية دالة على عظمة الله

وإن كل حرف ينطق به الإنسان يسهم في تكوينه سبع عشرة عضلة ، فكم عضلة تسهم في خطبة تلقى في ساعة؟ في كل حرف يسهم في صنعه سبع عشرة عضلة .

ويضخ القلب من الدم في عمر متوسط ما يملئ أكبر ناطحات سحاب في العالم .

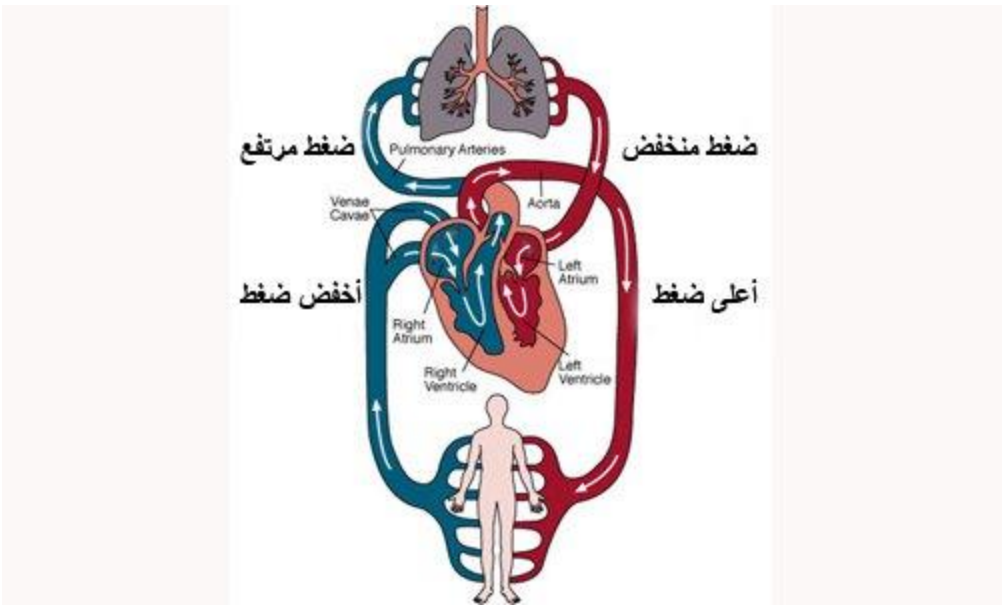

القلب كمضخة يملئ أكبر ناطحات سحاب في العالم آية دالة على عظمة الله

وفي دماغ الإنسان أربعة عشرة مليار خلية قشرية ، ومئة مليار خلية استنادية لم تعرف وظيفتها بعد ، بل إن دماغ الإنسان هو أعقد ما فيه ، ومع ذلك فهو عاجز عن فهم ذاته .

دماغ الإنسان هو أعقد ما فيه ولم تعرف الكثير من وظائفه آية دالة على عظمة الله

إن في جدار المعدة مليار خلية تفرز من حمض كلور الماء ما يزيد على عدة ليترات في اليوم الواحد ، وقد جهد العلماء في حل اللغز ، لمَ لا تهضم المعدة نفسها ؟ أليست المعدة معجزة ؟

وفي الأمعاء ثلاثة آلاف وستمائة زغابة معوية للامتصاص في كل سنتيمتر مربع ، وهذه الزغابات تتجدد كلياً كل ثمانٍ وأربعين ساعة .

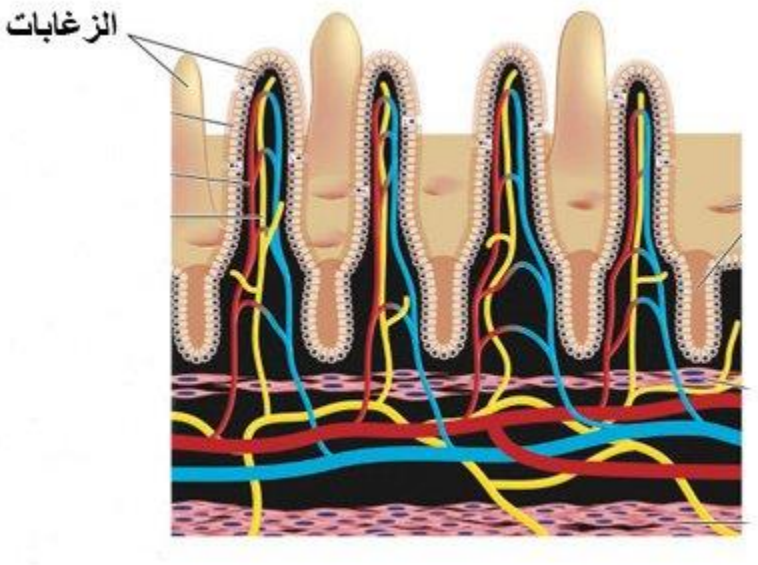

جدار المعدة وما تحويه من زغابات آية دالة على عظمة الله

إن تحت سطح الجلد ستة عشر مليون مكيف لحرارة البدن ، وهي الغدد العرقية .

وفي الكبد ثلاثمئة مليار خلية يمكن أن تجدد كلياً خلال أربعة أشهر ، ووظائف الكبد خطيرة وكبيرة ومدهشة ، حيث لا يستطيع الإنسان أن يعيش بلا كبد أكثر من ثلاث ساعات .

وفي الكليتين مليونا وحدة تصفية ، طولها مجتمعة مئة كيلو متر يمر فيها الدم في اليوم الواحد خمس مرات ، هذا جسمنا الذي نحن نعيش معه هذا أقرب شيء إلينا ، هذه حقائق مسلَّم بها عرفها الأطباء من عشرات السنين،

وليست خاضعة للمناقشة إطلاقاً ، قال تعالى :

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ﴾

[سورة فصلت الآية : 53]

المذيع :

فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، تكلمت أن لكل إنسان عددًا معيَّنًا من الخلايا ، سواء في الدماغ أو العين ، إلى ما هنالك من أجهزة في الجسد ، ولكن هناك تمايز بين الناس ، نرى هناك أشخاصًا بشرتُهم صفراء ، وبعضهم بشرته سوداء ، فهناك تمايز وتفاضل بين الناس ، والإعجاز في هذا الكلام الذي نتحدث عنه .

الأستاذ :

الإنسان مكرم عند الله ، ولكرامته عند الله أعطاه بعض صفاته ، فالله عز وجل فردٌ ، والإنسان فرد ، وهذا بحث علمي دقيق .

الآن اكتشف أن لكل إنسان زمرة نسيجية ، لا يمكن أن تتوافق زمرتان في الأرض ، ستة آلاف مليون إنسان ، لكل إنسان زمرة نسيجية .

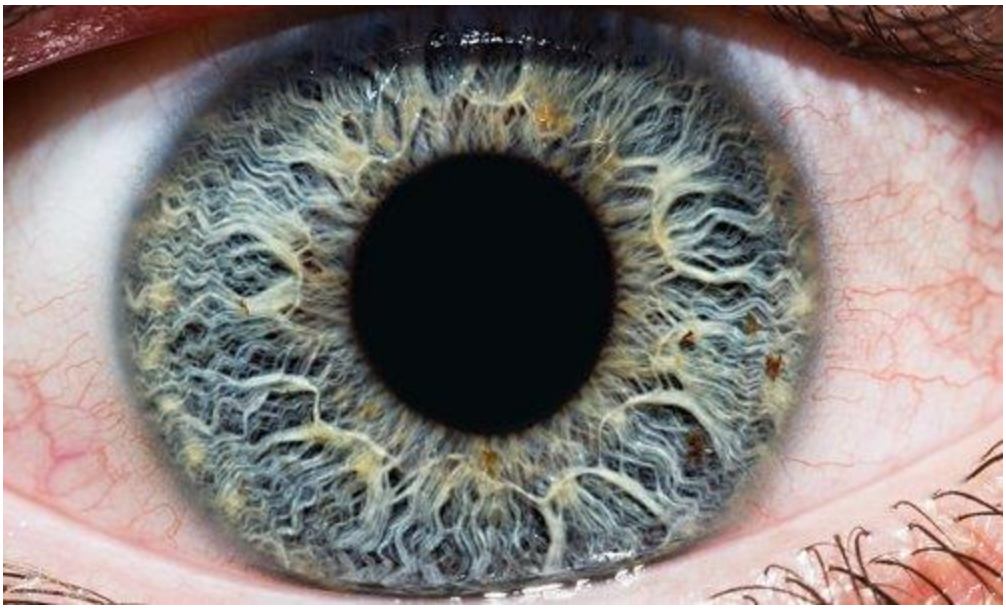

لكل إنسان قزحية عين لا يمكن أن تشبه قزحية إنسان آخر

والآن اكتشف أن قزحية العين لا يمكن أن تشبه قزحية إنسان آخر ، وقبل أشهر صدر قرار بوضع سمة قزحية العين على الجواز ، فإذا دخل إنسان بلدًا أوروبيًّا تفحص قزحية عينيه ، ويؤخذ رسمهما ، فإذا لم تتطابق فالجواز مزور !!

الآن هناك أقفال في أمريكا تصنع على قزحية العين ، يكفي أن تضع عينك على نافذة فيفتح الباب ، ولا يمكن أن يفتحه أحد غيرك ، فالقزحية ينفرد بها الإنسان ، ورائحة الجلد ، ولولا هذا الانفراد لما كان هناك من فائدة من الكلاب البوليسية ! .

والبصمة أيضاً فيها مئة علامة ، لو تشابهت سبع علامات مع إنسان آخر لكانتا لإنسان واحد ، بل إن بعض المجرمين في أميركا خلعوا جلد بصمتهم ، وصنعوا جلوداً من أرجلهم بعد حين ظهرت علامات البصمة على هذا الجلد الجديد ، البصمة هوية .

فلكرامة الإنسان عند الله جعل له زمرة نسيجية يتميز بها ، وجعل له قزحية يتميز بها ، ورائحة جلد يتميز بها ، وتركيبًا دمويًّا خاصًّا به ، هذه ينفرد بها الإنسان ، وجعل له بصمة يتميز بها ، بل إن نبرة صوته يتميز به ، ولا يمكن لإنسان أن يكون له نبرة كنبرة إنسان آخر ، هذه الصفات التي ينفرد بها الإنسان تؤكد أنه فرد ، والفردية من صفات الله عز وجل ، ولكرامته عنده أعطاه هذه الصفة .

شيء آخر ، الله مبدع ، لكنه لكرامة الإنسان عنده من حيث الخلق والجينات والمورّثات سمح له أن يبدع ، فالإنسان طوّر وردة ، جعلها سوداء ، وطوّر بعض الأشجار العملاقة ، جعلها مقزّمة ، طوّر بعض الخضراوات والفواكه ، مهجّنة من صنفين ، والآن البذور تحتل المرتبة الأولى في العالم ، لكرامته عند الله جعله يبدع ، ولأن بعض النصوص ظنية الدلالة أيضاً لكرامته عند الله سمح له أن يشرّع ، وقد قبِل الله أن نعبده باجتهاد العلماء ، فالإنسان يشرع ، ويبدع ، وهو فرد .

ثم لكرامته عند الله جعله مختاراً ، أنت مخير وبقية المخلوقات مسيَّرة .

المذيع :

التمايز بين الأفراد هذا إعجاز فعلاً ، فالبصمة تختلف عن مختلف الناس ، أو كما ذكرنا عن قزحية العين ، ولكن هناك فضيلة الدكتور تمايز ليس فقط على صعيد الأفراد ، بل على صعيد اللون والألسنة ، وما إلى هنالك ، نرى أن هناك شعوباً كلها تحمل تمايزًا ، ولكن هذا بين شعوب ، وليس بين أفراد .

الأستاذ :

يوجد وراء هذه الظاهرة حقيقة علمية رائعة ، ذلك أن الجينات التي تشكل الجنين تقسم على قسمين قسم يشكل الجنين وقسم يودع في جهاز الجنين التناسلي ، من أجل أن تكون الشعوب على لون واحد ، ونمط واحد ، وبصمات واحدة ، فالصينيون لهم سمة واحدة، حينما ترى شخصًا من الصين تعرف أنه من الصين ، لأن هذه الجينات التي تساهم في تشكيل الجنين تنقسم إلى قسمين ، قسم يسهم في تشكيله ، وقسم يودع في جهازه التناسلي ، ليكون الابن مشابهاً لأبيه ، لتكون الشعوب ذات سمة موحدة ، هذا أيضاً من عظمة الله عز وجل .

المذيع :

فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، كلما مر بنا الزمن نرى أمراضًا تتجدد ، وحوادث كثيرة تصيب الإنسان ، فمنها جهاز المناعة الذي يصاب عند الإنسان ، فما هو الإعجاز في ذلك ؟

جهاز المناعة :

الأستاذ :

جهاز المناعة المكتسب جهاز عجيب ، هذا الجهاز . ولا أبالغ . هو يشبه جيشاً بكل ما في هذه الكلمة من معنى! جيش يدافع عن الإنسان ، عن أنسجته ، وأعضائه .

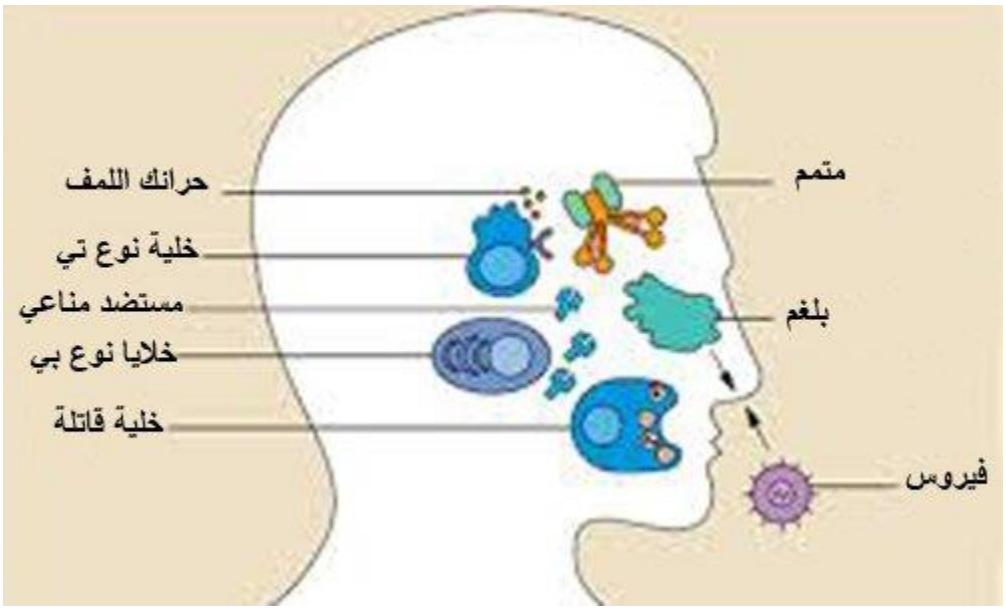

فرق جيش المناعة عند دخول جرثومة إلى الجسم

هذا الجيش مؤلف من خمس فرق .

الفرقة الأولى فرقة الاستطلاع ، هذه مهمتها معلوماتية فقط ، لو دخل إلى الجسم جرثوم تنتقل إليه لتأخذ شفرته الكيماوية ، وتأخذ نقاط ضعفه ، وتعود إلى معامل تصنيع السلاح ، وتعطي تقريراً عن نتائج هذا الجرثوم ، وعن خصائصه ، وتركيبه ، ونقاط ضعفه .

في فرقة ثانية مهمتها تصنيع المصول المضادة للجراثيم ، هي بمنزلة معامل الأسلحة .

فالفرقة الأولى استخبارية استطلاعية ، مهمتها نقل المعلومات ، تنطلق إلى الجرثوم ، وتأخذ شفراته الكيماوية ، وتأخذ نقاط ضعفه وخصائصه ، وتعود على العقد الليمفاوية ، وهي مكان تصنيع المصول ، الفرقة الثانية تصنع السلاح .

أعجب ما في هذه الفرقة أنها تتمتع بذاكرة عجيبة ، لو أن طفلاً أصابه مرض ، ثم أخذ أفراد الفرقة الأولى المعلومات الدقيقة عن هذا الجرثوم أعطوها للعقد الليمفاوية مكان تصنيع السلاح ، وصنعت سلاحًا مضادًا لهذا الجرثوم ، أو بالتعبير الطبي مصلا مضادًا ، هذه الفرقة فرقة تصنيع السلاح تتمتع بذاكرة عجيبة ، لو أن هذا المرض شفي منه هذا الطفل ، وعاد إلى صاحبه بعد سبعين عاماً وأكثر ملف هذا الجرثوم محفوظ في ذاكرة هذه الفرقة ، فلا يضطر لأخذ معلومات جديدة ، بل إنه يستخدم معلومات هذا الملف في تصنيع مواد مضادة لهذا الجرثوم ، ولولا هذه الذاكرة العجيبة لما كان هناك من فائدة إطلاقاً ، لألغي التلقيح ، ففائدة التلقيح أن يعطى الإنسان جرثومًا مضعفًا ، فيصنع جرثوم المناعة المكتسب مصلاً مضاداً له ، في أي وقت عاد الجرثوم فالمصل جاهز ، ويكافح به الجرثوم مباشرة .

أما الفرقة الثالثة فهي فرقة المشاة ، تحمل السلاح ، وتقاتل به ، هذه كلها كريات بيضاء ، لكنها متمايزة ، بعضها استخباراتية ، بعضها لتصنيع سلاح ، بعضها مقاتلة .

بقيت هناك فرقة أخرى ، فرقة خدمات سلاح المهندسين ، مد الجسور ، تنظيف أرض المعركة من الجثث وآثار الدماء ، هذه فرقة الخدمات ، فرقة رابعة .

في عام ألف وتسعمئة وسبعة وستين اكتشفت فرقة خامسة من أخطر هذه الفرق اسمها فرقة المغاوير ، بالتعبير الأجنبي الكومندوس ، هذه الفرقة لولاها لكان السرطان شائعاً في كل الناس ، ثبت الآن علمياً أن في كل إنسان خلايا سرطانية ، لكن عليها قامع يمنعها من أن تفعل فعلها المؤذي ، هذه الفرقة تكتشف الخلايا السرطانية في وقت مبكر جداً ، وتنتهي منه .

لذلك حينما يصاب جهاز المناعة المكتسب عن طريق مرض الإيدز ما الذي يحصل ؟ يظهر السرطان ، وتسعون بالمئة من المصابين بمرض الإيدز مصابون بالأمراض الخبيثة ، لأن فرقة المغاوير تعطلت عن التهام خلية سرطانية .

المذيع :

لذلك تضعف هذه الخلايا وتظهر هذه السرطانات .

الأستاذ :

مرة كنت في أمريكا ، أحد طلابي جزاه الله خيراً تخصصه في الغدد الصماء ، أنبأني عن حقيقة مفيدة جداً ، هي أن كل خلية سرطانية عليها قامع يمنعها من أن تكون فعالة ، ما الذي ينزع هذا القامع عنها ؟ ذرة البترول ، فكل إنسان يعمل في إصلاح السيارات إذا تناول طعامه ، وهو في أثناء العمل ، وفي يديه آثار البنزين أو مواد بترولية احتمال إصابته بالسرطان كبيرة جداً ، فذرات البترول تنزع القامع عن خلية سرطانية .

الشيء الثاني البلاستيك ، إذا تفاعل مع الحرارة ، وانصهر أحد أجزائه كشرب كوب شاي بوعاء بلاستيكي خطير ، أو مع الحامض كالسَّلطات توضع في وعاء بلاستيك .

الحمض قد يذيب أحد أجزاء الوعاء ، أو حينما نقشط كيساً فيه لبن ، ونأخذ من الكيس دون أن نشعر بالسكين بعض ذراته فممنوع أن نستعمل البلاستيك مع الحرارة والحمض والقشط الميكانيكي ، هذا كله يسبب نزع القامع عن الخلية ، ثم إن الإشعاع الذري له علاقة بنزع القامع ، فكل مكان فيه بقايا إشعاع هذا يؤثر في جسم الإنسان ، فيصاب بالسرطان ، أما أقوى شيء الشدة النفسية ، كالخوف ، والقلق ، هذا يسبب سرطان ، لأن

الخوف والقلق يضعف جهاز المناعة المكتسب .

لذلك التوحيد صحة ، والشرك ضعف ، الشرك أن تخاف من كل إنسان ، كالتهديد أو التربص لك من إنسان ، إذا استمر الخوف ينتج منه ضعف في جهاز المناعة ، لذلك أنت حينما توحّد ، وترى أن الأمر بيد الله وحده ، وأن الله لن يسلمك لمخلوق شرير ، أمرك بيده ، قال الله عز وجل :

﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾

[سورة هود الآية : 123]

هذا الذي يملأ نفس الإنسان طمأنينة ، وصحته تكون في استقرار مستمر .

ثبت الآن أن الإنسان المتوازن المتصل بالله عز وجل الذي تلقى وعد الله بالحفظ والرعاية ، والذي تلقى قوله تعالى :

﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾

[سورة طه الآية : 123]

الذي قرأ قوله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾

[سورة النحل الآية : 128]

وكلمة (مع) تعني أنه معه بالحفظ والتأييد والتوفيق ، فهذه المعاني الإيمانية تنعكس تفاؤلاً وصحة ، وجهاز المناعة المكتسب ما الذي يقويه ؟ الحب والود والشعور بالأمن ، قال تعالى :

﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

[سورة الأنعام الآية : 81]

الذين آمنوا وحدهم يتمتعون بنعمة الأمن ، هذه النعمة من لوازم المؤمن ، أما الإنسان غير المؤمن ، ولو كان أقوى أقوياء الأرض ، فقذف في قلوبهم الرعب بما أشركوا ، فنعمة الأمن لا تعدلها نعمة ، إنها نعمة خاصة بالمؤمن .

﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾

[سورة الأنعام الآيات : 81-82]

المذيع :

نعمة الإيمان ليست فقط نعمة روحية ، إنما هي جسدية وصحة ، وتقوي جهاز المناعة ، ولا تضعفه ، ولذلك :

﴿ أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾

[سورة الرعد الآية : 28]

فإذا اطمأن قلب المسلم والمؤمن بالإيمان اطمأن جسده أيضاً .

الأستاذ :

بعض الأطباء يقول : طبيعة عصور السلف الصالح كانت حياتها خشنة ، تحتاج إلى جهد عضلي ، بينما هناك راحة نفسية ، والراحة النفسية وبذل الجهد وراء الصحة ، الآن كل شيء بالأزرار ، مصعد ، مركبة ، غسيل ،

فالكسل عضلي ، والشدة نفسية وراء معظم الأمراض ، لا يوجد بذل جهد ، ولا رياضة ، ويقابلها خوف وقلق ، وقهر وحسد ، وغيبة ونميمة ، وتهديد ، فهذه مشكلة كبيرة ، فأنت حينما تؤمن بالله يلقي الله في قلبك السكينة فأنت في صحة جسمية عالية جداً .

خاتمة و توديع :

المذيع :

أيها الإخوة والأخوات ؛ كنا مع فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، نشكره على سعة صدره ، وعلى هذه المعاني التي يقوينا بها ، ويلقي الضوء عليها كي نتفكر بها ، ونتعلمها ، فإلى حلقة قادمة من برنامج الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة ، نستودعكم الله ، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

والحمد لله رب العالمين

الحلقة 06 – 30 : التيموس

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

المذيع :

اللهم رب البيت العتيق أعتق رقابنا ورقاب آبائنا وأمهاتنا من النار ، يا ذا الجود والكرم ، والفضل والمنِّ والعطاء. أخوة الإيمان والإسلام ، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، حلقة جديدة من برنامج : "الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة" ، معنا فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، أستاذ محاضر في كلية التربية بجامعة دمشق ، خطيب ومدرس ديني في جوامع دمشق ، أهلاً وسهلاً بكم .

كما ذكرتم فضيلة الدكتور في كتابكم ، الكون مظهر لأسماء الله الحسنى وصفاته الفضلى ، فيمكن أن تلمس من خلال الكون أسماء الله الحسنى وقدرته وعلمه ورحمته وعدالته ، لذلك فإن القرآن طافح بالآيات التي تدعو إلى التفكر في خلق السموات والأرض ، ما دمنا بدأنا الحديث عن الإنسان ، فسنبدأ بالحديث عن أعضائه ، التيموس ذكرتموها في كتابكم ، فما هي ؟ وما هي وظيفتها ؟

وظيفة التيموس :

الدكتور راتب :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

أستاذ عبد الحليم ، جزاكم الله خيراً ، بادئ ذي بدء لا بد من ذكر آيتين ، الآية الأولى :

﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾

[سورة الإسراء: 85]

والآية الثانية :

﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾

[سورة البقرة : 255]

إنها غدة صغيرة جداً إلى جانب القلب ، أجمع الأطباء والعلماء لقرون عدة أن هذه الغدة لا فائدة لها إطلاقاً ، ولا وظيفة لها إلى سنوات لا تزيد على عشر ، ثم اكتشف أن هذه الغدة أخطر غدة في جسم الإنسان ، هذا الظن المتوهم ، وهذه الحقيقة الناصعة تؤكد أن الإنسان لا يعلم إلا أن يعلِّمه الله :

﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾

[سورة الإسراء: 85]

لماذا قال الأطباء : إن هذه الغدة لا وظيفة لها ولا فائدة منها ؟ لأنها تضمر تماماً بعد سنتين ، وكأنها لم تكن ، هذا الضمور بعد سنتين من الولادة ، وكأنها لم تكن ، هذا الضمور القريب من الولادة أوهم العلماء أنه لا فائدة منها إطلاقاً ، ثم اكتشف أنها– وأنا أعني ما أقول – أخطر غدة في جسم الإنسان ، ذلك أن جهاز المناعة المكتسب الذي تحدثنا عنه بفضل الله في حلقة سابقة فيه خمس فرق ، فيه فرقة الاستطلاع ، وفرقة المقاتلين ،

وفرقة تصنيع السلاح ، وفرقة الخدمات والمغاوير .

يعنينا من هذا الموضوع السابق الفرقة الثانية ، فرقة المقاتلين ، إنها كريات بيضاء تحمل سلاحًا خطيرًا ، ولكن تقاتل به من ؟ سماها العلماء قبل أن تدخل هذه المدرسة الحربية الغدة الصعترية ، التيموس ، خلايا تائية همجية، إنسان جاهل معه سلاح قد يقتل أولاده ، فهذه الكريات البيضاء المقاتلة الفرقة الثانية من جهاز المناعة المكتسب تدخل إلى هذه المرحلة الحربية ، وتقبع فيه سنتين ، تتعلم من هو الصديق ، ومن هو العدو ، ففي صورة مجهرية من مجهر إلكتروني يكبر ألوف المرات صورت هذه الغدة فإذا بها مدرج كالمدرج الروماني تماماً ، وهذه الكريات البيضاء الخلايا التائية الهمجية جالسة في مقاعد تستمع بطريقة أو أخرى إلى دروس تتعلم بها من هو الصديق ، ومن هو العدو ، خلية معها سلاح خطير تقاتل من ؟ من هو العدو ؟ هناك آلاف العناصر الصديقة البروتينات ، والمواد المرممة هي مواد صديقة للإنسان ، وهناك آلاف العناصر العدوة ، فلابد من أن تتعلم هذه الخلايا – هذه الكريات البيضاء – من هو الصديق ومن هو العدو ، طريقة التعلم لا تزال مجهولة ، لكن الطفل في هاتين السنتين يضع كل شيء في فمه للتعرف على المحيط ، ويأخذ من مناعة الأم فيتعلم من تجاربه ومن أمراض أصيب بها ، مجموع هذه النشاطات تشكل معلومات حول الصديق والعدو . لكن كما تعلمون ليس هناك مدرسة على الإطلاق إلا وفيها امتحان ، كيف تمتحن هذه الخلايا التي تلقت العلم سنتين ؟ هناك لهذه الغدة مخرجان امتحانيان ، في المخرج الأول تعطى الكرية البيضاء الخلية التائية التي أصبحت مثقفة ، كانت همجية فأصبحت مثقفة ، تعطى عنصرًا عدواً ، فإن قتلته نجحت ، وإن لم تقتله رسبت ، ورسوبها يعني قتلها ، ثم تعطى امتحانًا آخر ، تعطى عنصرًا صديقًا ، فإن قتلته رسبت ، وتقتل ، وإن لم تقتله نجحت وتنطلق ، فبعد عامين تتخرج هذه الخلايا التائية التي كان اسمها همجية ، فأصبح اسمها بعد الدراسة والثقافة الخلايا التائية المثقفة ، تتخرج ، وقد عرفت من خلال هذه الدورة التي استغرقت سنتين من هو الصديق ،

ومن هو العدو .

المذيع :

سبحان الله ! خلال هاتين السنتين كما ذكرتم يأخذ الطفل مناعة الأم ، حتى لا يبقى من دون مناعة ، ولكن هذه الدورة التدريبية ، وكأننا في مدرسة فعلاً ، وبعد ذلك يصبح هناك خلايا مقاتلة كما ذكرتم .

ضمور غدة التيموس بعد سنتين فقط :

الدكتور راتب :

لماذا تضمر ؟ نظام هذه الكليّة أن المتخرجين يوكل إليهم أمر تعليم الأجيال الصاعدة إلى نهاية الحياة ، فهؤلاء الخرّيجون هم الأساتذة ، يعلّمون بقية الخلايا ، وبقية الكرية البيضاء إلى نهاية الحياة ، فعندئذ تنتهي مهمة المدرسة ، فتغلق أبوابها ، وتضمر ، وضمورها سبب الأوهام الذي قالوا : إنها بلا فائدة ، ولا وظيفة لها . ما الذي يحصل بعد الخمسين عامًا ؟ يضعف التعليم ، وهذا يجري عند المدرّسين بعد سنٍّ معينة ، يعطي درساً مختصراً بلا تفاصيل ، بلا أدلة ، فيبدو أن هذه الكريات البيضاء الجيل الأول الذي أوكل إليه تعليم الأجيال اللاحقة ، أو لعل كل جيل يعلم جيلا آخر ، هذا في علم الله عز وجل ، في سنّ معينة يضعف التعليم ، فيصاب هذا الجهاز بما يسمى بالخرف المناعي ، وهو كالحرب الأهلية في البلاد ، هذه العناصر المقاتلة ، ومعها سلاح، بدل أن تقاتل الأعداء تقاتل الأصدقاء ، هناك سبعة أمراض يسببها الخرف المناعي ، كالتهاب المفاصل الرثوي ، هذه حرب أهلية ، الكريات البيضاء تهاجم العناصر الصديقة ، ثم يموت الإنسان ، على كل هذه الغدة التي لم يهتم بها ، ولم يلتفت إليها كانت في ظن علماء كبار أنها لا فائدة منها ، ولا وظيفة لها ، فإذا هي أخطر غدة في الإنسان ، لأنه لولا هذه الغدة لمات الإنسان منذ زمن طويل .

البارحة كنت أتابع موضوعًا علميًّا ، فقيل : إن المشيمة تقوم بعمل جبار ، لو أوكل إلى أكبر عالم في الطب لمات الجنين في ساعة .

المذيع :

فضيلة الدكتور ، كما ذكرتم لنا الغدة الصعترية أو التيموس التي هي مثقفة ومعلمة للجهاز المناعي والكريات البيضاء ، وذكرتم أيضاً في كتابكم الغدة النخامية ، عادة ما نسمع باسمها ، ولكن لا نعلم ما هي وظيفتها ؟

الغدة النخامية ملكة الغدد :

الدكتور راتب :

الغدة النخامية هي ملكة الغدد ، إنها تهيمن على كل الغدد الصماء في الجسم ، كيف أن النظام العصبي له ملك، هو الدماغ ، وأن أوامره كهربائية ، كذلك النظام الهرموني في الإنسان ، نظام بالغ التعقيد ، ودقيق جداً ، على رأسه ملكة هي الغدة النخامية .

الغدة النخامية لا يزيد وزنها على نصف غرام ، تفرز عشرة هرمونات ، لو أن واحداً تعطل إفرازه لأصبحت حياة الإنسان جحيماً لا يطاق ، أضرب مثلاً : لو أن إنسانًا يمشي في بستان ، ورأى أفعى ، طبعاً ما الذي حصل ؟ صورة هذه الأفعى انطبعت على شبكية العين، إحساس ضوئي ، هذه الصورة تنقل للدماغ ، الدماغ فيه إدراكات ومفهومات ، هذا الطفل سمع بعض القصص من جدته ، رأى عند صديقه أفعى في وعاء ، قرأ في كتاب العلوم عن الأفعى ، وسم الأفعى ، فمن مجموع قراءاته ومشاهداته وخبراته ينشأ في دماغه مفهوم الأفعى ، فإذا قيل له: أفعى ، أو رآها أثير فيه هذا المفهوم ، ويخاف عندها .

يوجد تعليق لطيف جداً : الإنسان تعامله مع المحيط الخارجي وفق القانون التالي ، إدراك ، انفعال ، سلوك ، أنت حينما ترى أفعى تدرك أن لدغتها قاتلة ، لا بد من أن تنفعل ، والانفعال لا بد من أن يعقبه سلوك ، إما أن تقتلها ، وإما أن تهرب منها ، فإذا أدركنا ، ولم ننفعل ففي إدراكنا خلل ، فإذا انفعلنا ، ولم نتحرك ففي انفعالنا كذب ، قد يكون الإدراك غير صحيح .

مثلاً لو أن واحداً قال لآخر : على كتفك عقرب ، فبقي هذا الذي تلقى هذا الخبر هادئاً مبتسماً ، والتفت نحوه ، وقال : أشكرك من أعماق قلبي على هذه النصيحة الثمينة، وسأكافئك ، وأرجو الله أن يمكنني أن أكافئك عليها ، معنى ذلك أنه ما سمع ما قيل له ، لو سمع كلمة عقرب لخرج من جلده قبل أن يلتفت نحوه ويشكره ، فأنت حينما تدرك ولا تنفعل فإنّ في الإدراك خللاً ، وحينما تنفعل ولا تتحرك ففي الانفعال خلل ، فهو انفعال كاذب ونفاق .

فلذلك علامة فهمنا للدين طريقة تطبيق تعليمات الصانع ، المبادرة لتطبيق تعليمات الصانع .

نعود إلى المثل : هذا عندما رأى أفعى انطبعت صورتها على شبكية العين إحساساً ، وانطلقت للدماغ إدراكاً ، الدماغ ملِك ، عنده معلومة خطيرة ، أن هناك خطرًا ينتظر صاحبه ، مكافحة هذا الخطر من مهمة ملكة الغدد النخامية ، ما دام الدماغ ملكاً ، والغدة ملكة فلا بد لها من ضابط ارتباط ، فهناك جسم في الدماغ اسمه تحت السرير البصري ، هذا ضابط الارتباط بين ملكة الغدد وملك الجهاز العصبي ، فالدماغ عن طريق هذا الضابط يخبر الملكة أن هناك خطراً فتصرَّفي .

وظائف الغدة النخامية :

1 . إصدار أوامر للكظر :

هذه الغدة النخامية عندها أفراد وفريق عمل من أكبر رفقاء عملها الكظر ، غدة فوق الكلية ، الكظران ، فوق كل كلية غدة اسم الواحد منها الكظر ، فالغدة النخامية تأمر الكظر، وكأنه وزير داخلية ، هناك مشكلة فتصرّف ، ماذا يفعل الكظر ؟ يرسل أمراً للقلب برفع النبض ، لأن القلب مهمته الآن أن يعطي كمية دم زائدة ، وعلى سرعتها التقليدية بثمانين ضربة في الدقيقة ، الدم محدود ، فلا بد من رفع القلب إلى مئة وثمانين نبضة، فأول أمر من الكظر إلى القلب برفع النبض ، لو أن نبض القلب ارتفع ، ولم يوافقه ارتفاع وجيب الرئتين لكان هناك مشكلة ، لا بد من أمر آخر للرئتين برفع الوجيب ، فالخائف تزداد ضربات قلبه ، ويرتفع وجيب رئتيه ، يتنفس بشكل سريع . أمر ثالث : هذا الإنسان أبيض اللون، وردي جلده جميل جداً ، وليس بحاجة للجمال ، وهو يواجه خطر الموت ، لذلك يصدر أمرًا للأوعية المحيطية بتضييق لمعتها لتوفير الدم ، لا إلى لون أزهر ، بل إلى جهد أكبر ، لذلك الخائف يصفر لونه ، الأمر الثالث من الكظر إلى الأوعية المحيطية بتضييق لمعتها. الأمر الرابع يذهب إلى الكبد ليطلق مزيداً من السكر ، ليكون وقوداً للعمل الطارئ ، لو فحصنا دم خائف لوجدنا كمية السكر فيه غير طبيعية ، زائدة جداً ، ثم إن هذا الخائف قد يحتاج لأن يقاتل ، فقد تأتيه ضربة سكين فينزف دمه كله ، يصدر أمراً للكبد بإطلاق هرمون التجلط ، فلو فحصنا لزوجة دم خائف لوجدنا اللزوجة عالية جداً ، لئلا يسيل دمه من جرح صغير ، فهذه خمسة أوامر يصدرها الكظر ، أمر للقلب ، وأمر للرئتين ، وأمر للأوعية ، وأمران للكبد ، وهذا كله للغدة النخامية ، هذا كله يتم في ثانية واحدة ، فهذه أحد مهمات الغدة النخامية، أن تصدر أوامر للكظر كي يواجه الخطر .

2 . إفراز هرمون النمو :

هناك هرمون آخر هو هرمون النمو ، الحقيقة أنّ هذا الهرمون مؤلف من مئة وثمانية وثمانين حمضاً أمينياً ، وقد قرأت في كتاب ألفه عالم أميركي عنوانه : " الله يتجلى في عصر العلم " ، يقول هذا الكاتب : إن ذرة واحدة من حمض أميني لا يمكن أن تكون صدفة ، ولو من ذرات الكون مجتمعة ، ذرات الكون بأكملها لا يمكن بحسب مبدأ الصدفة أن تصنع ذرة من حمض أميني ، يجب أن يكون في كل لتر من دم الإنسان عشرة ميكروغرامات من هذا الهرمون ، هرمون النمو ، إن زاد هذا تعملق الإنسان ، وإن قلّ عن مستواه تقزّم ، فإذا كان إفرازه طبيعياً كان بهذا الشكل المعتدل ، هذا هرمون النمو ، وذاك هرمون الكظر .

3 . إفراز هرمون الحليب :

وهرمون آخر إفراز الحليب ، فالغدة النخامية بعد الحمل بقليل تبدأ بإفراز هرمون يجول في الدم حتى يبلغ أوجه بعد الوضع ، فإذا ثديا الأم تفرزان الحليب من هذه الغدة النخامية، أو بأمر من هذه الغدة التي لا يزيد وزنها على نصف غرام ، هذا صنع من ؟

﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾

[سورة البلد: 8-10]

من أوجه تفسيرات هذه الآية : وَهَدَيْنَاهُ الثديين ، طعام جاهز ، بارد في الصيف، دافئ في الشتاء ، تتبدل نسبه في الرضعة الواحدة ، في أول الرضعة تكون نسبة الماء ستين بالمئة ، وفي آخرها تكون نسبة الماء أربعين بالمئة ، فهذا من هدية الله لهذا المخلوق الصغير .

4 . توجيه الغدة الدرقية :

هناك هرمون الغدة الدرقية ، وهي تقوم بأخطر عمل ، ألا وهو الاستقلاب أي تحول الطعام إلى طاقة ، فالذي يزيد وزنه كثيراً يكون هناك خلل في غدته الدرقية ، يبقى بعض الغذاء مخزَّنًا في الجسم ، أما حينما يتحول الغذاء بكامله إلى طاقة فيبقى وزن الإنسان طبيعياً ، فالغدة النخامية توجه الغدة الدرقية ، بل إن هرمون الغدة الدرقية يثبت الغدة النخامية ، وهرمون الغدة النخامية يحث الغدة الدرقية ، من هذا التوازن بين الهرمونين تقوم الغدتان بأفضل الوظائف.

المذيع :

إذاً للغدة النخامية عدة وظائف ، تصدر أوامر للكظر ، وإفرازات الحليب أيضاً، وهناك النمو ، وتوجيه الغدة الدرقية .

5 . إفراز الهرمون الجنسي :

الدكتور راتب :

هناك الهرمون الجنسي ، علامات الذكورة في الطفل تبدأ بالظهور بعد إفراز هرمون الجنس .

صديق لي كان في ألمانيا ، فالتقى بمديرة مبيعات ، بعد حين التقى بها ثانية ، فإذا هي بمعالم أخرى ، صوتها خشن ، نبت شعر في وجهها ، فسألها ، قالت وبكت : لقد أصاب غدتي النخامية عطب ، فأنا أنفق نصف دخلي لأبقى على هذه الحالة ، فهناك نعم كبيرة، هذه الغدة نصف غرام تعطي للذكر خصائصه ، وللأنثى خصائصها ، عن طريق هرمون الجنس .

6 . إفراز هرمون توازن السوائل :

هذه الغدة تفرز هرمون توازن السوائل ، لو أن هذا الهرمون اضطرب فلم يفرز لأمضى الإنسان كل وقته بين صنبور الماء ودورة المياه ، قد يشرب برميل ماء في اليوم ، هرمون توازن السوائل ، إنه يشرب بالحد المعتدل ، ويطرح هذا الماء على شكل بول في الحد المعتدل ، فهذه الغدة لها دور خطير في حياة الإنسان ، وقد سماها العلماء ملكة الغدد ، لأنها تشرف على معظم الغدد الصماء في الجسم .

خاتمة و توديع :

المذيع :

هذا التكوين العجيب لجسم الإنسان ، ولكل جهاز وظيفة معينة ، وغدة دقيقة ، وهذه الدقة لا بد لها من خالق ، كما ذكرنا في هذه الحلقات من الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة .

نشكركم فضيلة الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي في نهاية هذه الحلقة ، وإلى حلقة قادمة بإذن الله تعالى ، نستودعكم الله ، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

والحمد لله رب العالمين

الحلقة 07 – 30 : البعوضة والنمل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة :

المذيع :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، اللهم صلِّ وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أخوة الإيمان والإسلام ، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، معنا اليوم فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، أهلاً وسهلاً بكم .

أيها الأخوة ؛ في هذه الحلقة من برنامج : "الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة" نتحدث عن مخلوق صغير هو النمل ، ومخلوق آخر هو البعوضة ، لقد جعل الله عز وجل لحكمة أرادها في كل صفة مادية في الإنسان حيوان يفوقه بها ، إلا أن الإنسان كرّمه الله بالعقل والمعرفة والإيمان ، وبهاتين الصفتين يتفوق على بقية مخلوقاته .

يا من يرى مدّ البعوض جناحها في ظلمة الليل البهيم الأليل

ويرى مناط عقولها في نحرها والمخ في تلك العظام النحل

امنُنْ عليّ بتوبة تمحُ بها ما كان مني في الزمان الأول

***

فضيلة الدكتور ، دعنا نتعرف على البعوضة وخصائصها ، وكيف تعيش .

البعوضة :

الدكتور راتب :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

أستاذ عبد الحليم ، جزاك الله خيراً ، يقول الله عز وجل في كتابه الكريم:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً ﴾

[سورة البقرة : 26]

أعتقد أنه ما من مخلوق أهون على الإنسان من بعوضة ، بل إن النبي عليه الصلاة والسلام يقول في حديثه ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ ماء))

[الترمذي عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ]

مخلوق هيّن على الإنسان ، قد يقتل الإنسان بعوضة ، ولا يشعر أنه قتل شيئاً ، هوانها على الإنسان لا حدود له، ومع ذلك ففي هذه البعوضة من الآيات الدالة على عظمته الشيء الكثير ، كيف لا وقد ذكرت في القرآن الكريم !

هناك ملاحظة دقيقة ، عدد الآيات الكونية الدالة على عظمة الله لو أنك قلت: مليار مليار مليار إلى نهاية الحياة لا تنتهي ، لكن الله اختار لنا من هذا العدد اللامتناهي عددًا محدودًا في القرآن ، ألف وثلاثمئة آية تتحدث عن الكون ، فأنت حينما تقرأ آية فيها أمر ، فهذا الأمر يقتضي أن تأتمر ، وحينما تقرأ آية فيها نهي فهذا النهي يقتضي أن تنتهي ، الآن حينما تقرأ آية كونية يقتضي هذا أن تفكر في هذه الآية ، وكأن هذه الآيات الكونية المتعلقة بالسموات والأرض ، وبخلق الإنسان ، وخلق الحيوان والنبات ، هي رؤوس موضوعات للتفكر ، فيكفيني

أن يذكر الله في قرآنه البعوضة ، إذاً هي آية كبيرة على صغر شأنها وحقارة مكانتها عند الإنسان .

المذيع:

ضرب فيها المثل لصغر حجمها وشأنها ، ولكن هناك أمور عظيمة ذكرتموها في هذا الكتاب .

حياة البعوضة و وظائفها :

الدكتور راتب :

لكن يقول الله عز وجل بعد قليل:

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً﴾

[سورة البقرة : 26]

لمَ هذا المثل ، وما قيمته ؟ البعوضة في رأسها مئة عين بالتمام والكمال ، طبعاً هذا كله عُرِضَ على مجاهر إلكترونية ، وأنا أجريت ندوة في سوريا ، وعرضت هذه الصور ، صور مكبرة ، في رأسها مئة عين ، وثمانية وأربعون سناً ، ولها ثلاثة قلوب في صدرها ، قلب مركزي ، وقلب لكل جناح ، وفي كل قلب أذينان وبطينان ودسامان ، أما البعوضة فتملك جهازاً لا تملكه الطائرات ، إنها لا ترى الأشياء لا بشكلها ، ولا بلونها ، ولا بحجمها ، ولكنها تراها بحرارتها فقط ، عندها جهاز استقبال حراري لا تملكه أدق الطائرات ، لذلك هذا الجهاز حساسيته واحد على ألف من الدرجة المئوية ، إذا ارتفعت الحرارة واحدًا على ألف يبدو أمام عينها ظاهراً ، وفي غرفة مظلمة في الليل ينام طفلان على سرير ، لا ترى في هذه الغرفة إلا الطفلين ، تتجه إلى أحدهما ، هذا الجهاز نسميه تجاوزاً : جهاز رادار ، أما الاسم الأدق فهو جهاز استقبال حراري ، يستقبل الصور بحرارتها ، تتجه إلى جبين هذا الطفل ، وما كل دم يناسبها ، قد ينام طفلان على سرير واحد ، يستيقظ الأول ، وقد ملئ

بلسع البعوض ، والثاني لم يُلسع لسعة واحدة، إنها تحلل الدم ، تختار من بعض الدماء ما يناسبها ، ففضلاً عن جهاز الاستقبال الحراري وجهاز الرادار هناك جهاز تحليل دم ، إنها إن وقعت على طفل ، وخافت أن يقتلها إن انتبه ، لا بد من تخديره ، معها جهاز تخدير ، والإنسان حينما يتوهم أنه قتلها هي في الجو ، أطلق يده بعد أن انتهى تأثير المخدر ، فمعها جهاز رادار ، وجهاز استقبال حراري ، وجهاز تحليل دم ، وجهاز تخدير ، لأن خرطومها دقيق جداً ، والدم اللزج قد لا يمر في خرطومها ، فلابد من تمييع الدم ، فمعها جهاز رادار ، وتخدير، وتمييع ، أما خرطوم هذه البعوضة فشيء لا يكاد يصدق ، خرطومها فيه ست سكاكين ، أربع سكاكين تحدث جرحاً مربعاً ، ولا بد لهذه السكاكين من أن تصل إلى وعاء دموي كي تمتص الدم ، وسكينان آخران يلتئمان على شكل أنبوب ضمن السكاكين الأربع ، فست سكاكين ، أربع لإحداث جرح ، وسكينان لامتصاص الدم، هذا بخرطومها الدقيق ، طبعاً هذا الكلام متى عرف ؟ بعد أن اخترع المجهر الإلكتروني ، وهو يكبر أربعين ألف مرة، أنا حينما أشتري مكبراً من السوق هذا يكبر ثماني مرات ، الأنواع العالية جداً عشر مرات ، بينما الإلكتروني قد يصل التكبير إلى أربعين ألف مرة .

المذيع:

وحتى نرى هذه الدقة بالوصف مئة عين ، فالبعوضة نراها بشكلها ، وهي صغيرة جداً ، فكيف نرى هذه الأعين أو القلوب ، وما شابه ذلك ؟

البعوضة من آيات الله الدالة على عظمته :

الدكتور راتب :

عيون مئة ، ثمان وأربعون سنًّا ، أسنان ، قلوب ثلاثة ، أجهزة جهاز استقبال حراري ، جهاز تحليل ، جهاز تخدير ، جهاز تمييع ، الآن إذا وقفتْ على سطح أملس كيف تقف ؟ عندها محاجم على أساس ضغط الهواء ، أنت حينما تريد أن تعلق مشجبًا في حمام معتنى به جداً ، وتخاف أن تثقب هذا البلاط الراقي تأتي بمشجب على أساس الضغط ، تفريغ الهواء يجعل المشجب يلصق بالبلاط ، فعندها محاجم تمكنها من الوقوف على سطح أملس بمحاجمها ، فإذا كان السطح خشناً تقف بمخالبها ، والبعوضة يرف جناحاها بعدد كبير جداً ، يبلغ درجة الطنين ، بعضهم قال : آلاف المرات في الثانية الواحدة ، ثم إن هذه البعوضة تشم رائحة عرق الإنسان من ستين كيلو مترًا تقريباً ، فهذه هي البعوضة ، الله عز وجل يقول:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾

[سورة البقرة : 26]

هذا من آيات الله الدالة على عظمته ، وأنا حينما أذكر آية كونية في خلق الله في مخلوقاته ، في الحيوان ، والنبات ، في الإنسان ، أتابع وأقول:

﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾

[سورة الإسراء : 85]

وقد تظهر أبحاث وأبحاث حول البعوضة ، قد لا نصدق بعضها ، لكنها حقيقة علمية ، الله عز وجل خلق هذا الكون من أجل أن نعرفه بالدليل ، الله عز وجل يقول:

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾

[سورة الطلاق: 12]

المذيع:

فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم البعوضة ، وضرب بها مثلاً ، ولكن الآن سورة بأكملها سميت باسم النمل ، فطبعاً هناك شأن لهذه النملة ، فما هو شأنها ، وكيف تعمل ؟

النمل من أرقى الحشرات الاجتماعية :

الدكتور راتب :

يوجد تقديم لهذا الموضوع دقيق ، الحقيقة أن النمل من أرقى الحشرات الاجتماعية ، ففي مجتمع النمل انضباط لا يصدق ، اختصاص لا يصدق ، قد يعجب الإنسان، هناك تساؤل : مجتمع البشر فيه تقصير وتسيّب ، وانحرافات وجرائم ، وقتل ، ومجتمع النمل كماله يكاد لا يصدق ، ما تفسير ذلك ؟

الجواب سهل جداً : نظام البشر بأمر تكليفي ، ونظام النمل بأمر تكويني ، معنى ذلك أن بالأمر التكليفي لك أن تخالف ، كما لو وُضعت لافتة مكتوب عليها " ممنوع المرور " على أول طريق ، وهذا ليس معناه أنك لا تستطيع أن تخالف ، لكن إذا خالفت تعاقب فقط ، أما لو وضعنا أربعة مكعبات إسمنتية في أول الطريق فلن تستطيع أن تمشي في هذا الطريق ، هذا أمر تكويني ، فنظام النمل المعقد انضباطه الشديد بأمر تكويني ، بينما نظام الإنسان بأمر تكليفي ، لذلك ترى في المجتمع الإنساني تفلتًا وتسيّبًا ، لكن هناك تكليفاً ، وهناك جزاء وعقاباً، وجنة ونار ، أما مجتمع النمل فمجتمع راقٍ جداً ، ولكن بأمر تكويني ، ليس هناك تكليف ، وليس هناك ثواب ولا عقاب .

أستاذ عبد الحليم ، النملة حشرة اجتماعية راقية جداً ، موجودة في كل مكان ، وفي كل وقت ، بل إن أنواع النمل تزيد على تسعة آلاف نوع ، بعضه يحيا حياة مستقرة في مساكن محكمة ، وبعضها يحيا حياة الترحال كالبدو تماماً ، بعض أنواع النمل يكسب قوته بجهده وسعيه ، وبعضه يكسبه بالغدر والسيطرة ، والنمل حشرة ذات طبع اجتماعي ، فإنها إذا عزلت عن أخواتها ماتت ، ولو توافرت لها كل مقومات الحياة ، من غذاء جيد ، ومكان جيد، وظروف جيدة ، فهي كالإنسان إذا عزلته في مكان بعيد عن الضوء والصوت ، والساعة والزمن، والليل والنهار ، عشرون يوماً اختل توازنه .

المذيع:

فضيلة الدكتور ، سميت سورة في القرآن الكريم باسم النمل ، وذلك لعلو شأنها أو لضرب مثل للإنسان ، ولكن هناك سؤالاً ، وإن كان فقهيًّا أكثر من أن يختص بالإعجاز العلمي، البعض يستصغر هذه الحشرة ، ويقتلها ، فما شأن هذا الإنسان ؟

النهي عن قتل النمل :

الدكتور راتب :

نهي عن قتلها ، لأنها حينما قالت نملة:

﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾

[سورة النمل: 18]

استنبط العلماء أن الإنسان المؤمن لا يقتل نملة وهو يشعر ، فإذا قتلها يقتلها ، وهو لا يشعر ، فلذلك منهي عن قتل النمل .

مهمات النمل :

هذه النملة تعلّم الإنسان درساً بليغاً في التعاون ، أودع الله في جهازها الهضمي جهاز ضخ وجهاز مص ، فإن كانت شبعى وأختها جائعة تستخدم جهاز الضخ ، وتعطيها من عصارتها الهضمية ، فهي تعطي وتأخذ ، الإنسان عنده جهاز مص فقط ، بل أنا أرى البشر على نوعين ، نوع قدوته الأنبياء ، جاؤوا الحياة فأعطوا ، ولم يأخذوا ، ونوع قدوته الأقوياء ، أخذوا ولم يعطوا ، وبعض الناس يأخذ ويعطي ، ولكن قمم الأنبياء أعطت ولم تأخذ ، والطغاة أخذوا ولم يعطوا ، بينما معظم البشر يأخذون ويعطون ، فالذي قدوته نبي كريم يغلب عليه العطاء ، والذي كان قدوته قوياً جباراً في الأرض يغلب عليه الأخذ ، لكن المؤمن يأخذ ويعطي . إذا التقت نملة جائعة بشبعى تعطي النملة الشبعى خلاصات غذائية من جسمها، للنمل ملكة كبيرة الحجم ، مهمتها وضع البيض ، وإعطاء التوجيهات ، ولها مكان أمين في مساكن النمل ، وهي على اتصال دائم بكل أفراد المملكة ، والإناث العاملات لهن مهمات متنوعة ، من هذه المهمات تربية الصغار ، وهذا يشبه قطاع التعليم ، وفي النمل عساكر لها حجم أكبر ، ورأس صلب ، كأن عليه خوذة ، وهذا يشبه قطاع الجيش في حراسة الملكة ، والأمن ، ورد العدوان ، ومن مهمات العاملات تنظيف المساكن والممرات ، وهذا يشبه قطاع البلديات ، ومن مهمات العاملات سحب جثث الموتى من المساكن ، ودفنها في الأرض ، وهذا يشبه مكاتب دفن الموتى ، ومن مهمات العاملات جلب الغذاء من خارج المملكة ، وهذا يشبه قطاع المستوردين ، ومن مهمات العاملات زرع الفطريات ، وهذا يشبه قطاع الزراعة ، ومن مهمات العاملات تربية حشرات تعيش النمل على رحيقها ، وهذا يشبه قطاع تربية المواشي .

يبني النمل المدن ، ويشق الطرقات ، ويحفر الأنفاق ، ويخزن الطعام في مخازن وصوامع ، وبعض أنواع النمل يقيم الحدائق ، ويزرع النباتات ، وبعض أنواع النمل يقيم حروباً على قبائل أخرى ، فيأخذ الأسرى من ضعاف

النمل المخزون ، الآن لندقق في هذه الآية:

﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾

[سورة الأنعام: 38]

واللهِ – أستاذ عبد الحليم – لو قرأنا كل التفاسير لا تجد تفسيراً لهذه الآية أقوى من هذا البحث العلمي:

﴿ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾

[سورة الأنعام: 38]

أرأيت إلى مهمات النمل ؟ نمل يعيش على العدوان ، ونمل على الكسب الشريف، ونمل يقوم بتربية المواشي ، ونمل يقوم بزراعة بعض المزروعات ، ونمل يستورد ، ونمل يربي ، ونمل يخطط ، ونمل يحرث . المذيع:

هناك مهمات كثيرة يقوم بها النمل ، وكأنه أشبه بالإنسان ومجتمعه ، لذلك لا بد له من إدراك معين كي يبني هذه المدن والمساكن ، وله عدة قطاعات كما ذكرتم .

لغة النمل كيماوية و لها وظيفتان :

الدكتور راتب :

﴿ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾

[سورة الأنعام: 38]

لقد أثبت الله ﷻ من خلال هذه الآية الكلام للنمل نوعاً من المعرفة ، للنملة مخ صغير ، وخلايا عصبية ، وأعصاب لتقدير المعلومات ، وخرائط كي تهتدي بها إلى مواقع الغذاء ومساكنها ، وإن النملة تملك نوعاً من

التصرف العقلاني ، وهي من أذكى الحشرات، وهي ترى بموجات ضوئية لا يراها الإنسان ، ولغة النمل كيماوية، لها وظيفتان ، التواصل والإنذار ، فلو سحقت نملة فإن رائحة تصدر عنها تستغيث بها النملات ، وتحذرها من الاقتراب من المجزرة ، ولا تستطيع نملة دخول مسكنها إلا إذا بيّنت كلمة السر ، وهي تبدّل من حين إلى آخر .

﴿ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾

[سورة الأنعام: 38]

وللنملة جهاز هضم مدهش ، فيه فم ومريء ، ومعدة وأمعاء ، وجهاز مص وجهاز ضخ .

الإمام علي كرم الله وجهه يقول: " انظروا إلى النملة لصغر جثتها ، ولطافة هيئتها ، لا تكاد تنال بلحظ البصر ، ولا بمستدرك الفكر ، كيف دبت على أرضها ، وصبت على رزقها ، تنقل الحبة إلى حجرها ، وتعدها في مستقرها ، تجمع من حرها لبردها ، وفي وردها لصدرها ، مكفولة برزقها ، مرزوقة بوسقها ، لا يغفلها المنان ، ولا يحرمها الديان ، ولو فكرت في مجاري أكلها ، في علوها وسفلها ، وما في الجوف من شراسيف بطنها ، وما في الرأس من عينها وأذنها ، لقضيت من خلقها عجباً ، وللقيت من وصفها تعباً ، فتعالى الله الذي أقامها على قوائمها ، وبناها على دعائمها ، لم يشركه في فطرتها فاطر ، ولم يُعِنه على خلقها قادر ، لا إله إلا هو ، ولا معبود سواه " ، هذا كلام سيدنا علي .

يوجد قول آخر ، يقول الإمام الجليل : " الشرك أخفى من دبيب النملة السمراء على الصخرة الصماء ، في الليلة الظلماء " على كل هذه آيات دالة على عظمة الله عز وجل ، أثبت الله للنملة الكلام والمعرفة . في بحث آخر قرأته عن النمل أنّ النملة إذا أوشكت أن تموت ترسل لأخواتها بشارة أن تعالوا فادفنوني ، جاء عالم من علماء النمل فأخذ هذه الرائحة ، ووضعها على نملة صحيحة قوية متينة ، فجاءت النملات ، ودفنوها ، معهم نص ، هؤلاء نصيُّون ، متفقون على هذه الرائحة ، مع أنها تحيا حياة طيبة ، وترزق لكنها دُفنت ، جاء

نص فنُفِّذ هذا الأمر .

خاتمة و توديع :

المذيع:

نُفِّذَ الحكم فيها كما ذكر ، في هذه الحلقة لخصنا البعوضة ووظائفها وحياتها ، وكما ذكر في الآية الدالة على عظمة الله سبحانه وتعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً ﴾

[سورة البقرة : 26]

وكما ذكرنا سورة بأكملها تحت اسم النمل ، فتحدثنا عن مجتمع النمل ومهماته في هذه الحلقة ، إن شاء الله نعد المستمعين في حلقات قادمة بالحديث عن الإعجاز العلمي في كافة مخلوقات الله سبحانه وتعالى ، نشكركم فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي .

أيها الأخوة ؛ إلى حلقة قادمة ، نستودعكم الله ، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

والحمد لله رب العالمين

الإعجاز العلمي – الحلقة 08 – 30 : النحل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة :

المذيع :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أخوة الإيمان والإسلام ، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، مع برنامج : " الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة " معنا فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، الأستاذ المحاضر في كلية التربية بجامعة دمشق ، والخطيب والمدرس الديني في جوامع دمشق ، أهلاً وسهلاً بكم .

لقد بثّ الله سبحانه وتعالى في الأرض آيات للموقنين ، فحيثما نظرت ، وأينما ذهبت في حركاتك وسكناتك ، وبيتك وحقلك ، وفي دكانك أو معملك ، إذا مشيت على الأرض، أو ركبت البحر ، أو الطائرة ، فإن الآية الكونية هي معك في كل مكان ، تدل على عظمة الخالق ، في هذه الحلقة واستكمالاً لهذه السلسلة التي نتحدث فيها عن عظمة الخالق في الإعجاز العلمي ، واستكمالاً لحديثنا عن الحشرات والحيوانات ، النحل آية عظمى ، نتحدث عنها إن شاء الله .

النحل آية عظمى من آيات الله عز وجل :

الدكتور راتب :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

إن النحل آية من آيات الله الباهرة الدالة على عظمته ، قال تعالى :

﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾

[سورة النحل: 68]

تكلمت في الحلقة السابقة أن الآيات الكونية لا تعد ولا تحصى ، ولكننا إذا بقينا في المنهج ، أي في الآيات التي وردت في القرآن الكريم نكون قد توخينا الموضوعات الأولى في موضوعات الآيات الكونية الدالة على عظمته تعالى .

أول شيء يلفت النظر أن هذه الياء في

﴿ أَنِ اتَّخِذِي ﴾

هي ياء المؤنثة المخاطبة ، وكأن الآية منصبة على الإناث حصراً دون الذكور ، قال تعالى :

﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾

[سورة النحل: 68-69]

إن أردت التفكر فهذه آية مناسبة للتفكر ، إن النحلة هي الحشرة الوحيدة التي تستطيع تخزين رحيق الأزهار من أجل الغذاء ، وهي فضلاً عن بناء خلاياها ، وتصنيعها للشمع والعسل فهي تقوم بعمل جليل ، وهو تلقيح

الأزهار ، يغيب عن معظم الناس أن هذه الحشرة لها فائدة كبيرة جداً في تلقيح النباتات ، لكننا نتصور أنها من أجل صنع العسل فقط ، صنع العسل أحد وظائفها ، ومن دون تدخل النحل فإن عدداً كبيراً من النباتات لا يثمر، والنحل من الخلايا ذات النظام الاجتماعي الدقيق المحكم ، النحل والنمل من أرقى الحشرات الاجتماعية ، طبعاً في خلقها ، وعملها ، ودقائق صنعها إعجاز ، ولكننا قد نلتفت في هذا الموضوع إلى النظام الاجتماعي الذي تخضع له النحلات ، طبعاً هذا النظام الاجتماعي تعجز عن تقليده أرقى المجتمعات البشرية ، لكن ذكرت في لقاء سابق أن هذا النظام الاجتماعي البالغ التعقيد ليس أمراً تكليفياً من الله كما هي حال البشر ، بل هو أمر تكويني من صنع الله وحده .

وظيفة النحل :

الغريزة في الحيوان عمل معقد جداً ، ولكن ليس كسبياً ، إنه عمل وهبي كما يقولون ، تزور النحلة ما يزيد على ألف زهرة لكي تحصل على قطرة من الرحيق .

أستاذ عبد الحليم ؛ من أجل توفير الوقت والجهد حينما تقع النحلة على زهرة ، وتمتص رحيقها تترك علامة أن هذه الزهرة مصّ رحيقها لتوفر على أخواتها وقتاً وجهداً في مص رحيق زهرة قد مصّ رحيقها ، وتحتاج القطرة الواحدة من الرحيق إلى أن تحط النحلة على ألف زهرة أو أكثر ، ومن أجل أن تجمع النحلة مئة غرام من الرحيق تحتاج إلى مليون زهرة ، ومن أجل أن تصنع نحلة واحدة كيلو عسل تحتاج لأن تطير مئة ألف كيلو متر ، تدور حول الأرض عشر مرات ، لو أننا كلفنا نحلة واحدة أن تصنع كيلو من العسل لاحتاجت إلى أن تطير أربعمئة ألف كيلو متر ، أي ما يعادل عشرة أضعاف محيط الأرض .

المذيع:

قدرة عجيبة ، سبحان الله بما منّ به على هذه المخلوقات بجمع الرحيق من الأزهار ، وتعليم كل زهرة بزهرتها كي لا تأتي نحلة أخرى ، وتأخذ الرحيق .

الدكتور راتب :

إن سرعة النحلة في طيرانها تزيد على خمسة وستين كيلو مترًا في الساعة في حالة طيرانها من دون حمولة ، هذه السرعة تقترب من سرعة السيارة ، فإذا كانت محملة بالرحيق تهبط سرعتها إلى ثلاثين كيلو مترًا ، حمولة النحلة من رحيق الأزهار يعدل ثلثي وزنها ، السيارة وزنها ألف كيلو تحمل ثلاثمئة تقريباً ، ويحتاج كيلو من العسل كما قلت قبل قليل إلى طيران ما يعادل أربعمئة ألف كيلو متر تقريباً ، أي يحتاج الكيلو الواحد من العسل إلى عشر دورات حول الأرض إلى خط الاستواء ، طبعاً إن بعض الدول المتقدمة في الصناعة تأخذ المواد الأولية من قارة ، وفي طريقها إلى المصانع تجري على هذه المواد عمليات كثيرة معقدة في الباخرة نفسها . قرأت مرة مقالة عن اليابان أنه ليس عندهم مواد أولية إطلاقاً ، وهم من كبار مصدري الستانلس ، صنعوا بواخر تصل إلى أواخر أستراليا ، تأخذ المواد الأولية ، وفي الطريق إلى الشرق الأوسط تصنع هذه المواد الأولية في الباخرة ، وتسلِّمها مصنَّعة جاهزة ، هذا تفعله النحلة ، في طريقها الذي قد يصل إلى عشرة كيلو مترات من مكان رحيق الأزهار إلى خلاياها في الطريق تجري عمليات كيماوية معقدة جداً ، تحويل الرحيق إلى عسل ، ويتم هذا في الطريق كما تفعل بعض البواخر اليوم في صنع الستانلس ، ريثما تصل إلى مكان التسليم ، إذا كان موسم الأزهار غزيراً فإنها تعطي حمولتها لنحلة أخرى ، وتعود سريعاً لكسب الوقت ، وجني رحيق الأزهار ، يوجد نحلات ضعيفة لا تكلف بالسفر إلى مكان بعيد ، هذه تأخذ الحمولة من أختها في مدخل الخلية ، وتنطلق إلى داخل خلية كي تضع الحمولة في المكان المناسب ، وتعود النحلة إلى مكان رحيق الأزهار إذا كان الموسم جيِّدًا.

المذيع :

ذكرت لنا فضيلة الدكتور أن النحلة ليس فقط تأتي بالرحيق من الأزهار ، بل إن هناك مكانة اجتماعية للنحلة ، وهي اجتماعية ، لها وظائف محددة غير جمع الرحيق .

وظائف أخرى للنحل :

الدكتور راتب :

الملكة هي أكبر النحل حجماً ، هي تضع كل يوم في فصل الربيع تقريباً من ألف إلى ألفي بيضة كل يوم ، والذي يأخذ بالألباب أن هذه الملكة تضع الملكات في مكان ، والذكور في مكان ، والإناث في مكان ، وكأنها تعلم مسبقاً أنها ستلد ملكة ، أو أنثى ، أو ذكرًا، هذا فوق طاقة البشر ، طبعاً تضع الملكات في مكان كي تتلقى غذاء خاصًّا مناسباً لها ، والذكور في مكان ، لأن لهم غذاء خاصًّا مناسبًا لهم .

إن العاملات من إناث النحل منهن من يأتين بالطعام الخاص للملكة ، ويسمى هذا النحل الوصيفات ، هناك نحلات وصيفات يقمن على خدمة الملكة ، وتأمين الغذاء المناسب للملكة ، ويباع في الأسواق عسل الملكة ، وهو غالٍ جداً ، وهو أفضل ما عند النحل ، بعض النحلات العاملات يجمعن غبار الطلع ليكون غذاء ملكيًّا لملكتهم ، إذا ماتت الملكة اضطربت الخلية ، ويلاحظ الإنسان هذا التبدل ، و الملكة لا تلدغ الإنسان ، بل ملكة أخرى تنافسها على منصبها ، لذلك كانت مهمة الذكور تلقيح الملكات ، ومهمة الإناث العمل ، والملكة مهمتها الولادة .

هذه آية من آيات الله الدالة على عظمته ، لقد شاءت حكمة الله جلّ جلاله أن يخلق مجتمعاً قائماً على أعلى مستويات التعاون ، والتكامل ، والاختصاص ، والعمل الدؤوب المنتج ، والتنظيم المعجز ، بأمر تكويني لا بأمر تكليفي ، لذلك لا يمكن أن تجد في مجتمع النحل خللاً ولا فساداً ، إنه كمال خلقي مطلق ، لأن أمره هذا تكويني لا تكليفي ، هذا ما نجده في مجتمع النحل ، إنه مجتمع موحَّد متكامل ، على رأسه ملكة واحدة لا تنازعها أخرى ، تشعر كل نحلة في الخلية بوجود الملكة عن طريق مادة تفرزها الملكة ، وتنقلها العاملات إلى كل أفراد الخلية، فإذا ماتت الملكة اضطرب النظام في الخلية ، وعمت الفوضى ، وشلّت الأعمال .

في وقت واحد لا تدير المملكة إلا ملكة واحدة ، يوجد نائبة لها ، أو كما يسمى وليّ العهد ، إن إناث النحل تقوم بأعمال متنوعة كثيرة ، توزع فيما بينها بحسب أعمارها واستعدادها الجسماني ، وعند الضرورة والخطر ، وفي المواسم الصعبة تعمل كل نحلة ما يفرض عليها ، في أيام الرخاء هناك اختصاصات ، أما في أيام الشدة فينبغي أن تقوم كل نحلة بكل هذه الأعمال ، الوصيفات كما قلت يقمن على خدمة الملكة ، وجلب الطعام الملكي ، وهناك حاضنات ومربيات يقمن برعاية الصغار ، وجلب الغذاء المناسب ، وهناك عاملات يحضرن الماء إلى الخلية ، وهناك أخريات يقمن بتهوية الخلية صيفاً ، وتدفئتها شتاء ، وترطيبها في وقت الجفاف ، وغيرهن يقمن بتنظيف الخلية ، وجعل جدرانها ملساء لامعة ناعمة عن طريق مواد خاصة ، وهناك حارسات يقمن بحراسة الخلية من الأعداء ، ولا يسمحن لنحلة أن تدخل الخلية ما لم تذكر كلمة السر ، وإلا قُتلت ، وتبدل كلمة السر عند الضرورة ، وهناك من النحلات من يقمن بصنع أقراص الشمع ذات الشكل السداسي ، الذي تنعدم فيه الفراغات البينية بأسلوب ، وتصميم يعجز عن تقليده كبار المهندسين .

مثلاً ، هل يستطيع إنسان بالغ ذروة العقل والمهارة أن يبدأ بتبليط صالة كبيرة ، إنسان من اليمين ، وإنسان من اليسار ، وإنسان من الشمال ، وإنسان من الجنوب ، وأن يجتمع هؤلاء الأربعة على بلاطة نظامية بمقياس دقيق، هذا فوق طاقة البشر ، إن قرص الشمع تبدأ به النحلات من أطرافه ، وتصل إلى الوسط بأشكال سداسية لا

تتغير عن بعضها ، ولا بعشر الميليمتر ، هذا شيء فوق طاقة البشر .

المذيع :

إنها دقة عجيبة في التصميم والتنفيذ .

الدكتور راتب :

وهناك رائدات يقمن بمهمة استكشاف مواقع الأزهار ، فإذا عثرن عليها عُدنَ إلى الخلية ، ورقصنَ رقصة خاصة تحدد هذه الرقصة لبقية النحلات العاملات الموقع من حيث المسافة ، والاتجاه ، وغزارة الإنتاج ، وإذا كانت الوتيرة سريعة جداً والإنتاج كثيفًا جداً ، الجمهرة الكبيرة من العاملات تنطلق إلى مكان الأزهار لجني رحيقها ، لأنها المادة الأولية للعسل ، وقد تبتعد هذه المواقع عن الخلية أكثر من عشرة كيلو مترات ، ويعود النحل للخلية بعد أخذ الرحيق بطريقة لا تزال مجهولة حتى الآن ، والنحل أكفأ الحشرات بنقل وتخزين أكبر قدر ممكن من رحيق الأزهار في أقصر وقت ممكن ، وأقل مجهود ممكن ، وهي أكفأ الحشرات في تلقيح النباتات كي تساعدها على إنتاج البذور والثمار .

المذيع :

سبحان الله ! و بعد كل هذا الجهد والعمل الدقيق ، وبعد أخذ الرحيق من الأزهار والعملية التصنيعية التي ذكرتها، وهي في الطريق تأتينا بهذا العسل المفيد جداً .

العسل شفاء للناس :

الدكتور راتب :

كان العسل يعدّ فيما مضى غذاء ، وهو الآن دواء ، أكثر من أربع وسبعين مادة علاجية في العسل ، إذا قال خالق الكون :

﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾

[سورة النحل: 69]

أعرف طبيبًا جراحاً في دمشق ، بعد أن ينتهي من عمله الجراحي يضع خيطاً من العسل على الجرح ، حتى يسرّع العسلُ في التئام الجروح .

أتمنى أن يكون هذا الموضوع واضحاً عند كل أخ كريم ، حتى يستبدل العسل بهذه الحلويات الصناعية ، الآن يوجد شرابات ليس فيها ذرة واحدة من مادة طبيعية ، كلها مواد كيماوية ، فكان عليه الصلاة والسلام يشرب شربة عسل ، يضع لعقة عسل في كأس ماء ، ويبقيه حتى الصباح ، ثم يذوب العسل في الماء ، المادة الحلوة المكثفة قد تؤذي المعدة ، كان عليه الصلاة والسلام يشرب شربة عسل ، ثم إن القيمة العلاجية للعسل أضعاف قيمته الغذائية ، ففوائده العلاجية في مختلف الأجهزة والأعضاء والنسج ثابتة ، بل تفوق الحد المعقول ، كيف لا وقد قال تعالى :

﴿ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾

[سورة النحل: 69]

بالمناسبة لا بد من ذكر هذه الحقيقة المؤلمة ، أنت قد تشتري عسلاً ، لكنه أخذ من السكر فقط ، لأن بعض ضعاف النفوس يضعون القطر إلى جانب خلايا النحل ، فتمتص القطر ، فيكون عسلاً ، ولكن هذا العسل ليس له كبير فائدة ، العسل الذي ينفع الإنسان ما أُخِذ من رحيق الأزهار بالذات ، هذا الموضوع طويل جداً ، ولكن في حلقة قادمة إن شاء الله نتحدث عن تركيب العسل وفوائده العلاجية ، إن شاء الله تعالى .

خاتمة و توديع :

المذيع :

فضيلة الدكتور ، ذكرت النحلة في آيات كريمة ، قال الله تعالى :

﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾

[سورة النحل: 68]

وكما ذكرتم فضيلة الدكتور أن مجتمع النمل مجتمع متكامل ، من التعاون ، والتكامل ، والاختصاص ، والعمل الدؤوب المنتج ، والتنظيم المعجز ، بأمر تكويني لا بأمر تكليفي ، لإنتاج هذا الكمّ الكبير من العسل ، وهو كما ذكرتم دواء ، وليس فقط للأكل والاستهلاك ، نشكركم فضيلة الدكتور على هذه الحقائق العلمية والشرعية في آن واحدٍ التي تعطونها في كل حلقة من هذه الحلقات .

أخوة الإيمان والإسلام ، إلى حلقة قادمة بإذن الله تعالى من برنامج الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة ، نستودعكم الله ، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

والحمد لله رب العالمين

الإعجاز العلمي – الحلقة 09 – 30 : ماء زمزم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سور من القرآن

المذيع :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، والصلاة والسلام على رسولنا الكريم ﷺ، أول آية في التنزيل هي أمر بالقراءة، أي بالعلم،

قال تعالى:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾

[سورة العلق الآية: 1]

والاستزادة منه أمر آخر، قال الله تعالى:

﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾

[سورة طه الآية: 114]

والمولى فصّل القرآن الكريم لقوم يعلمون:

﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾

[سورة فصلت الآية: 3]

وإذا اتّقى الإنسان المولى سبحانه وتعالى فالله يعلّمه، وذلك بوعد منه في قوله تعالى:

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾

[سورة البقرة الآية:

ماء زمزم

واليوم معنا الدكتور محمد راتب النابلسي، الأستاذ المحاضر في جامعة دمشق والخطيب والمدرس الديني في جوامع دمشق ، أهلاً وسهلاً بكم.

من الأمور التي حدثت منذ زمن بعيد هو ظهور الماء في الصحراء، وظهوره لسيدنا إسماعيل معجزة، وقد ذكرت ماء زمزم في أحاديث للنبي ﷺ، إن أردنا أن نبدأ بحديثنا بشكل عام عن هذه المعجزة ماذا تقولون فيها؟.

الدكتور راتب:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

يمكن أن نجعل عنوان هذا اللقاء الطيب ماء زمزم، فقد وصف النبي ﷺ ماء بئر زمزم فقال:

((إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ، إِنَّهَا طَعَامُ طُعْمٍ))

[مسلم عن عبادة بن الصامت في حديث طويل]

وفي رواية عند البزار بسند صحيح عن أبي ذر رضي الله عنه:

((وَشِفَاءُ سُقْمٍ))

[البزار بإسناد صحيح عن صفية]

وعن ابن جريج رحمه الله تعالى قال : سمعت أنه يقال :

((خَيْرُ مَاءٍ فِي الأَرْضِ مَاءُ زَمْزَمَ))

[الطبراني في الأوسط والكبير ، ورواته ثقاة]

نحن في بداية هذا اللقاء الطيب نورِد النصوص، ثم نأتي بعد النصوص بالحقائق العلمية التي تصدقها، النبي عليه الصلاة والسلام يقول في حديث آخر، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ))

[ابن ماجه]

يعني أنه متعدد الفوائد .

وفي حديث آخر عن ابنِ عباسٍ رضي اللهُ عنهما مرفوعًا:

((فَإِنْ شَرِبْتَهُ تَسْتَشْفِي بِهِ شَفَاكَ الله، وَإِنْ شَرِبْتَهُ مُسْتَعِيذاً بِهِ أَعَاذَكَ اللهُ، وَإِنْ شَرِبْتَهُ لِيَقْطَعَ ظَمَأَكَ قَطَعَهُ اللهُ))

[الحاكم في المستدرك]

المذيع :

هذا الحديث كأنه يفسر الحديث الآخر الذي قال فيه الرسول عليه الصلاة والسلام:

((مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ))

أيْ: لكل إنسان نية في شربه لماء زمزم .

الدكتور راتب:

وكأن شرب هذا الماء نوع من العبادة .

وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ جَالِسًا، فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ جِئْتَ؟ قَالَ: مِنْ زَمْزَمَ، قَالَ: فَشَرِبْتَ مِنْهَا كَمَا يَنْبَغِي؟ قَالَ: وَكَيْفَ؟ قَالَ: إِذَا شَرِبْتَ مِنْهَا فَاسْتَقْبِلْ الْقِبْلَةَ، وَاذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ، وَتَنَفَّسْ ثَلَاثًا، وَتَضَلَّعْ مِنْهَا، فَإِذَا فَرَغْتَ فَاحْمَدِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّ رَسُولَ قَالَ :

((إِنَّ آيَةَ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمُنَافِقِينَ إِنَّهُمْ لَا يَتَضَلَّعُونَ مِنْ زَمْزَمَ))

[سنن ابن ماجة]

والتضلُّع أن تشرب ملء جوفك، وأن تبالغ في الشرب من هذا الماء، طبعاً من خلال هذه الأحاديث وكلام النبي، وكما تعلم كلامه أمر، فالنبي في عقيدة المسلم معصوم بمفرده، فكل أقواله وأفعالك وإقراره سنة، لأن الله عز وجل أمرنا أن نأخذ عنه كل شيء، فقال تعالى :

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾

[سورة الحشر الآية:7]

قول النبي، وفعله، وإقراره سنة، ينبغي أن تطبق، ذلك لأن الله عصمه من أن يخطئ في أقواله، وفي أفعاله، وفي إقراره، لو تخيل بعض المتوهمين أنه ليس بمعصوم لكان الأمر بالأخذ منه أمراً بمعصية، وهناك أناس كثيرون يتطلعون إلى أن نكتفي بالقرآن، وهم إذا قالوا ذلك فهم يخالفون نص القرآن، لأن الله أمرنا أن نأخذ عنه .

معنى كلمة التضلع

المذيع :

فضيلة الدكتور، هنا ذكرت في حديث النبي ﷺ:

((إِنَّ آيَةَ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمُنَافِقِينَ إِنَّهُمْ لَا يَتَضَلَّعُونَ مِنْ زَمْزَمَ))

ما معنى هذه الكلمة، التضلُّع ؟

الدكتور راتب:

التضلع أن تشرب ملء جوفك من هذا الماء، وتبالغ في الشرب منه! هذا المعنى، على كلٍّ يوجد أدب في شرب ماء زمزم.

فعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ جَالِسًا، فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ جِئْتَ؟ قَالَ: مِنْ زَمْزَمَ، قَالَ: فَشَرِبْتَ مِنْهَا كَمَا يَنْبَغِي؟ قَالَ: وَكَيْفَ؟ قَالَ: إِذَا شَرِبْتَ مِنْهَا فَاسْتَقْبِلْ الْقِبْلَةَ، وَاذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ، وَتَنَفَّسْ ثَلَاثًا، وَتَضَلَّعْ مِنْهَا، فَإِذَا فَرَغْتَ فَاحْمَدِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّ رَسُولَ قَالَ :

((إِنَّ آيَةَ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمُنَافِقِينَ إِنَّهُمْ لَا يَتَضَلَّعُونَ مِنْ زَمْزَمَ))

[سنن ابن ماجة]

الحرص على التضلع

طبعاً تطبيقاً لهذه التوجيهات النبوية لقد حرص الصحابة الكرام والتابعون وكثير من العلماء والعوام على التضلع من ماء زمزم، ولاسيّما في الذهاب إلى الحج والعمرة، أي أنْ تملأ الضلوع منه مع استحضار نية معينة عند الشرب منه، لأن الدعاء مستحب عند الشرب من ماء زمزم، فزمزم لما شرب له وقد روي عن عمرَ بنِ الخطابِ رضي اللهُ عنه أنه كان إذا شربَ ماءَ زمزمَ دعا فقال:

((اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْرَبُه لِظَمأِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ))

وقد روي عن ابن عباس أنه كان إذا شرب ماء زمزم قال:

((اللهم إني أَسْأَلُكَ عِلْماً نافعاً، ورِزْقاً وَاسِعاً، وشِفَاءً مِن كُلِّ دَاءٍ))

وقد قال بعض العلماء:

((مَاءُ زَمْزَمَ سَيِّدُ الْمِيَاهِ، وَأَشْرَفُهَا، وَأَجَلُّهَا قَدْراً، وَأَحَبُّهَا إِلَى النُّفُوسِ، وَأَغْلاَهَا ثَمَنًا، وأَنْفَسُهَا عِنْدَ النَّاسِ، وَهُو هَزْمَةُ جِبْرِيلَ، وَسُقْيَا اللهِ إِسْمَاعِيلَ))

[ابن القيم في زاد المعاد]

هذا ما جاء في السنة الصحيحة والحسنة، فماذا في العلم وتحليلاته الدقيقة عن ماء زمزم؟.

دراسات علمية عن زمزم

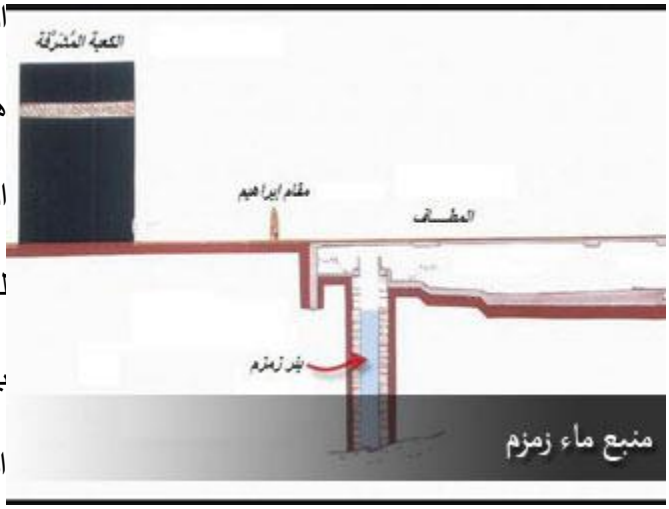

المذيع :

هل هناك دراسة علمية؟

الدكتور راتب :

لعلنا دخلنا في صلب الموضوع، نحن بدأنا بالنصوص الصحيحة والحسنة التي وردت عن رسول الله ﷺ فيما يتعلق بماء زمزم .

أُجرِيَتْ في عام ألف وتسعمائة وثلاثة وسبعين، وعام ألف وتسعمائة وثمانين تحاليل كيميائية من قِبَل شركات عالمية عملاقة ومتخصصة، فكانت النتائج عجيبة، حيث إن مياه زمزم خالية تماماً من أي نوع من أنواع الجراثيم المسببة للتلوث! وتعد المياه معدنية، طبعاً هناك من يعجب بالمياه المعدنية، التعريف الدقيق للمياه المعدنية: وتعد المياه معدنية، ويتهافت الناس على شرائها إذا كانت نسبة أملاح المعادن فيها من مئة وخمسين إلى ثلاثمئة وخمسين مليغرامًا في اللتر، فهذه مياه معدنية تباع بالقوارير، أما مياه زمزم فتبلغ نسب المعادن فيها ألفي مليغرام في اللتر، ومن أبرز هذه الأملاح المعدنية الكالسيوم والصوديوم والمغنيزيوم والبوتاسيوم وغيرها .

الماء المبارك

المذيع :

هل لهذه المياه خاصية تميزها عن غيرها من حيث التعبد ، وخصائص الماء غير التي ذكرناها ؟

الدكتور راتب :

حقائق كثيرة حول هذا الماء، سأوردها إن شاء الله .

يعد ماء زمزم من أغنى مياه العالم بعنصر الكالسيوم، إذ تبلغ نسبته فيه مئتي مليغرام في اللتر الواحد، لقد صدق رسول الله ﷺ حينما قال:

((إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ إِنَّهَا طَعَامُ طُعْمٍ))

((وَشِفَاءُ سُقْمٍ))

تعلمون أن الإنسان يملك هيكلا عظميًّا فيه خاصة اسمها التجدد، الهدم والإنشاء، لو أن الإنسان أهمل في بعض خاصيته عنصر الكالسيوم يصاب هذا الهيكل بما يصاب الترقق، أو لينَ العظام وهو مرض خطير، لو أن عظم الحوض كُسر في إنسان سنه متقدمة لكان طامة كبرى .

فلذلك هذا الماء مبارك:

((إِنَّهَا طَعَامُ طُعْمٍ))

حقائق ونسب وأرقام

وقد دلت البحوث الحديثة الصحيحة أن أمراض شرايين القلب التاجية أقل حدوثاً عند الذين يشربون مثل هذه المياه، لقد صدق النبي عليه الصلاة والسلام حينما قال:

((وَشِفَاءُ سُقْمٍ))

كل كلمة من أقوال النبي تعني حقيقة علمية توصل العلماء إليها في الوقت المتأخر، وتعد المياه غازية هاضمة إذا احتوت على ما يزيد على مئتين وخمسين مليغرامًا في اللتر الواحد من البيكربونات، ومن أشهر المياه الغازية في العالم مياه نبع (إفيان) في فرنسا، إذ تبلغ نسبة البيكربونات فيه ثلاثمئة وسبعة وخمسين مليغرامًا في اللتر .

الآن دقق: أما ماء زمزم فنسبة البيكربونات فيه ثلاثمئة وستة وستون مليغرامًا في اللتر الواحد فهو أعلى نسبة بيكربونات في مياه العالم، مياه زمزم، لقد صدق النبي عليه الصلاة والسلام حينما قال:

((مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ))

دواء لكل داء

المذيع :

فضيلة الدكتور، هل استدل العلماء، وخصوصاً علماء الطب أن يصفوا هذه المياه لمرضاهم بمرض معين؟

الدكتور راتب :

نعم – ذلك لأن النبي عليه الصلاة والسلام حينما قال:

((وَشِفَاءُ سُقْمٍ))

إذاً لا بد من أن نبحث عن الاستطبابات الدقيقة لهذه المياه .

بالمناسبة للنبي عليه الصلاة والسلام حديث شريف أراه من دلائل نبوة النبي، عَنْ جَابِرٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ:

((لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ))

[صحيح مسلم]

إذا قرأ الحديث مريض يمتلئ قلبه أملاً بالله عز وجل ، وإذا قرأه طبيب يشعر بالتقصير!

((لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ))

هناك مرض أسميه بوابة الخروج، هو لا دواء له، وهو مرض الموت، الإنسان كيف يخرج من الدنيا بمرض عضال يبدأ بجهة من جسمه ، ويتفاقم ، وقد يكون نبياً ، وعظيماً ، ووليا ، هذا مر ض الموت بوابة الخروج ، هذا المرض لا شفاء له ، أما ما سوى ذلك فإنه:

((لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ))

إجابة عن سؤالك الكريم: يذكر بعض علماء الطب في كتاب طبع عام ألف وتسعمئة وخمسة وتسعين أن المياه المعدنية تفيد في علاج كثير من أمراض الروماتيزم، وزيادة حموضة المعدة والإسهال المزمن، وعسر الهضم، وهي ذات تأثير مدرّ، ومليّن، ومرمِّم لنقص المعادن في الجسم، وقد صدق رسول الله ﷺ حينما قال:

((فَإِنْ شَرِبْتَهُ تَسْتَشْفِي بِهِ شَفَاكَ الله ، وَإِنْ شَرِبْتَهُ مُسْتَعِيذاً بِهِ أَعَاذَكَ اللهُ ، وَإِنْ شَرِبْتَهُ لِيَقْطَعَ ظَمَأَكَ قَطَعَهُ اللهُ))

ماءٌ شربه عبادة

لكن لماذا يعدّ شرب هذا الماء عبادة؟ إنه مالح نوع ما، الإنسان يتوقُ لشرب الماء العذب الزلال، في هذا الماء بعض الملوحة، لذلك ماء زمزم ليس عذباً حلواً، بل يميل إلى الملوحة، وإن الإنسان لا يشرب من هذا الماء الذي يميل للملوحة إلا إيماناً بما فيه من البركة، فيكون التضلع منه دليلاً على الإيمان .

قصة شهيرة عن ماء زمزم

المذيع :

سبحان الله! حقائق مدهشة تحدثنا بها فضيلة الدكتور عن هذه المياه، أملاح معدنية وشفاء، كما ذكرتم، إنها لمعجزة، هل حدث فضيلة الدكتور أن شفي بها أحد من قبل؟.

الدكتور :

هناك قصة شهيرة جداً، أن مدرسة تقيم في باريس من أصل مغربي، أصيبت بورم خبيث في دماغها، وقد أنبأها طبيبها المتخصص أنه بقي لها في الحياة أسابيع، فاختارت أن تذهب إلى الديار المقدسة لتختم عمرها بعمرة في بيت الله الحرام، فشربت من ماء زمزم شرباً غير معقول، فكان الشفاء التام، وعادت إلى فرنسا، والتقت بطبيبها، وأخبرته بما حصل، وألَّفت قصّة شهيرة جداً، حيث ذكرت كيف أن الله شفاها بهذا الماء الذي جعله في بيته الحرام .

توافق الماضي مع الحاضر

أريد أن أسأل، أن النبي عليه الصلاة والسلام حينما أنبأنا بهذه الحقائق التي تطابقت تطابقاً تاماً مع البحوث العلمية الحديثة، ما المؤسسات العلمية العالية التي كانت على عهد النبي ﷺ والتي أعطته هذه الحقائق المدهشة عن ماء زمزم ؟ وما هي الهيئات البحوث المتخصصة التي توصلت لهذه النتائج عن ماء زمزم؟ وما نوع المخابر العملاقة التي حللت، واستنتجت نسب أملاح المعادن في ماء زمزم بدقة بالغة، والتي اعتمد عليها النبي ﷺ في هذا المبارك؟ إنه الوحي!.

﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾

[سورة النجم الآية: 43]

وأنا أميل لأن أسمي هذه التوافقات العجيبة بين أقواله قبل ألف وأربعمئة عام وبين معطيات العلم الحديثة، هذا التوافق يمكن أن يندرج تحت دلائل نبوة النبي عليه الصلاة والسلام.

حينما آتي بآية قرآنية وحقيقة علمية قطعية واضحة جداً تتطابق معها تطابقًا عفويًّا وتامًّا أقول: هذا من إعجاز القرآن الكريم، أما إن رأيت حديثاً شريفاً يتوافق توافقاً تاماً مع معطيات العلم أميل إلى أن أفرق بين الإعجاز العلمي، وبين دلائل نبوة النبي عليه الصلاة والسلام، ويمكن أن يكون هذا اللقاء الطيب تحت عنوان من دلائل نبوة النبي عليه الصلاة والسلام .

المذيع :

في نهاية هذه الحلقة، وما دمنا تحدثنا عن ماء زمزم نسأل الله سبحانه وتعالى أن يسقينا وإياكم من حوض نبيه ﷺ ، وأن يسقينا في دنيانا من هذه الماء التي ظهرت في الصحراء لسيدنا إسماعيل عليه السلام ، وما زلنا نشرب منها حتى الآن .

إخوة الإيمان والإسلام، إلى حلقة قادمة.

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

والحمد لله رب العالمين

الحلقة 10 – 30 : تزكية الذبيحة – الدم المسفوح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة :

المذيع:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أخوة الإيمان والإسلام، من أهم القواعد التي تعتمد في تفسير الآيات الكريمة الحديث الصحيح، وذلك التزاماً بقوله تعالى:

﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

[سورة النحل : 64]

والجدير بالذكر أن الرسول الكريم e لم يفسر جميع آيات الكتاب الكريم، ربما والله أعلم التزاماً بقوله تعالى:

﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾

[سورة القيامة: 19]

وبقوله:

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ *وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾

[سورة ص: 87-88]

علماً أن القرآن الكريم يظل الميزان الدقيق في صحة الأحاديث الشريفة، فكل حديث يتعارض بصورة واضحة مع آية بالقرآن الكريم فهو مرفوض، مهما كانت صحة سنده.

أيها الأخوة، مع الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة، ومعنا فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي، الأستاذ المحاضر في جامعة دمشق، والخطيب والمدرس الديني في جوامع دمشق، أهلاً وسهلاً بكم.

فضيلة الدكتور، هناك أمور وصلتنا، وتعلمناها من سنة النبي ﷺ، ولكن لا ندرك الحكمة منها، مثلاً: تذكية الذبيحة، ماذا في هذا الموضوع؟

توجيه النبي أصحابه أثناء ذبح الدابة :

الأستاذ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين. أستاذ عبد الحليم، جزاك الله خيراً، من الثابت أن النبي عليه الصلاة والسلام وجّه أصحابه في أثناء ذبح الدابة إلى أن تذبح من أوداجها فقط، دون أن يقطع رأسها، وأنا أعتقد أنه ليس في الأرض كلها في عصر النبي e مركز علمي، لا في شرق الأرض، ولا في غربها يمكن أن يصل إلى تعليل علمي لهذا التوجيه النبوي، ولا بعد مئة عام، ولا بعد خمسمئة عام، ولا بعد ألف عام أو أكثر، إلا أنه من عدة عقود من الزمن اكتشف ما يلي: أن القلب لأنه أخطر أعضاء الجسم، وأخطر أجهزته، مزوَّد بمولدة كهربائية خاصة به، لأنه لو ربطنا القلب بالشبكة

كما يقولون، وأصاب الشبكة عطباً لمات الإنسان، فالقلب لا يحتاج إلى تنبيه خارجي، يأتي تنبيهه من ذاته، ففيه مركز كهربائي يعطيه التنبيه النظامي من ستين إلى ثمانين ضربة في الدقيقة، وفيه مركز ثان احتياطي للمركز الأول، إن تعطل الأول عمل الثاني، وفيه مركز كهربائي ثالث احتياطي للمركز الثاني، فإن تعطل الثاني عمل الثالث، هذه المراكز الكهربائية تعطي أمراً بالنبض النظامي من ستين إلى ثمانين نبضة في الدقيقة، لكن قلب الإنسان يشبه محركاً بالغ التعقيد والأداء، فهذا القلب بإمكانه أن يرفع استطاعته إلى درجة تزيد على ثلاثة أمثال استطاعته الطبيعية، فبينما ينبض قلب الإنسان ثمانين نبضة في الدقيقة إذا هو ينتقل فجأة إلى مئة وثمانين نبضة حينما يواجه خطراً، أو يعدو هرباً من عدو، أو يصعد درجاً عالياً، أو يواجه أزمة نفسية، فالجسم يحتاج إلى طاقة جديدة تمدّه بما يحتاج.

الذي حدث أن النبي عليه الصلاة والسلام وجَّه أصحابه إلى أنهم إذا ذبحوا الدابة فعليهم ألا يقطعوا رأسها، بينما معظم المسالخ في العالم اليوم تعلق الدابة من أرجلها، وتقطع رأسها كلياً، النبي صلى الله عليه وسلم رفض ذلك، أمرنا أن نبقي رأسها موصولاً بجسمها، الآن اكتشف أن هذا القلب يتلقى الأمر بالنبض من مراكزه الكهربائية، ولكن النبض النظامي الذي لا يتجاوز الثمانين نبضة في الدقيقة، أما الأمر الاستثنائي فينبغي أن يتلقاه من الكظر، تلك الغدة التي تأتمر بالغدة النخامية، ملكة الغدد الموجودة في رأس الإنسان، فالإنسان إذا واجه خطراً تنطبع صورة هذا الخطر على شبكية العين، والشبكية فيها الإحساس فقط بالصورة، لكن هذه الصورة تنتقل إلى الدماغ لتنقلب إلى إدراك، فالدماغ فيه مفهومات تلقاها الإنسان في حياته حينما كان صغيراً، من قصص سمعها، أو مشاهدات شاهدها، أو دراسات تعلمها، فهناك مفهوم الأفعى في

الدماغ، فلو رأى أفعى في بستان يعود إلى ذهنه مفهومات الأفعى، لعله يموت من لدغتها، فالإدراك يكون من الدماغ بناء على تلقي صورة من شبكية العين، الدماغ ملك الجهاز العصبي، وعنده ملكة الجهاز الهرموني، وهي الغدة النخامية، وملك يخاطب ملكة، لابدّ من ضابط اتصال بينهما، في الدماغ يلتمس من الملكة أن تتصرف، الملكة عندها وزيرة داخلية تقول لها: هناك خطر فتصرّفي، فهذه الوزيرة هي الغدة النخامية تعطي أمراً للقلب برفع النبض، فقد يصل النبض إلى مئة وثمانين عند الخطر، وتعطي أمراً للرئتين ليرتفع وجيبهما ليتناسب الوجيب مع النبض.

الآن: ما الذي يرفع نبض القلب؟ إدراك الخطر، النخامية تأمر الكظر، والكظر يرسل أمراً هرمونياً عصبياً إلى القلب فيرتفع نبضه، الآن قلب الدابة حينما تذبح له مهمة أخرى، وهي إخراج الدم كله منها، لكن النبض الطبيعي ثمانون نبضة لا تكفي لإخراج الدم، لابد من أن يتلقى القلب أمراً استثنائياً يبدأ من الدماغ، ويسير إلى الكظر، ويعود إلى القلب من أجل رفع هذا النبض، هذا لا يتم إلا إذا كان الرأس متصلاً بالجسد، فلذلك حينما تذبح الدابة يعمل الأمر الاستثنائي فيرتفع نبض قلب الدابة إلى مئة وثمانين، وهذه الضربات السريعة كافية لإخراج الدم كله من جسم الدابة.

المذيع:

وهذا الجزء الموصول هو الذي يصل هذا الأمر الخطر من الدماغ إلى الكظر إلى القلب.

تحريم الله الدم المسفوح :

الأستاذ:

إذا قطعنا رأس الدابة يتعطل الأمر الاستثنائي، وعندئذ يبقى لون الدابة أزرق، فيبقى معظم دمها في جسمها، والدم بالمناسبة هو البيئة التي لا توصف أهليتها لنمو الجراثيم، الوسط الذي تتكاثر فيه الجراثيم بشكل عجيب هو

دم الدابة، لذلك مخابر الطب حينما تريد أن تستنبط جرثومًا تضعه في الدم، والدم فيه الفضلات، فيه حمض البول، والسموم، وكل نواتج الاحتراق، وعوامل المرض تجدها في الدم، من هنا حرم الله أكل الدم، وشربه، لأن فيه مجموعة السموم والأمراض، وعوامل المرض، وثاني أكسيد الكربون.

فالنبي عليه الصلاة والسلام حينما أمر أن تذبح الدابة من أوداجها، وأن يبقى رأسها متصلاً، فهذا الأمر يتوافق مع أحدث حقائق العلم حول عمل القلب بعد الذبح، مهمة القلب بعد الذبح إخراج الدم كله من جسم الدابة، وهذا لا يتم إلا بإبقاء الرأس موصولاً مع الجسم، أما حينما تجد لحماً أزرق اللون قد لا ينضج سريعاً فبسبب هذا الدم الذي بقي في أنحاء جسم الدابة.

والدم في الجسم طاهر، لوجود أجهزة بالجسم بالغة الدقة والفعالية في تصفية الدم، مثلاً: الكليتان تصفيان الدم من حمض البول، وكل المواد السمية التي يطرحها الكبد يتم طرحها عبر الكليتين، الآن الرئتان تصفيان الدم من غاز الفحم، وملايين ملايين الغدد العرقية تصفي الدم من حمض البول أيضاً، فيوجد عندنا الغدد العرقية، وجهاز التنفس، والغدد، والكليتان، هذه كلها مَصافٍ.

فلذلك ربنا عز وجل حرم الدم المسفوح، لأن الدم المسفوح هو بؤرة عالية المستوى لنمو الجراثيم، أما الدم الذي يجري في العروق فتصفِّيه أجهزة بالغة الدقة.

المذيع:

لذلك نرى الحكمة في تحريم المنخنقة والموقوذة، وهناك طريقة محددة لذبح الدابة.

تحريم القرآن الكريم للدابة المنخنقة والموقوذة :

الأستاذ:

ما من قاسم مشترك يجمع بين تحريم القرآن الكريم للدابة المنخنقة التي خنقت فماتت، وبقي دمها في جسمها، والموقوذة التي ضربت بآلة حادة فماتت، والمتردية التي وقعت من عال فماتت بصدمة عضلية، والنطيحة التي نُطحت، هذه الأربعة أنواع من الدواب التي حرم الله أكلها يجمعها قاسم مشترك واحد هو أن الدم بقي في جسمها.

المذيع:

هناك من يحاول أن يذبح الدابة بعدما تموت بشيء من هذه الأسباب، الخنق، أو الوقذ، أو ما شابه ذلك، فهذا لن ينفع على ما أعتقد.

أكل السمكة دون ذبحها و إخراج دمها :

الأستاذ:

لكن هناك تساؤلاً عجيباً هو الإنسان له ولاء للدّين، وله براء من المشركين والكافرين، قد يسأل سائل: إذا كان لا بد من ذبح الدابة، وإخراج كل دمها لنأكلها، فكيف سمح الله لنا بأكل السمكة دون أن نذبحها؟ بالمناسبة بعض الدول الأخرى تملقاً للمسلمين تضع على علب السمك: " هذا مذبوح على الطريقة الإسلامية"، وهذا كذب فاضح، الشيء الذي لا يصدق أن السمكة إذا اصطيدت انتقل دمها كله إلى غلاصمها، وكأنها ذبحت، لذلك سمح الله أن نأكل ميتة هي السمك الذي نصطاده، لا تجد خثرة دم واحد في جسم السمكة.

المذيع:

ما هي غلاصم السمكة؟

التعريف بغلاصم السمكة :

الأستاذ:

عند رأسها، يفتحون شقاً واسعاً، تبدو الغلاصم، وهي مكان تجمع الدم في السمكة، فكل دم السمكة ينتقل فوراً إلى غلاصمها عند اصطيادها، أما الذي يريد أن يعترض ويقول: إن كان الذبح ضرورة علمية فكيف تأكلون السمك من دون ذبح؟ فالسمك إذا اصطدناه انتقل دمه كله إلى غلاصمه، وكأنها ذبحت.

((أُحِلَّتْ لَكُمْ مَيْتَتَانِ وَدَمَانِ، فَأَمَّا الْمَيْتَتَانِ فَالْحُوتُ وَالْجَرَادُ، وَأَمَّا الدَّمَانِ فَالْكَبِدُ وَالطِّحَالُ))

[ابن ماجة عن عبد الله بن عمر]

المذيع:

فضيلة الدكتور، استكمالاً لهذا البحث الذي بدأناه بالذبح، والحكمة من الذبح، إلى ما هناك، حتى أتينا إلى المنخنقة والموقوذة والمتردية، وما إلى هنالك، الآن الدم المسفوح ماذا يعني؟ ولماذا حرمه الله؟

التعريف بالدم المسفوح و تحريمه :

الأستاذ:

ذكرت قبل قليل أن الدم في جسم الدابة دم يصفى باستمرار وينقى، تذهب عنه آفاته باستمرار، إما من خلال الكليتين، أو الرئتين، أو غدد التعرق، لكن الدم إذا سفح تعطلت تصفيته، وكما ذكرت قبل قليل: إن الدم يعد أعلى

بؤرة تنمو فيها الجراثيم، بل إن خلاصة الاحتراق في الجسم وخلاصة عوامل المرض تتوضع في الدم، فالدم من دون تصفية مادة سامة مؤذية مهلكة للإنسان، فلذلك حينما يأكل الإنسان دابة ذبحت على غير الطريقة الإسلامية قد ينتقل إلى جسمه أحماض كثيرة ضارة بالإنسان، وقد يقول بعض الأطباء: إن التهاب المفاصل الحاد سببه أن حمض البول المتوضع في الدم ينتقل إلى جسم الإنسان، ومنه إلى العضلات، فيحس الإنسان بآلام في عضلاته ومفاصله.

المذيع:

فضيلة الدكتور، الدم المسفوح كيف أصبح مسفوحاً، هل ذبح بشكل كامل؟

الأستاذ:

إذا ذبحنا دابة الدم الذي يخرج منها هذا اسمه: دم مسفوح، وممنوع أكله، وأنا لا أقول هذا الكلام من هواء، كان العرب يأخذون هذا الدم، ويأكلونه في الجاهلية، وكأنه طعام نفيس، وبعضهم يضع الدم في معدة الدابة، ويأكله مطبوخاً، فلذلك حرم الله أكله.

المذيع:

كان هذا التحريم خاصًّاً بالعرب، يأكلون الدم ويشربونه.

العلاقة العلمية بين الأمر ونتائجه :

الأستاذ:

أقول دائماً: إن هناك علاقة علمية بين الأمر ونتائجه، وبين المعصية ونتائجها، ومعنى العلاقة أيْ علاقة سبب بنتيجة، وكنت وضّحت من قبل أن هناك علاقة وضعية، وهناك علاقة علمية، العلاقة الوضعية ليس هناك من علاقة سبب بنتيجة بين المخالفة والعقاب، لكن الحقيقة العلمية تكون بذور نتائج المعصية فيها، وبذور نتائج

الطاعة فيها.

المذيع:

سبحان الله! ما أمرنا النبي عليه الصلاة والسلام بأمر إلا كان هناك منفعة من ابتعادنا عن هذا الأمر، وما حثنا على أمر إلا وكان هناك منفعة منه.

الأستاذ:

لأن الله يقول:

﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾

[سورة فاطر: 14]

فمن هو الخبير الحقيقي فيما يصلح لهذا الإنسان؟ هو الله، لأنه هو الصانع، والحقيقة أن الجهة الصانعة هي الجهة الوحيدة التي ينبغي أن تتبع تعليماتها من بين كل الجهات الأخرى، لأنها تملك الخبرة التامة في هذه الحاجة التي صنعتها.

خاتمة و توديع :

المذيع:

أيها الأخوة والأخوات، تحدثنا في هذه الحلقة عن الحكمة من تذكية الذبيحة، والتذكية في المصطلح الإسلامي هي الذبح بطريقة معينة، كما ذكرها لنا فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي.

أيها الأخوة والأخوات، إلى حلقة قادمة نتحدث فيها عن معجزات خالدة تتكلم على قدرة الخالق سبحانه وتعالى، وتذكرنا بدلائل نبوة محمد ﷺ، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

والحمد لله رب العالمين

الحلقة 11 – 30 : سلوك النبات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة :

المذيع:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أخوة الإيمان والإسلام، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

هناك حقائق علمية كامنة في هذه الآيات الكريمة التي لم تكشف إلا بعد قرون من التنزيل، لذا كانت كل آية منها برهاناً علمياً ودليلاً منطقياً وعقلياً على أن هذا القرآن هو كلام الله سبحانه وتعالى، مصداقاً لقوله:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً ﴾

[سورة النساء: 174]

وكما أن هذه الدراسة تشكل بنظرنا الرد العلمي الرصين على كل لامزٍ ومشكِّكٍ في كتاب الله عز وجل، وتعاليم رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام، وتفسير الآيات القرآنية مهمة خطيرة وجليلة، فالقول في كلام الله سبحانه تعالى بغير علم محرّم بنص التنزيل كما جاء في القرآن الكريم:

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

[سورة الأعراف: 33]

لذلك اعتمدنا في هذه الحلقات المنهج العلمي الدقيق في تفسير آيات الله سبحانه وتعالى، ومعنا فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي، الأستاذ المحاضر في كلية التربية بجامعة دمشق، خطيب ومدرس ديني في جوامع دمشق أهلاً وسهلاً بكم.

فضيلة الدكتور تكلمنا عن الفلك والنجوم، وعن الإنسان، ودقة خلقه اليوم إن شاء الله نتحدث بشكل عام عن النبات، وذكر النبات في القرآن الكريم.

ترتيب الله للمعاصي و الآثام :

الأستاذ:

إن شاء الله، ولكنني أريد أن أعقب بما تفضلتم قبل قليل من قوله تعالى:

﴿ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

[سورة البقرة:169]

الله عز وجل رتب المعاصي والآثام ترتيباً تصاعدياً، فبدأ بالإثم والعدوان والفحشاء والمنكر، ثم الكفر والشرك، وجعل على رأس هذه المعاصي:

﴿ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

[سورة البقرة:169]

الإمام الغزالي رحمه الله تعالى يقول: " العوام لأن يرتكبوا الكبائر أهون من أن يقولوا على الله ما لا يعلمون ".

الآيات الدالة على عظمة الله لا تعد ولا تحصى :

وهناك شيء آخر هو أن الله سبحانه وتعالى حينما يقع الإنسان في معصية في مفردات المنهج الإلهي سريعاً ما يتوب منها، أما حينما يظن بالله ظن السوء، ويتوهم عن الذات العلية أفكارًا غير صحيحة، فهذا يحجبه عن الله عز وجل، فأفضل ألف مرة أن تخطئ في الوزن من أن تخطئ في الميزان، فالخطأ في الميزان لا يصحح، بينما الخطأ في الوزن لا يتكرر.

الحقيقة أن الآيات التي تدل على عظمة الله لا تعد ولا تحصى، وقلت مرة: لو أنّ إنسانًا في مقتبل حياته قال: مليار مليار إلى أن وافته المنية في الثمانين، لا تنتهي آيات الله عز وجل، وهذا مأخوذ من قوله تعالى:

﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً ﴾

[سورة الكهف:109]

وفي آية ثانية:

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴾

[سورة لقمان: 27]

ومعلوم لديكم أن محبرة صغيرة تكفي الطالب سنوات وسنوات، فكيف إذا كانت مياه البحار كلها في سبعة أضعاف هي المداد لكلمات الله؟ قال:

﴿ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴾

تحقق حاجات الإنسان من خلال النبات :

ولكن الله جلت حكمته أعطانا من هذه الآيات التي لا تعد ولا تحصى عدداً محدوداً، أنا أسمي هذا العدد هو منهج الإنسان في التفكر في ملكوت السموات والأرض، بل إن هذا العدد اختاره الله لحكمة بالغة، لأن هذه الآيات قريبة منا، من حياتنا اليومية، فأقرب شيء منا هذا النبات، وفي آية في سورة المائدة ورد ذكر النبات في كلمتين، قال تعالى:

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾

[سورة الأنعام : 99]

فأنت ترى أن الخشب نصنع منه الأثاث، بعضها أثاثات المنازل، وبعضها لاستعمال الصناعة، وبعضها للتدفئة، وبعضها للأساس، أما كلمة نبات فكل شيء، هناك نبات نتغذى من أزهاره، ونبات من أوراقه، ونبات من جذوره، ونبات فيه دواء، ونبات فيه أصبغة، ونبات فيه مواد خفيفة كالفلين، ونبات فيه مواد نتعامل بها كالمواد الصلبة كالكوشوك، ونبات يعد أواني، ونبات يؤخذ منه الورق، لو ذهبت تبحث عن أنواع

النبات لما وجدت من سبيل لإحصاء النبات، نبات حدودي بين البساتين، نبات يعد مسطحاً أخضر هذا بذور المرج، نبات ورود ورياحين، ونبات لإمتاع الإنسان، ونبات ليكون مظلة لك أمام البيت، فلما قال الله عز وجل:

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾

[سورة الأنعام : 99]

تقريباً معظم حاجات الإنسان تتحقق من خلال النبات، لكن محور هذا اللقاء حول باحث من دولة عربية عرف بإنتاجه العلمي والعملي على المستويين العربي والدولي، اختصاصه في علم فزلجة النبات، وهو أستاذ جامعي له وزنه العلمي.

المذيع:

ما معنى دكتور فزلجة النبات ؟

فزلجة النبات :

الأستاذ:

يصنع الدواء من النباتَ

نحن عندنا فيزيولوجية، علم وظائف الأعضاء، عندنا تشريح المعدة وفيزيولوجية المعدة، وظيفة المعدة فيزيولوجية، أما تشريحها فتشريح، ومعلوم لديكم أن الطلاب في الطب في السنة الأولى يدرسون علومًا عامة، وفي الثانية التشريح، وفي الثالثة الفيزيولوجية، وفي الرابعة الأمراض، وفي الخامسة علم الأدوية، هذا هو المنهج.

هذا الأستاذ العلمي الذي له وزنه، اشتهر بتجاربه العلمية الرائدة، أما التجربة التي سنعرض لها فربما لا تصدقونها أيها الأخوة المستمعون، إلا أن الواقع أثبتها، ويؤكد هذا الواقع القرآن الكريم، إذ قال تعالى:

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾

[سورة الإسراء: 44]

﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ ﴾

أي ما من شيء إلا يسبح بحمده.

تسبيح النبات للخالق العظيم :

قد يقول قائل: إن هذا التسبيح من إتقان الصنعة، فإذا نظرت لهذه الوردة قلت: سبحان الله! ليس هذا هو المعنى، لأن الآية تقول:

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً ﴾

[سورة الإسراء: 44]

أي لها تسبيح خاص، فالنبات يسبح، وفي قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾

[سورة النور: 41]

وفي آية ثالثة:

﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

[سورة الحشر: 24]

وفي آية رابعة:

﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ*وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾

[سورة الرحمن: 6-7]

هذه الآيات تؤكد أن للنبات تسبيحاً للخالق العظيم، وهناك بداية بحوث تؤكد أن للنبات حياة نفسية، لكن هذه التجربة تقع على رأس هذه المحاولات لاكتشاف الحياة النفسية للنبات.

المذيع:

فضيلة الدكتور، هل هذه التجربة قديمة أم حديثة؟

النباتات كمخلوقات الله تشعر وتسمع وتستجيب :

الأستاذ:

النباتات كالأجرام السماوية، وكمخلوقات الله الأخرى تشعر، وتسمع، وتستجيب سلباً أو إيجاباً لما حولها من مؤثرات خارجية، هذا ملخص البحث.

وأمّا مفصّله فقد أجرى هذا الباحث في حديقة كلية العلوم تجربة عام 1997 فنصب أربعة بيوت بلاستيكية موحدة في حجمها، وزرع فيها قمحاً من نوع معين واحد، وملأها بكميات متساوية من التراب، وغرس فيها بذور الحنطة على عمق واحد، وتمّ تسميدها جميعاً بكميات متساوية من سماد معين، وسقيت جميعاً بذات العدد من السقيا،

وبكميات متماثلة من الماء، العجيب أنه أراد التوحيد في كل شيء في الحجم، والتربة، ونوع البذار والسقيا، وزمن السقيا، ونوع السماد، ثم اختار إحدى طالباته لتقرأ السورة القرآنية التالية على أحد البيوت البلاستيكية، سورة يس، والفاتحة، والإخلاص، وآية الكرسي، مرتين في الأسبوع على البيت الأول، عندنا أربعة بيوت، أول بيت تلت طالبة من طالباته في الأسبوع مرتين سورة الفاتحة والكرسي والإخلاص ويس، وفي البيت الثاني كلف طالبة أن تأتي بنبات، وتمزقه أمام بقية النبات، وتعذبه، وتقطع أوصاله، وتذكر كلمات قاسية نابية أمام هذا النبات، كلام قاس، وناب، وتمزيق، وتعذيب لنبات أمام نبات، وكما قلت قبل قليل: مرتين في الأسبوع، وكلف طالبة ثالثة بضرب النبات الثالث، وكيّه، وتعريض وريقاته للقص، فهناك نبات عذب أمامه نبات، وهناك نبات تلقى التعذيب مباشرة، وهناك نبات قرأت عليه آيات القرآن الكريم، وأما البيت الرابع فترك ينمو نمواً طبيعياً، وأطلق عليه اسم البيت الضابط، فماذا كانت النتيجة؟ البيت الرابع هو المقياس، والأول سمع القرآن، والثاني لقي التعذيب، والثالث رأى التعذيب، النتيجة طبعاً هو وضع هذه التجربة قبل زمن من انعقاد مؤتمر علمي، فحينما قطف النتائج كان هناك علماء من شتى بقاع العالم، فماذا كانت النتيجة التي عرضها في مؤتمر علمي؟ أن نبات البيت الذي استمع للقرآن الكريم ازداد طوله أربعة وأربعين بالمئة من طول النبات الضابط في البيت الرابع، وازدادت غلته مئة وأربعين بالمئة من غلة البيت الرابع الضابط، أما البيت الثاني والثالث اللذان تحملا التعذيب ورؤيته فقد تدنى طول نباتهما خمسة وثلاثين بالمئة، وهبط إنتاجه إلى ثمانين بالمئة، وهذا تفسير علمي للبركة، فحينما يزرع المؤمن يقرأ القرآن بنفس طيبة، ويذكر الله دائماً فهذا الذكر أمام النبات يزيد في الغلة.

المذيع:

سبحان الله ! تجربة علمية مقنعة في آن واحد، هذا ما يحصل عليه المؤمن حينما يذكر الله سبحانه وتعالى، وكما ذكرتم في البداية أن الله سبحانه وتعالى قال:

﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

[سورة الحشر: 24]

هذا هو ما يحصل عليه من يذكر الله سبحانه وتعالى، إن كان على نبات، أو حيوان، أو ما شابه ذلك.

من يتعرف إلى الله يملك شفافية رائعة :

الأستاذ:

لكن يجب أن نعتقد أن لكل شيء خلقه الله في هذا الكون نفسًا تسبح الله بطريقة لا نعرفها، حتى الجمادات لها نفوس، لو درس الإنسان الفيزياء لرأى أن هذه المواد الجامدة فيها ذرات، فيها نواة، وكهارب، ونيترونات، وحركة دائبة تدور حول هذه النواة، فكل شيء فيه حياة، فقال:

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً ﴾

[سورة الإسراء: 44]

تروي السيرة أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يخطب على جذع نخلة، فلما صنع له أصحابه المنبر حنت النخلة إليه، فكان يقف على المنبر، ويضع يده على النخلة إكراماً لها، فَعَنْ جَابِرَ بْن عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ:

((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَطَبَ يَسْتَنِدُ إِلَى جِذْعِ نَخْلَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، فَلَمَّا صُنِعَ الْمِنْبَرُ، وَاسْتَوَى عَلَيْهِ اضْطَرَبَتْ تِلْكَ السَّارِيَةُ كَحَنِينِ النَّاقَةِ، حَتَّى سَمِعَهَا أَهْلُ الْمَسْجِدِ، حَتَّى نَزَلَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاعْتَنَقَهَا، فَسَكَتَت))

[الترمذي عَنْ جَابِرَ بْن عَبْدِ اللَّهِ]

فالمؤمن حينما يتعرف إلى الله يملك ما يسمى بالشفافية، يتعامل مع المخلوقات تعاملاً فيه مشاركة، ومحبة، ومودة.

((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ: أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَلْفَهُ ذَاتَ يَوْمٍ، فَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لَا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا مِنْ النَّاسِ، وَكَانَ أَحَبُّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَاجَتِهِ هَدَفًا، أَوْ حَائِشَ نَخْلٍ، قَالَ: فَدَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ مِنْ الْأَنْصَارِ، فَإِذَا جَمَلٌ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَنَّ، وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ فَسَكَتَ، فَقَالَ: مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ ؟ لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ ؟ فَجَاءَ فَتًى مِنْ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: أَفَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا: فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ: وَتُدْئِبُهُ))

[أبو داود، أحمد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ]

((عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ، إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ))

[مسلم عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ]

هذا قبل البعثة.

تقنين الله لعباده تقنين تأديب وتربية :

المؤمن حينما تشف نفسه يتعامل مع من حوله في مستوى من المشاركة الوجدانية والمحبة، ولأن الإنسان أحب الله فيحب كل مخلوقاته، ومخلوقات الله عز وجل كلها في خدمته، لأنها مسخرة إليه.

مرة كنت في زيارة بستان في أطراف دمشق، وقد زرع صاحبُه بعضاً من مساحته بالقمح، أمسكت خمساً وثلاثين سنبلة من حبة قمح واحدة، حبة قمح أنبتت خمساً وثلاثين سنبلة، وعددت حبات سنبلة واحدة فوجدتها خمسين حبة، فكان المحصل ألف وسبعمئة وخمسين حبة من حبة، فهذا يبين أن فضل الله لا حدّ له، فأحياناً نزرع القمح في بلدنا الطيب، في بعض الأعوام مجموع إنتاج القمح بلغ ستمئة وخمسين ألف طن، في بعض الأعوام أربعة ملايين طن، فهذا عطاء الله عز وجل ليس له حدود.

فالعبرة أن نؤهل أنفسنا لهذا العطاء، لأن الله سبحانه وتعالى لا يعقل ولا يقبل أن يقنن تقنين عجز، نحن بني البشر إذا قننا فنقنن تقنين عجز، فنقطع الكهرباء والمياه، هذا من عجزنا، لكن الله عز وجل إذا قنن فيقنن تقنين تأديب.

مرت المنطقة بسنوات فيها شح بالأمطار، قرأت بحثاً عن سحابة في الفضاء الخارجي اكتشفت قبل أعوام يمكن أن تملأ محيطات الأرض ستين مرة في أربع وعشرين ساعة بالمياه العذبة، وهذا يؤكد قوله تعالى:

﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ ﴾

[سورة الحجر: 21]

وحتى نفهم ما يجري في الأرض من تقنين.

﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ ﴾

[سورة الشورى: 27]

فتقنين الله عز وجل لعباده أحياناً يعد تقنين تأديب وتربية، لا تقنين عجز وافتقار.

المذيع:

أيها الأخوة والأخوات، وكما حدثنا فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي عن دلائل نبوة للنبي ﷺ، فقد حن النخيل ليديه الشريفتين عليه الصلاة والسلام، وصلى عليه الحجر.

كنا قد بدأنا في بحثنا في هذا اللقاء في أثر القرآن في تقويم سلوك النبات، فكانت تجربة جميلة جداً في باحة لدولة عربية مجاورة.

رحمة النبي بالحيوان :

الأستاذ:

من دلائل نبوته أيضاً أنه رأى إحدى أصحابه يذبح شاة أمام أختها، فغضب غضباً شديداً، قال:

((أتريد أن تميتها مرتين؟ هلا حجبتها عن أختها))

[ورد في الأثر]

هذه رحمة النبي بالحيوان ﷺ.

خاتمة و توديع :

المذيع:

يدلنا هذا البحث وهذا الكلام من السيرة النبوية الشريفة أن للنبات حياة، وله حس، ويشعر بالآخرين، كما للدابة شعور أيضاً.

أخوة الإيمان والإسلام إلى حلقة قادمة، وهذه الحلقات مع فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي، نستودعكم الله.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

والحمد لله رب العالمين

الحلقة 12 – 30 : البرزخ – الحجر المحجور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة :

المذيع :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

في القرآن الكريم مئات الآيات الكريمة التي تتعلق بعلم الكون ، والفلك ، والإنسان ، والبحار ، والأرض ، منها ما كشف العلم عنها ، وعن مضامينها ، ومنها ما لم يكشف بعد ، ويستطيع الباحث أن يستخلص من هذه الآيات بعد درسِها بصورة منهجية ، وعلى ضوء ما ثبت من العلوم الفلكية والكونية والأرضية الخطوطَ الرئيسةَ لهذا العلم الأخاذ ، الذي يعطينا فكرة علمية عن قدرة المولى وعظمته سبحانه وتعالى .

معنا في هذه الحلقات مَن يحدثنا عن عظمة الخالق من خلال مخلوقاته ، معنا فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي، الأستاذ المحاضر في كلية التربية بجامعة دمشق ، خطيب ومدرس ديني في جوامع دمشق ، أهلاً وسهلاً بفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي .

هناك كلمة في القرآن الكريم (البرزخ) ، نتمنى من فضيلتكم أن نتعلم من خلال هذه الكلمة معناها ، ودقة التفصيل في هذه الآية الكريمة :

﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴾

[سورة الرحمن: 19-20]

تطابق كلام الله عز وجل مع خلقه :

الدكتور راتب :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين . أستاذ عبد الحليم – جزاك الله خيراً – لا بد من مقدمة تلقي ضوءاً على هذا البحث ، وهي أن النبي عليه الصلاة والسلام أرسله الله لكل الشعوب ، للعالمين كافة ، لذلك ينبغي أن تكون معجزته مستمرة ، ذلك لأن الأقوام السابقين كان لكل قوم نبي قد بعث إليهم ، قال تعالى :

﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾

[سورة الرعد: 7]

وكانت المعجزات السابقة حسية ، بمعنى أنها وقعت ، ولن تقع ثانية ، أصبحت خبراً يصدقه من يصدقه ، ويكذبه من يكذبه ، ولكن معجزة النبي ﷺ كانت معجزة علمية ، ففي هذا القرآن الكريم آيات تزيد على ألف وثلاثمئة آية تتحدث عن الأكوان، وخلق الإنسان ، والأسماك ، والأطيار ، وبقية المخلوقات ، هذه الآيات باجتهاد من النبي لم يشرحها ، وقد قلت سابقاً : إنه لو شرحها شرحاً مقتضباً مبسطاً ليفهمها من حوله لأنكرنا نحن عليه ، ولو شرحت شرحاً مفصلاً يلبي حاجتنا للدقائق والتفصيلات لأنكر من حوله ذلك ، تركت هذه الآيات من دون شرح ليكون لكل عصر دور في شرح هذه الآيات ، ويتوافق هذا العمل الذي جاء من طرف آخر ليوضح ما جاء في القرآن دون أن يشعر ، كي يتوافق مع قوله تعالى :

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ﴾

[سورة فصلت الآية : 53]

الطرف الذي يكتشف هذه الحقائق ليس المسلمين ، ولكنه طرف آخر ، قد لا يعتقد بأحقية هذا الكتاب الكريم ، وهذا دقيق جداً ، لأن المسلمين لو أتوا بهذه الحقائق لاتهموا أنهم دبروها تدبيراً ، أما حينما يأتي طرف لا يعبأ بنبي ، ولا بكتابه الكريم ، ويأتي بحقيقة ناصعة تتوافق توافقًا تامًا مع ما في القرآن الكريم لاتضح أن الخالق واحد، هذا خَلقه ، وهذا كلامه ، فكلامه يتطابق مع خلقه .

البرزخ بين البحرين :

الآية التي ذكرت هذه الظاهرة والتي تفضلت بها هي قوله تعالى :

﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ * فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

[سورة الرحمن: 19-21]

أي إن هذا البحر مضطرب ، فيه أمواج ، وحركة دائبة ، ولهذه الحركة مزية كبيرة في بقاء مياه البحر بعيدة عن أن تكون مياه آسنة ، فهذا البحر يضطرب ، وقد يلتقي البحران .

﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾

[سورة الرحمن: 19]

مثلاً : البحر الأسود يلتقي مع البحر الأبيض في البوسفور ، والبحر الأبيض يلتقي مع البحر الأحمر في قناة السويس ، والبحر الأحمر يلتقي مع البحر العربي في باب المندب ، والبحر الأبيض يلتقي مع المحيط الأطلسي في مضيق جبل طارق ، هذه أماكن تلتقي فيها البحار ، والمفسرون كما تفضلت هذه الآية لم تكن موضحة في أذهانهم ، أين هذا البرزخ ؟ حينما اكتشفت المركبات الفضائية ، وحينما تمكن الإنسان من أن يصور الأرض من الفضاء اتضح في هذه الصور أن بين كل بحرين خطاً وهمياً ، هو خط تمايز لونين ، فهذه منطلق الفكرة لفهم

هذه الآية .

فبعض علماء البحار نزل إلى باب المندب ، أو إلى مضيق جبل طارق ، أو إلى قناة السويس ، فكأن هناك خطّاً بين كل بحرين ، يمنع تداخل مياه البحرين بعضها في الآخر ، ذلك أن العلماء قاسوا ملوحة كل بحر ، ومكونات كل بحر ، وكثافته ، فإذا هي متباينة، الكثافة والمكونات والملوحة والخصائص ثابتة لا تتبدل حتى عند التقاء مياه البحرين ، اطلعتُ على بحث مفاده أن بعض علماء البحار أتى بكم كبير من قصاصات الورق ، ووضعها في هذا المكان الذي يبدو فيه الحاجز بين البحرين ، فلم تنتقل إلى البحر الآخر ، فاتضح أن بين البحرين برزخاً ، أي حاجزاً موجودًا ، أما طبيعته فلا تزال غامضة .

المذيع :

فضيلة الدكتور ، كلمة البرزخ هل كان لها معنى الحاجز ؟

إشارات في القرآن الكريم لبعض حقائق الكون من دون تفصيلات :

الدكتور راتب :

هي الحاجز ، لكن لم يفهم ما طبيعة هذا الحاجز ، برزخ حاجز بين شيئين ، لكن طبيعته لم تكن واضحة ، الآن علمنا نتائج هذا الحاجز ، لكن طبيعته لا تزال مجهولة ، نحن في العلم قد ندرس الآثار ، أما الكُنه فقد لا نعرفه، الكهرباء لها آثار واضحة جداً ، واستخدمها الإنسان أوسع استخدام ، لو سألت أعلم علماء الأرض في الكهرباء لَمَا أعطاك جواباً شافياً ، ما طبيعة الكهرباء ؟ كل شيء فوق طبيعة البشر ، لكن آثاره قضية مقدور عليها ، لكن الآن اتضح أن البرزخ الذي بين البحرين هو الحاجز الذي يفصل مياه كل بحر عن مياه البحر الآخر، فلا تختلط المياه ، ولا سيما في أماكن الاتصال ، بل إن لكل بحر ملوحته وكثافته ومكوناته وخصائصه ، الأمر

الذي يلقي ضوءاً كاشفاً على إعجاز هذه الآية العلمي ، فالقرآن الكريم فيه إشارات لبعض حقائق الكون من دون تفصيلات ، لئلا يصبح الكتاب كتاب علم ، وهو كتاب هداية ، لكن من أجل أن تتيقن أن الذي أبدع الأكوان هو الذي أنزل القرآن تأتي هذه الآيات العلمية فيها إشارات لطيفة إلى حقائق لم يتم اكتشافها حين نزول القرآن ، ولكنها بعد حين من الزمن أصبحت واضحة جلية .

﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴾

[سورة الرحمن: 19-20]

لا تبغي مياه بحر على مياه بحر آخر ، بفضل هذا البرزخ الذي وجد بين البحرين لا يختلطان ، طبعاً هذا من باب الاستعارة ، في سورة الكهف قال تعالى :

﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾

[سورة الكهف: 77]

أعطي هذا الجدار صفة الإنسان ، أو شبه به ، وحذف المشبه به ، وبقيت بعض لوازمه ، وهي الإرادة فقال :

﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾

[سورة الكهف: 77]

هذا في البلاغة اسمه الاستعارة ، أنت حينما تقول :

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع

***

أنشبت أظفارها ، شبهت المنية بوحش ، وحذف الوحش ، وبقيت بعض لوازمه ، وهو إنشاب الأظفار ، هذه استعارة يسميها علماء البلاغة مكنية ، أما الاستعارة التصريحية فشيء لطيف ، قال بعض الشعراء يصف بنتاً

صغيرة تبكي :

فأمطرت لؤلؤاً من نرجس وسقت ورداً وعضّت على العناب بالبرد

***

أمطرت دموعاً كاللؤلؤ على خد كالورد ، فأمطرت لؤلؤاً من نرجس ، من عيون كالنرجس ، وعضت على الأصابع كالعناب بأسنان كالبرد ، هذه استعارة تصريحية ، والمكنية كما قال تعالى :

﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾

[سورة الكهف: 77]

هنا شبه البحر بعدو يبغي على خصمه ، فقال تعالى :

﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴾

[سورة الرحمن: 20]

والحقيقة أن قواعد البلاغة شيء رائع جداً ، وربما ألقت ضوءاً كاشفاً على حقيقة إعجاز القرآن الكريم :

﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ * فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

[سورة الرحمن: 20-21]

الله يخاطب الإنس والجن .

الفرق بين البرزخ و الحجر المحجور :

هناك آية ثانية في هذا الموضوع ، قال تعالى :

﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَحْجُوراً﴾

[سورة الفرقان: 53]

البرزخ بين البحرين ، أما الحجر المحجور فبين البحر والنهر .

أستاذ عبد الحليم ، يوجد ينابيع في البحرين ، يركب الإنسان قارباً ليصل إلى نبع في البحر ، وفي الساحل السوري ينابيع كثيرة في وسط البحر ، وهذا أيضاً من إعجاز القرآن الكريم ، فالمياه العذبة لا تختلط بالمياه المالحة ، يتضح هذا واضحاً جلياً في مصبات الأنهار ، نهر كالأمازون الذي كثافته ثلاثمئة ألف متر مكعب في الثانية قد يمشي في البحر خمسين إلى ستين إلى ثمانين كيلو مترًا ، وتبقى المياه عذبة ، لذلك أكبر تجمع لصيد السمك في البحار هو مصبات الأنهار ، لأن مياه الأنهار عذبة ، ومياه البحار مالحة ، وبينهما حجر محجور ، يمنع اختلاط المياه العذبة بالمالحة .

لذلك أسماك المياه العذبة تبقى في المياه العذبة ، ولا تنتقل إلى المياه المالحة ، أكبر تجمع صيد السمك في مصبات الأنهار ، وهذا معنى قوله تعالى :

﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَحْجُوراً﴾

[سورة الفرقان: 53]

الإنسان حينما يركب البحر ، وتغرق السفينة ، ويستقل قارب نجاة قد يموت عطشاً كما قال الشاعر :

كالعيس في الصحراء يقتلها الظمأ والماء من فوق ظهورها محمول

***

إنسان يركب البحر يموت عطشاً .

المذيع :

فضيلة الدكتور ، إن أردنا أن نفسر بعض الكلمات في هذه الآية الكريمة :

﴿ عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾

﴿ وَحِجْراً مَحْجُوراً ﴾

تفسير كلمات العذب الفرات و الحجر المحجور :

الدكتور راتب :

العذب الفرات الماء المستساغ ، الماء العذب الطيب الذي تستسيغه النفس البشرية، ملح أجاج الذي يمجّ ، لا يحتمل ، يتقيؤه الإنسان ، لا يستساغ ، عذب فرات يستساغ .

بقي شيء ؛ أن هذا الذي اكتشف هذه الحقيقة ظن أنه بلغ الثريا ، فلما أنبأ أن في القرآن الكريم آية تشير إلى ذلك لم يصدق ، وفي بعض المقالات لعله أسلم ، هو كشف أن بين البحرين حاجزاً ، بينهما حجر محجور ، العذب والفرات ، ثم ظن أنه كان الأول في هذا الكشف العلمي ، فإذا في القرآن الكريم آية تشير إلى أن القرآن جاء بهذه الحقيقة قبل ألف وأربعمئة عام، فهناك من يقول : إنه أعلن إسلامه .

خاتمة و توديع :

المذيع :

إذاً كنا في هذه الحلقة مع فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، وفسرنا الآية الأولى :

﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ * فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

[سورة الرحمن: 19-21]

والآية الأخرى :

﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَحْجُوراً﴾

[سورة الفرقان: 53]

أيها الأخوة والأخوات ؛ آيات فيها إعجاز كبير ، تدلنا على قدرة الخالق ، وعلى أن هذا هو كتاب الله ، وعلى أن هذا هو القرآن الكريم ، الذي أتى وحياً للنبي ﷺ .

طبعاً نشكر فضيلة الدكتور في هذه الحلقة ، وإلى حلقة قادمة ، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

والحمد لله رب العالمين

الحلقة 13 – 30 : التربة وماتحتويه – الزنجبيل

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ عبد الحليم :

﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾

[سورة الذاريات الآية : 21]

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أخوة الإيمان والإسلام السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، التفكر في السموات والأرض، والنظر في أفعاله، والتدبر في آياته القرآنية طرق موصلة إلى الله سبحانه وتعالى ولخشيته، فالعلم هو الوسيلة والطريق إلى الله سبحانه وتعالى، فنتعرف إليه من خلال مخلوقاته، ومن خلال آياته الكونية والقرآنية، نرى دائماً ما فوق الأرض فنتعجب، ونصدق، وتزيد عندنا الخشية، ولكن في هذه الحلقة ومعنا فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي الأستاذ المحاضر في جامعة دمشق، والخطيب والمحاضر والمدرس في مساجد دمشق، أهلاً وسهلاً بكم يا سيدي. في هذه الحلقة، مع الدكتور سنغوص فيما هو تحت الأرض– التربة– وما تحويه من حشرات وكائنات في منتهى الدقة.

دور التربة و ما تحويه من حشرات و كائنات في منتهى الدقة :

الأستاذ راتب :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

ثمة شيء لا يصدق، إن متراً مكعباً من التربة التي نستخدمها للزراعة فيه ما يزيد على مئتي ألف من الديدان العنكبية، وفيه ما يزيد على مئة ألف من الحشرات، وعلى ثلاثمئة من ديدان التربة العادية، وعلى آلاف الملايين من الجراثيم والكائنات المتناهية في الدقة، وإن غراماً واحداً من هذه التربة يحتوي على عدة مليارات من البكتريا، هي المخلوقات المتناهية في الدقة على شكل عصيات، وعلى شكل كريات، وعلى شكل لوالب، بعضها يحتاج إلى الأوكسجين، وبعضها لا يحتاج، بعضها عارٍ، وبعضها له أهداب تمكنه من الحركة، إن هذا المصنع نعني به التربة ذو حركة دائمة، يقوم بمهمات هي أكثر المهمات غموضاً واستغلاقاً حتى اليوم، هذه الكائنات ما وظيفتها؟ يعرف العلماء بعض الوظائف، أما وظيفتها بالضبط فلا يزال هذا سراً لا تكتشفه العقول، هذا المصنع ذو حركة دائمة، يقوم بمهمات هي من أكثر المهمات أهمية، ونفعاً للإنسان، مفارقة حادة قد لا تصدق، لو أن الجنس البشري كله أبيد عن بكرة أبيه لبقيت الحياة مستمرة، أما هذه الكائنات لو أبيدت لانتهت الحياة من سطح الأرض كلياً، فربما كان وجود هذه الكائنات من حيث أداء الوظيفة أخطر من وجود الإنسان، فكل شيء نأكله على نحو مباشر أو غير مباشر إنما أصله من النبات الأخضر، وقد ذكرت في حلقة سابقة أن الله وصف النبات بأنه نبات كل شيء.

فإذا أكلت اللحم مثلاً، فاللحم نبت من العشب، فهذا الخروف أكل العشب، فنما جسمه فأكلت أنت لحمه، فغذاؤك بشكل أو بآخر أساسه النبات الأخضر، قال تعالى :

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾

[سورة يس]

الحقيقة:

﴿مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾

كأنك تحس أن هناك مفارقة، الشجر الأخضر لا يشتعل، يشتعل الشجر اليابس، هناك شرح علمي لهذه المفارقة في هذه الآية : كيف يكون الشجر الأخضر وكيف يجعل وقوداً ولا يكون الشجر وقوداً إلا إذا كان يابساً؟ فلماذا قال الله تعالى:

﴿مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ﴾

قال بعض العلماء : إن كلمة أخضر هي إشارة علمية إلى أن هذا الشجر ما كان له أن يكون شجراً لولا أوراقه الخضراء، فالأوراق الخضراء أساس وجوده، بل إن نمو النبات يعتمد على حادثة اسمها التحليل والتمثيل الضوئي، فلا نبات بلا ضوء، ولا نبات بلا شمس، ولا نبات بلا ماء، فالماء والشمس وغاز الفحم الذي أودعه الله في الجو هو سبب نمو النبات، وما أوراق الأشجار إلا معامل تصنع مواد النبات الأساسية وتصنع المواد العضوية.

الأستاذ عبد الحليم :

إذاً كما ذكرتم فضيلة الدكتور هناك تحت الأرض حشرات وديدان عنكبية في التربة لها دور أساسي في نمو هذه النبتات، وطبعاً هذه النباتات هي التي تطعم الدواب، وتطعمنا، فلذلك تكتمل دورة الحياة.

نظام النبات من أعقد الأنظمة في الكون :

الأستاذ راتب :

قرأت مرة كلمة يقول كاتبها : إن أعقد معمل صنعه الإنسان من دون استثناء لا يرقى إلى مستوى الورقة، ماذا يتم في هذه الورقة؟ كما قلت قبل قليل: النبات يمتص الماء مع المعادن المنحلة فيه من التربة، والورقة تأخذ الآزوت من الجو، والشمس لها دور كبير جداً في تصنيع نواتج هذه الورقة، الورقة تصنع ما يسميه علماء النبات النسغ النازل، نسغ صاعد ونازل، صاعد فيه ماء وأملاح المعادن، ونازل هذا النازل، تصور سائلاً يمكن أن يكون قماشاً، أو خشباً، أو حديداً، أو بساطاً، النسغ النازل؛ سائل واحد يصنع ثمرةً، ويصنع ورقة، ويصنع غصناً، ويصنع جذعاً، ويصنع جذراً، والسائل واحد، فهذا النسغ النازل هو سبب ظهور الثمار والأزهار في الربيع، وسبب نمو الأغصان، وسبب ازدياد قطر الجذع، وسبب نمو الجذور، كله من مادة أصلية واحدة.

فلذلك يعد نظام النبات من أعقد الأنظمة في الكون، لكن بلطف، معمل صغير يحتاج إلى وقود، وإلى معادن، وإلى صوت محرك، أما هذه الشجرة وهي صامتة تمتص من التراب الماء وأملاح المعادن، وتأخذ أشعة الشمس، وتأخذ من الهواء الآزوت، فتصنع لك ألواناً ملونة، وأنواعاً منوعة من الفواكه، وما شاكل ذلك، هذا من آيات الله الدالة على عظمته.

الأستاذ عبد الحليم :

فضيلة الدكتور، بالنسبة لحياة الإنسان، نرى أنه يتنفس من الهواء، ويأكل مما عليه من الأرض، ولكن بالنسبة إلى البكتريات والديدان، وما هناك، ماذا يتنفسون؟ وماذا يأكلون؟ هناك لهم مراحل حياتية غريبة على ما أعتقد؟

ما من مخلوق خلقه الله إلا وله دور أساسي في خدمة الإنسان :

الأستاذ راتب :

في التربة حيوانات مهمتها الوحيدة تخلل التربة بالهواء، فلو أبيدت هذه الحيوانات لانعدم النبات، القوارض مقززة على سطح الأرض، لكن لها دور خطير في باطن الأرض، الأفاعي أيضاً، هناك الخلد، الأرنب، هناك حيوانات كثيرة جداً مهمتها

الأولى أن تخلل التربة بالهواء، وهذا أيضاً مما يلفت النظر في خلق الله عز وجل، نحن أمرنا أن نقتل الحية لا لأن وجودها فيه خطأ، لا، لأنها خرجت عن دائرة عملها، دائرة عملها في باطن التربة، أما إذا خرجت فهي ترعب الصغار والكبار، لكن العلماء اكتشفوا الآن أن سم الأفعى له أثر فعال لا يصدق في توسيع الأوعية الدموية، أدوية الضغط كلها تؤخذ من سم الأفعى؛ لماذا إذا لدغت الأفعى إنساناً يموت؟ لأنها إذا لدغته تتوسع أوعيته حتى يصبح الضغط صفراً، فيموت الإنسان، يؤخذ من هذا السم قدر ضئيل جداً تتوسع الأوعية فيخف الضغط على الإنسان، والضغط كما تعلمون هو ضيق تشنجي في الأوعية، ومن حكمة الله ﷻ أن كل أوعية الإنسان فيها عضلات دائرية، تضيق وتتوسع.

ومرة ذكرت في حلقة سابقة أن الإنسان الخائف يصفر لونه، لأن بعض أوامر الكظر إلى الأوعية المحيطة بالجلد فتضيق لمعتها فيصفر لون الخائف.

فالأفعى لها دور في الأرض، وما من مخلوق خلقه الله إلا وله دور أساسي في خدمة الإنسان، حتى الحيوانات التي ننزعج منها لها دور بشكل أو بآخر.

الأستاذ عبد الحليم :

إذاً هناك كما ذكرتم فضيلة الدكتور، دورة حياة لا نراها بالعين المجردة، ولكن هي تحت التراب، فالحية والخلد يفسحون المجال للتربة كي تتنفس، ويدخل الهواء بداخلها، ولكن هناك الديدان التي تلتهم التراب، وما شابه ذلك.

وظيفة الديدان فتح أنفاق في التربة لتهويتها :

الأستاذ راتب :

هذه تصنع السماد، وسيأتي هذا بعد قليل، تتساقط الأوراق، فتأتي الرياح، وتوزع هذه الأوراق المتساقطة على أنحاء التربة، وتأتي مليارات الكائنات المجهرية فتلتهمها، فإذا التهمتها تصبح غذاءً صالحاً للكائنات الأكبر منها، هي وحيدة الخلية، فإذا التهمتها تصبح غذاءً صالحاً لكائنات أرقى منها، هي البكتريا، ويتم هذا على ثلاث مراحل، وهذه العمليات الحيوية تحتاج إلى الهواء، فمن أين يأتي الهواء داخل التربة؟ وظيفة الديدان أن تفتح أنفاقاً في التربة، فالديدان والقوارض والأفاعي وكل الكائنات التي تعيش تحت التربة وظيفتها تهوية التربة، فلو ألغيت لانعدم الإنبات من على سطح الأرض.

هذه الديدان– هنا المشكلة– تلتهم التراب، وتفرز السماد، ولا يعلم إلا الله كم من الأطنان تنتجها الديدان في الهكتار الواحد، وكم من الأطنان من الأسمدة تنتجها الديدان في الكيلو متر المربع الواحد، إنه كون عظيم، وله خالق عظيم، وقد أنزل هذا الخالق العظيم شرعاً حكيماً، فإلى أين نذهب؟ ومن الذي يصرفنا عن الله ﷻ! وعن تطبيق أمره؟ هذه بعض الحقائق الدقيقة! قال تعالى :

﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾

[سورة الإسراء الآية : 85]

﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾

[سورة البقرة الآية : 255]

كما قلت قبل قليل : في الغرام الواحد عدة غرامات من البكتريا، ما يجري تحت التراب لا يعلمه إلا الله، إنها معامل وكائنات، وعمليات تحول، ومعادلات، ونحن لا ندري ليس لنا إلا أن نقطف الثمار، وأن نأكلها، وأن نجني الخضراوات، وأن نأكلها، وأن نحصد المحاصيل، ونأكلها، والله سبحانه وتعالى بتدبيره وحكمته يهيئ لنا كل هذه النعم التي قال عنها:

﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾

[سورة إبراهيم الآية : 34]

الأستاذ عبد الحليم :

فضيلة الدكتور، بعد هذا التأمل والتفكر في خلق الله سبحانه وتعالى، وخصوصاً ما رأيناه في هذه الحلقة، وما سمعناه من فضيلتكم عن التربة، وما تحويه من كائنات حية وديدان، وما شابه ذلك، وكلٌّ له دوره، طبعاً نريد أن تعلمنا عن بعض النبتات التي لها دور فعال في هذه الحلقة، هناك متسع من الوقت كي تحدثنا عن ذلك.

لبعض الكائنات جوانب سلبية لكن فوائدها أكبر بكثير :

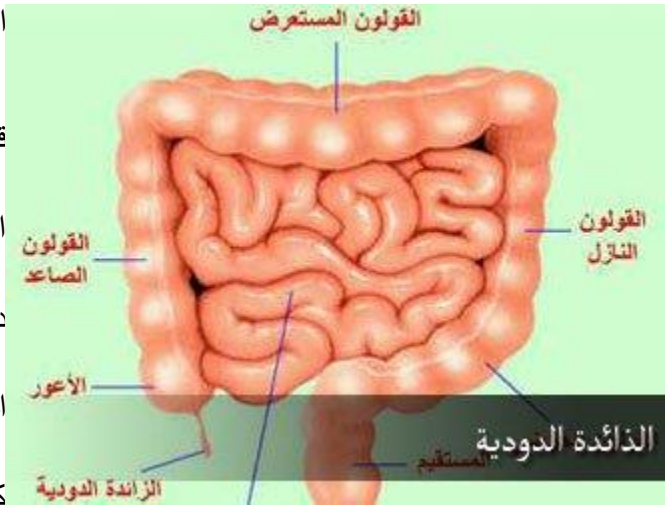

الأستاذ راتب :

قبل أن أخوض في هذا الموضع الذي طلبته – جزاك الله خيراً – يجب أن نعلم أنه ما من مخلوق إلا وله دور خطير في حياتنا، هذه حقيقة، وأنا أعترض اعتراضاً شديداً على من يقول: الزائدة الدودية مثلاً، كلمة زائدة تعني أنها زائدة، هي ليست زائدة، وأنا

أقترح أن يكون اسمها الذائدة الدودية؛ أي المدافعة، وقد ثبت أن الزائدة الدودية هي خط دفاع آخر في جسم الإنسان، إذاً لا يعقل أن خلق الله كامل كمالاً مطلقاً، أي يكون فيه زيادة، أو فيه نقص، أو فيه كائن يؤذي فقط، يؤذي من جانب لكن ينفع من جوانب أخرى.

مرةً قرأت مقالة أن بعض بلاد آسيا وأظن الصين استطاع أن يقضي على القوارض، فكانت النتيجة أن الزراعة ارتبكت ارتباكاً كبيراً جداً، حتى القوارض في المجاري لها دور في تنقية أنابيب المجاري، والممرات، فالإنسان دائماً كلما ازداد علمه يكشف الجانب الآخر، هناك جوانب سلبية في بعض الكائنات، لكن لها فوائد كبيرة جداً من جهة أخرى، كما تفضلتم.

النبتات التي ورد ذكرها في القرآن الكريم و فوائد الزنجبيل منها :

في القرآن الكريم وردت أربع نباتات، هي عند العلماء نبتات توابل، فمن هذه الآيات التي ورد فيها ذكر التوابل :

﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلاً ﴾

[سورة الإنسان]

والآية الثانية :

﴿ خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾

[سورة المطففين الآية : 26]

والآية الثالثة :

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً ﴾

[سورة الإنسان]

فالحديث عن الزنجبيل والمسك والكافور حديث عن التوابل، ولو اخترنا الزنجبيل، فإن طبيبًا قد قرأ كل ما كتب عن الزنجبيل في كتب الطب القديمة، وقرأ سبعة بحوث علمية صدرت عن مراكز علمية رصينة، وقد أشار في مقالته إلى أسماء البحوث التي صدرت حول هذه المادة فكان الشيء الذي يلفت النظر: إن الزنجبيل كما ورد في الكتب القديمة مسخن للجسم، معين على الهضم، ملين للبطن، مطهر ومقوٍّ، ينفع الزنجبيل في التهاب الحنجرة – لا يقال حُنجرة، خطأ شائع، صوابها الحَنجرة – ويعالج الرشح، ومسكِّن قوي لالتهاب المفاصل، ومسكن قوي للمغص المعوي، ومضاد للغثيان، خلاصته المائية دواء جيد لأمراض العين، ورد هذا في الكتب القديمة، لكن الشيء الذي لا يصدق ماذا ورد عنه في الكتب الحديثة؟ إن الأبحاث الحديثة التي أجراها علماء لا يعرفون هذه المادة التي وردت في القرآن الكريم، فقالوا: الزنجبيل منعش للقلب والتنفس، مقوٍّ لتقلص عضلة القلب، ديكوكسين الاسم العلمي لدواء تقوية القلب،، إنه مماثل تماماً للديكوكسين.

والزنجبيل موسع للأوعية والشرايين، يمنع تجمع الصفيحات الدموية، إذاً هو مميع للدم، يفيد في أمراض الجلطات الدماغية والقلبية، وخثرات الأطراف، يخفض من ارتفاع الضغط الدموي، وهو خافض للكولسترول، كأن أدوية القلب كلها جمعت في الزنجبيل، هذا النبات من نبتات التوابل، لماذا ورد ذكره في القرآن الكريم؟ لا شك أن له علاقة بالإنسان.

الآن أدوية القلب أدوية موسعة للشرايين، أدوية مقوية لنبض القلب، أدوية خافضة للضغط، أدوية خافضة للكولسترول، كل هذه الميزات موجودة في الزنجبيل، ودائماً الدواء الكيميائي له منافع ومضار معاً، بينما الدواء

النباتي كله منافع، لأنه من صنع الحكيم الخبير.

الأستاذ عبد الحليم :

فضيلة الدكتور، بالنسبة للزنجبيل اكتشف الأطباء كما ذكرتم أنه دواء لتوسعة الشرايين، وما شابه ذلك، ولكن هل اكتشف العرب قديماً الزنجبيل واكتشفوا أن له فوائد عديدة؟

تقصير العرب اليوم في البحث عن فوائد النبتات :

الأستاذ راتب :

الزنجبيل كما قال عنه بعض علماء الطب المسلمين: إنه مسخن للجسم، معين على الهضم، ملين للبطن، مطهر، مقوٍّ، ينفع في التهاب الحنجرة، ويعالج الرشح، مسكن قوي لالتهاب المفاصل، وأنا أتمنى أن يرجع الطب الحديث إلى ما في كتب الطب القديمة من فوائد لهذه النبتات، وأنا أتصور أننا مقصرون كثيراً في البحث عن الدواء النباتي بدلاً أن نبحث عن دواء كيماوي، اشترِ أي دواء، واقرأ ما كتب فيه، أو عنه، تجد أن له مضاعفات ينبغي أن ننتبه إليها، فكل دواء كيماوي ينفع من جهة، ويضر من جهة أخرى، أما الدواء النباتي فهو أأمن من سلبيات الدواء فيما أعلم.

خاتمة و توديع :

إذاً فضيلة الدكتور، وأيها الأخوة والأخوات، بعد هذا التأمل والتفكر في خلق السموات والأرض تعجز الكلمة عن الوصف، لذلك أستعين بهذه الكلمات من الشعر:

يا من يرى مد البعوض جناحها في ظلمة الليل البهيم الأليل

ويرى مناط عروقها في نحرها والمخ من تلك العظام النُحل

امنن علي بتوبة تمحو بـها ما كان مني في الزمان الأول

***

أيها الأخوة والأخوات، إلى حلقات قادمة بإذن الله تعالى، مع فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي، نتأمل ونتفكر في خلق السموات والأرض وما فيهن، أيها الأخوة نستودعكم الله.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

والحمد لله رب العالمين

الحلقة 14 – 30 : تيارات البحار

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾

[سورة الذاريات : 21]

السماء ، البرزخ ، النحل ، الأرض ، ظلمات الفضاء ، الكون ، النمل ، الكواكب، دقة الإنسان . التفكر في الخلق والكون حوارات مع الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي من علماء دمشق يجريها عبد الحليم قباني .

المذيع :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسولنا الكريم .

كما ذكر في كتاب الدكتور محمد راتب النابلسي : " الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة " نتلوه على مسامعكم : الكون قرآن صامت ، والقرآن كون ناطق ، والنبي ﷺ قرآن يمشي ، فالكون كله يترجم آيات القرآن ، والقرآن يجسد حقائق الكون ، والنبي ﷺ يجسد القرآن بخلقه ، فقد كان خلقه القرآن ، فالكون يظهر عظمة الخالق . وكما قال الإمام الشافعي : " كلما ازددت علماً ازددت علماً بجهلي " ، أي نزداد علماً من خلال هذه الحلقات ، ومع فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي الأستاذ المحاضر في جامعة دمشق ، والخطيب والأستاذ الديني والمحاضر في مساجد دمشق . أهلاً وسهلاً بكم يا سيدي .

هناك أمور لا نشعر بها مع علمنا بوجودها ، ففي البحار تيارات لا نشعر بها إلا إذا تعرّضنا لها ، نريد توضيحاً علمياً عن هذه التيارات في البحار ؟

التوضيح العلمي لتيارات البحار :

الدكتور راتب :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين . أستاذ عبد الحليم ، كما تفضلت هناك أشياء كثيرة جداً لا نعرفها ، يؤكد هذا المعنى قول الله عز وجل :

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴾

[سورة الحاقة : 38-39]

ففي الذي لا نبصره آيات نيّرات دالة على عظمة الله عز وجل ، فلو أن إنساناً نزل إلى البحر ليستحم في مياهه فإن قطرات الماء التي تمس جلده ربما تكون قد وصلت من توّها بعد رحلة استغرقت عدة سنوات ، لأن الماء في البحر يجري في تيارات من خط الاستواء إلى القطبين ، ومن القطبين إلى خط الاستواء ، وقد يقطع ماء البحر مسافة تزيد على خمسة عشر ألف كيلو متر ، فهذا الماء الذي تجده في البحر ماء متبدّل يقطع رحلات طويلة ، بعضها إلى الشمال ، وبعضها إلى الجنوب ، وبعضها إلى الشرق ، وبعضها إلى الغرب ، وهناك قوانين معقدة جداً تحكم حركة المياه في المحيطات ، ولكن الذي يعنينا أن سبب هذه الحركة في أصلها أن أشعة الشمس تسخن الماء الذي في خط الاستواء فيتمدد ، فيرتفع قرابة عشرين سنتيمتراً ، وهذا الارتفاع الطفيف يساهم في تشكيل تيار نحو الشمال ، وأن الماء في القطبين يبرد ، ومع برودته يسكن ، فيغوص في الأعماق ، ويتجه نحو خط الاستواء ، فهناك تيارات سطحية وتيارات عميقة .

هذه مقدمة نريد من خلالها أن نصل إلى أن من آيات الله الدالة على عظمته تياراً يسميه العلماء تيار الخليج ، هذا التيار – أستاذ عبد الحليم – سرعته ثمانية كيلو متر في الساعة ، فإذا دخلت فيه سفينة ، وأطفأت محركاتها فإنها تسير ثمانية كيلو متر في الساعة ، دون أن تعمل محركاتها ، عرض هذا التيار يزيد على ثمانين كيلو متراً، وعمقه يزيد على أربعمئة و خمسين متراً ، وهذا التيار كثافته أربعة ملايين طن من الماء في الدقيقة . قلت في حلقة سابقة : إن أضخم نهر في العالم هو نهر الأمازون ، كثافته ثلاثمئة ألف متر مربع في الثانية ، أما حركة هذا التيار في عمقه وعرضه وسرعته فتساوي كثافته أربعة ملايين طن من الماء في الدقيقة ، ماذا يفعل هذا التيار ؟ هذا التيار يذيب مئة و ثلاثين ألف طن من الكتل الثلجية في القطبين في عشرة أيام ، إذاً هذا التيار له مكان محدد ، وله مسار محدد من خط الاستواء إلى الشمال ، بل إن بلاد السويد والنروج والدانمارك جوّها معتدل ولطيف من تيار الخليج ، ولهذا التيار فوائد لا تعد ولا تحصى ، من هذه الفوائد كما قلت قبل قليل : إنه يجعل المنطقة الباردة في أوربا منطقة معتدلة ، وهذه الأجواء اللطيفة في دول إسكندنافيا سببها تيار الخليج ، هذا من تيارات السطح ، وقد سمعت أن بعض سباقات السباحين في بحر المانش يستخدمون هذا التيار لصالحهم ، وهناك تيارات تجري في أعماق البحر على عمق ثلاثة آلاف متر ، وقد استخدمت الغواصات في الحروب العالمية هذه التيارات العميقة تطفئ محركاتها لئلا يكتشفها الرادار ، والغواصات إذا أطفأت محركاتها تنتقل من مكان إلى آخر عبر هذا التيار ، وهذا شيء يلفت النظر ، لكن الآية الثانية الدالة على عظمة الله عز وجل في هذا الموضوع هي أن هناك تياراً بارداً – وهذا شيء دقيق جداً – يتجه نحو شواطئ أمريكا الجنوبية ، ليصل إلى بلاد البيرو والشيلي .

فوائد التيار البارد الذي يأتي إلى شواطئ أمريكا الجنوبية :

ماذا يفعل هذا التيار ؟ هذا التيار يحمل كميات كبيرة من الأعشاب البحرية ، وهذه الأعشاب البحرية تجتذب أعداداً فلكية من أسماك السردين ، هذه الأسماك هي غذاء لعشرات الملايين من طيور تعيش على شواطئ هذه البحار ، اسمها غراب البحر ، وهذه الطيور – وهنا الشاهد – لها مخلفات تعد المادة الأولى لدخل تلك الشعوب، لأن أرقى أنواع الأسمدة في العالم من مخلفات الطيور هذه الأسمدة من خمسين مليون طائر ، تؤخذ مخلفاتها بالجرافات، وتصدر إلى شتى أنحاء العالم ، وهذه الأمم والشعوب في شواطئ أمريكا الجنوبية دَخْلها الأول والأخير من مخلفات هذه الطيور التي تعيش على أسماك السردين التي تجتذبها الأعشاب التي يحملها هذا التيار إلى هناك ، وهذا من رزق الله عز وجل .

المذيع :

إذاً سبحان الله ! هنا رزقت الأسماك من خلال هذا التيار ، ورزقت الطيور ، ومن ثم رزق الإنسان .

الدكتور راتب :

تَلْتَهِم هذه الطيور التي تسمى غراب البحر في العام الواحد بتقدير العلماء ما يزيد على ثلاثة ملايين طن من هذه الأسماك ، وهذه الأسماك تجتذب إلى هذا المكان بفعل الأعشاب التي يحملها هذا التيار ، ولحكمة يريدها الله عز وجل أنه يغير مسار هذا التيار من حين لآخر، فإذا غير مساره لم يأتِ بهذه الأغذية لهذه الأسماك فتموت ، وتموت معها الطيور ، وعندئذٍ تعاني الشعوب من سكان شواطئ أمريكا الجنوبية من حين إلى آخر مجاعات قاتلة بسبب ضعف الإنتاج ، أليست هذه آية دالة على أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ؟ يسوق هذا التيار بما فيه من أعشاب مغذية ، وتأتي هذه الأسماك بأرقام فلكية ، فتستهلك منها الطيور ثلاثة ملايين طن في العام ،

وهذه الأسماك هي طعمة الطيور ، والطيور لها مخلفات ، ومخلفاتها تعد من أرقى أنواع الأسمدة تصدر إلى مختلف أنحاء العالم ، فيكاد دخل هذه الشعوب ينحصر في مخلفات الطيور ، وهذا من بركات هذا التيار البارد الذي يأتي إلى شواطئ أمريكا الجنوبية .

المذيع :

إذاً فضيلة الدكتور ، ما دمنا نتحدث عن تيار الخليج البحري ، أو تيارات البحار فلا بد من أن نسأل عن مكونات البحار ، ما يميز البحار عن الأنهار ؟ ملوحة البحار ، نسأل عن هذا المكون فعلاً ؟

ملوحة البحار من آيات الله الدالة على عظمته :

الدكتور راتب :

يمكن أن نضيف إلى آيات الله الدالة على عظمته ملوحة البحار ، فهذا البحر يقول عنه العلماء : إن في كل لتر واحد من ماء البحر سبعةً وعشرين غراماً من الملح ، في كل لتر واحد من ماء البحر سبعةٌ وعشرون غرامًا من الملح– في العبارة الأولى قلت : إنّ ، فجاءت سبعةَ ، أما إذا جعلتها جملة اسمية فتأتي سبعةٌ وعشرون غرامًا من الملح– وإن العالم بأسره يستهلك في السنة ما يزيد على خمسين مليون طن من ملح البحر ، وإن نسبة الملح في مياه البحر تعادل ثلاثةً ونصفاً بالمئة من مجموع مياه البحر ، بل إن في الكيلو متر المكعب ، الكيلو متر المكعب ضلعه كيلو متر ، طولاً ، وعرضًا ، وارتفاعًا ، بل إن في الكيلو متر المكعب من مياه البحر أربعةً وثلاثين مليون طن من الملح ، كمية كبيرة جداً .

بعض العلماء أجرى حساباً لطيفاً ودقيقاً ومدهشاً ، قال : لو استخرج ملح البحر وجفف ، ووضع على اليابسة ، على قارتها الخمس ، ولم نغادر مكاناً إلا فرشناه بملح هذا البحر المستخرج لبلغ ارتفاع الملح المجفف على سطح اليابسة كلها ، بكل قارتها ، وجبالها ، وسهولها، ووديانها ، وأغوارها ثلاثةً وخمسين متراً .

المذيع :

إنها كمية كبيرة جداً ، فضيلة دكتور ، قد يسأل سائل : مِن أين يأتي الملح ؟ نرى نحن الأمطار تأتي من السماء، فنعلم أن الماء يأتي من السماء ، ولكن الملح من أين تأتي هذه الكمية الكبيرة ؟

نظرية ملوحة البحار تتحرك في طريق مسدود :

الدكتور راتب :

لا تزال نظرية وجود الملح في البحار نظرية مختلف فيها ، والعلماء في هذا الموضوع أدلوا بآراء متعددة ، لكن لا يزال الحسم غير موجود ، من أين جاءت هذه الكمية الكبرى من ملح البحار ؟ طبعاً ملح البحار هو كلور الصوديوم ، وكما قلت قبل قليل : إن في البحار من الملح ما يساوي أربعة ملايين ونصف ميل مكعب ، الميل غير الكيلو متر ، الميل ألف وستمئة متر ، إذا عددنا أن الميل المكعب هو مكعب ضلعه ألف وستمئة متر في ملح البحر ما يساوي أربعة ملايين ونصف ميل مكعب من هذا الملح ، طبعاً هذه أرقام دقيقة جداً ، ومأخوذة من بحوث علمية رصينة ، من أين جاء هذا الملح ؟ وكيف وضع في البحر ؟ هناك نظريات كثيرة ، بعضها يقول : إن في قيعان البحار صخوراً ملحيةً تفتت ، وذابت في هذا الماء، بعضهم يقول : إن السبب مياه الأنهار ، كل هذه النظريات التي تحاول أن تفسر ملوحة مياه البحر تجد الطريق مسدوداً ، لسبب بسيط هو أن في الأرض عدداً كبيراً من البحيرات العذبة ، فإذا كانت مياه الأنهار وحدها كافية لتمليح مياه البحار ، فلماذا بقيت هذه البحيرات الضخمة عذبة حلوة المذاق ، وهي أشبه ما تكون ببحار صغير ؟ مئات الملايين من السنين ، وتبقى

عذبة ؟! إذاً هذا من تصميم الخالق ، كما قلت قبل قليل : إن نظرية ملوحة البحار لا تزال تتحرك في طريق مسدود ، فكلما وضع تفسير جاء تفسير آخر نقضه ، ذلك لأن الله عز وجل يقول :

﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾

[سورة الإسراء : 85]

﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾

[سورة البقرة : 255]

بل إن هناك آية حاسمة في هذا الموضوع :

﴿ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ﴾

[سورة الكهف : 51]

مثل هذه الموضوعات هي تكهنات لا أكثر ولا أقل ، ملوحة البحار يمكن أن يكون لها أهداف كبيرة ، من هذه الأهداف أن المياه إذا كانت عذبة وساكنة أصبحت المياه فيها آسنةً ، أما هذه الحركة الدائرة في مياه البحر ، وهذه الملوحة العالية جداً في مياه البحر ، تبقي مياه البحر سليمة نقية طاهرة غير متغيرة في بنيتها وتركيبها .

الماء العذب الفرات من آيات الله الدالة على عظمته :

العجب العجاب أن الإنسان يركب البحر ، وقد يموت عطشاً وهو فوق كمٍ من المياه لا يتصورها العقل ، اليابسة كلها بقاراتها الخمس تساوي 20 % من سطح الأرض ، وفي البحار أعماق بعيدة جداً ، أعمق نقطة في مياه البحار هي خليج مريانا في المحيط الهادي ، العمق هناك يصل إلى اثنا عشر ألف متر ، أعلى نقطة على سطح الأرض قمم جبال هملايا ، وأخفض نقطة على سطح الأرض خليج مريانا في المحيط الهادي ، لو جئنا بكرة قطرها متر ، ومثلنا أعلى نقطة على هذه الكرة تساوي علو أعلى نقطة في الجبال ، ومثلنا أخفض نقطة في

أعماق البحار لما كان الارتفاع والانخفاض يزيد على سنتمتر واحد ، وهذا من آيات الله الدالة على عظمته ، ثم إن الله عز وجل يدفعنا إلى أن نفكر ، قال :

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ * لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾

[سورة الواقعة : 68-70]

والبحر مالح ، لكن الإنسان بحاجة إلى ماء عذب ، فمن جعل هذا الماء المالح الذي كان أجاجاً عذباً فراتاً ؟ بلغني أن معامل تحلية المياه في بعض البلاد العربية تزيد كلفة اللتر الواحد على ثمن البنزين ، فأنت حينما تجد ماءً عذباً فراتاً سائغاً للشاربين هذه نعمة لا تعد ولا تحصى ، لأن الله يقول كما قلت قبل قليل :

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ * لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾

[سورة الواقعة : 68-70]

خاتمة و توديع :

المذيع :

إذاً آية أخرى ، هذه البحار ما كان لها أن تكون لولا الله سبحانه وتعالى ، حينما خلق الله الأرض جعل لها أحواضاً كبيرة ، إذا أراد الإنسان أن يقف أمام عظمة الله سبحانه وتعالى فهذا الكون أمامه بأرضه وسمائه وبحاره.

أيها الأخوة والأخوات ؛ سنتابع هذه الحلقات مع الدكتور محمد راتب النابلسي ، نستودعكم الله ، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

والحمد لله رب العالمين

الحلقة 15 – 30 : وردة كالدهان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (21)﴾

(سورة الذاريات)

السماء ، البرزخ ، النحل ، الأرض ، ظلمات الفضاء ، الكون ، النمل ، الكواكب ، دقة الإنسان.

التفكر في الخلق والكون.

التفكر في الخلق والكون حوارات مع الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي من علماء دمشق يجريها عبد الحليم قباني.

الأستاذ عبد الحليم:

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسولنا الكريم ﷺ.

إخوة الإيمان والإسلام ، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

علم الفلك أو علم الهيئة كما أسماه العرب علم قديم جداً ، يرجع إلى آلاف السنين ، هدفه دراسة الكواكب والنجوم والمجرات ، إلا أنه لم يصبح علماً بالمعنى المتعارف عليه إلا منذ القرن السابع عشر مع اختراع المرصد ، فقد تقدم علم الفلك تقدماً كبيراً في القرنين التاسع عشر والعشرين مع مكتشفات الكيمياء والفيزياء الحديثة.

أما علم الكون فهدفه دراسة نشأة وتركيب وتطور الكون ككل ، وفي القرآن الكريم نجد مئات الآيات الكريمة التي تتعلق بعلم الكون والفلك ، وهذه الآيات إن درست بصورة منهجية تشكل ما نسميه علم الكون ، والفلك القرآني. في هذه الحلقة سندور حول تفسير آية قرآنية كريمة.

يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (37) ﴾

(سورة الرحمن)

معنا اليوم الدكتور محمد راتب النابلسي ، أهلاً وسهلاً بكم ، المحاضر والأستاذ في جامعة دمشق ، والخطيب والمدرس الديني في مساجد دمشق.

فضيلة الدكتور ، هذه الآية الكريمة إن أردنا تفسيرها تفسيراً منهجيًّا فماذا علينا أن نفعل ؟

الأستاذ راتب:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين. أستاذ عبد الحليم . جزاك الله خيراً . أردت أن نفسر هذه الآية ، ولكن لا بد لها من تمهيد ، فالباحث في العلم يوقن يقيناً قطعياً ، والمتأمل في الكون يشعر شعوراً حقيقياً حينما يقرأ آيات القرآن المتعلقة بخلق الأكوان والإنسان ، يوقن ويشعر بكل خلية في جسمه ، وبكل قطرة في دمه ، أن هذا القرآن كلام الله ، المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنه مستحيل وألف ألف مستحيل أن يأتي به بشر ، فرادا ومجتمعين ، من خلال المؤتمرات العالمية التي عقدت في عواصم متعددة في أنحاء العالم الإسلامي حول الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة يتضح أن أبحاثاً علمية جادةً ورصينة قام بها علماء ليسوا مسلمين ، ولا تعنيهم آيات القرآن الكريم ، استغرقت

عشرات السنين ، وكلفت ملايين الملايين ، تأتي نتائج بحوثهم مطابقة مطابقةً عفويةً وتامةً من دون تكلف ولا تعنت ، ومن دون تأويل بعيدٍ عن الآية ، أو تعديل مفتعل لحقيقة علمية تأتي نتائج بحوثهم تلك مطابقة لآية أو لكلمة في آية ، بل لحرف واحد في آية ، وهذا مصداق قول الله عز وجل:

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (53)﴾

(سورة فصلت)

الأستاذ عبد الحليم:

إذاً بعد هذه السنين ، وبعد هذا التقدم العلمي يرجعون إلى القرآن الكريم ، ويكتشفون أن القرآن الكريم فيه الآيات الدالة على ما هو في هذا الكون.

الأستاذ راتب:

تطابق تام وعفوي بين حقيقة مقطوع بها ، وبين المعنى القطعي لآية ، كلامي دقيق ، بين المعنى القطعي لآية ، وليس المعنى الظني ، وبين حقيقة علمية مقطوع بها ، وينبغي أن يأتي هذا التوافق تاماً وعفوياً حتى يكون موضوع إعجاز علمي في الكتاب والسنة.

مثلاً: في الواحد والثلاثين من شهر تشرين الأول من عام 1990 عرضت إحدى أقوى وكالات الفضاء في العالم من خلال مرصد عملاق موجود في الفضاء الخارجي ، عبر موقعها المعلوماتي صورة لا يشك الناظر إليها لحظة واحدةً أنها وردة جورية ، فهي وردة جورية بكل ما تعنيه هذه الكلمة ، ذات أوراق حمراء قانية ، وذات وريقات خضراء زاهية ، وفي الوسط كأس أزرق اللون ، أما حقيقة هذه الصورة فشيء لا يصدق ، إنها ليست

وردةً جورية كما يتوهما الناظر ، إنها صورة جاءتنا من مرصد عملاق كبير في الفضاء الخارجي لنجم يبعد عنا 3000 سنة ضوئية ، اسمه عين القط ، هذا النجم حصل فيه انفجار ، فكانت هذه الصورة صورةً لهذا الانفجار، ولكن ما علاقة هذا بالقرآن الكريم ، بل وما علاقة هذا بتلك الآية الكريمة التي تفضلت ، وسألت عن تفسيرها الديني والعلمي في وقت واحد ، إن هذا الانفجار الكبير لنجم عين القط الذي يبعد عنا 3000 سنة ضوئي هو ما تعنيه هذه الآية الكريمة بكل تفاصيلها.

بل إن قارئ القرآن لو عاد إلى تفاسيره كلها ، وقرأ ما كتبه العلماء الأجلاء عن هذه الآية ، أنا أشعر أن كل تفسيراتهم لا تشفي الغليل ، لكن هذه الصورة وحدها لو ألقيت النظر إليها لكانت أدق تفسير لهذه الآية ، هذه الآية.

﴿ فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (37) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (38)﴾

(سورة الرحمن)

كنت أتمنى أن يكون هذا البرنامج مرئياً لأعرض على الإخوة المشاهدين هذه الصورة ، لقد عرضتها في التلفزيون العربي السوري في ندوة طويلة ، وعرضت دقائق هذه الصورة على كلٍ هذه الصورة هي وردة جورية . الصورة تعطي هنا انطباعاً أكبر . بكل معاني هذه الكلمة ، ولن تجد تفسيراً في كتاب الله يشفي غليلك إلا هذه الصورة. أنا كنت من قبل تحدثت عن النمل ، وذكرت في خلال الندوة السابقة أن هذا البحث العلمي عن النمل هو أدق تفسير لقوله تعالى:

﴿ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾

(سورة الأنعام الآية: 38)

تحدثنا عن طبيعة النمل ، وعن علاقة النمل ، وعن النظام ، وعن التعاون ، وعن البيوت ، وعن جلب المواد الغذائية ، وعن وعن ، تجد أمام مجتمع بالغ التعقيد ، بالغ الانضباط ، كل هذه الحقائق تنضوي تحت قوله تعالى:

﴿ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾

(سورة الأنعام الآية: 38)

أحياناً تجد بحثاً علمياً هو أدق تفسير لآية ، وقد تجد صورة هي أدق تفسير لآية ، هذا ما دفع الإمام علي كرم الله وجهه أن يقول: " في القرآن آيات لما تفسر بعد ".

هذه الآية:

﴿ فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ * فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

ماذا ورد في التفاسير ؟

ورد في تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى:

﴿ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾

أي تذوب كما يذوب الدهن.

وفي قول آخر:

﴿ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾

هو الأيدم الأحمر ؛ الجلد الأحمر.

وفي قول ابن عباس:

﴿ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾

كالفرس الوردي.

وقال الحسن البصري: " تكون ألواناً ".

وقال مجاهد:

﴿ كَالدِّهَانِ ﴾

كألوان الدهان.

هذه التفاسير ، لكني جئت بهذه التفاسير لأؤكد لك أن هذه التفاسير لا تفشي الغليل ، بل هذه الصورة التي اكتشفت حديثاً عن انفجار حصل في نجم عين القط هي التي توضح هذه الحقيقة.

يقول الإمام القرطبي:

﴿ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾

قال: صارت في صفاء الدهن ولمعانه ، وكانت حمراء.

وفي قول سعيد بن جبير: " وتصير في حمرة الورد وجريان الدهن ، وقيل الدهان الجلد الأحمر الصرف ، أي تصير السماء حمراء كالأديم لشدة حر النار ".

الأستاذ عبد الحليم:

إذاً هذه الصورة وصلتنا عبر المرصد والتلسكوبات ، والتصوير الخارجي من الفضاء الخارجي ، وأعطت نفس الصورة التي أعطانا إياها القرآن الكريم في هذه الآية الكريمة ، وإن أردنا أن نأتي على آية أخرى في كتاب الله عز وجل ، قال الله تعالى:

﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (2) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (3)﴾

(سورة الطارق)

هنا هذه الآية تحدثنا أيضاً عن نجم نريد أن نعلم ما هو هذا النجم ، وما تفسير هذه الآية ؟

الأستاذ راتب:

أستاذ عبد الحليم ، جزاك الله خيراً ، إن علماء التفاسير وقفوا وقفات متأنية عند تفسير النجم الثاقب ، حتى استقر رأيهم على أن هذا النجم ضوءه شديد ثاقب ، يخترق طبقات الجو ، ولم يتحدثوا إطلاقاً عن كلمة الطارق ، الثاقب شيء شديد قوي متين يثقب ، ففهموا هذه الآية على أنه الضوء الشديد الذي يثقب طبقات الظلام ، أما قوله تعالى:

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (1)﴾

(سورة النجم)

هذا النجم غير الشهاب الذي يسقط ، وقد ذكر الله عز وجل الشهاب في آيات كثيرة ،

﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾

(سورة الصافات)

وقال عز وجل:

﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً (8)﴾

(سورة الجن)

إذاً:

﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴾

النجم الطارق ، والنجم الثاقب ، وكأن العلماء الأجلاء تجاوزا كلمة الطارق ، ووقفوا عند الثاقب ، ورأوا أن أقرب المعاني إلى كلمة ثاقب أنه ضوء شديد يخترق ، ويثقب طبقات الظلام المتراكمة ، الموضوع معقد جداً ، ولكن على سبيل التبسيط ، حينما تكبر النجوم تنكمش ، وتزول الفراغات البينية من ذراتها ، إلى أن تصبح بحجم صغير جداً ، هل تصدق أن الأرض إذا ضغطت ، وأزيلت الفراغات البينية بين ذراتها أصبحت بحجم البيضة ، وبالوزن نفسه ، هذا من قوانين الفلك ، النجم إذا تقدم في العمر ، وبلغ مراحل متقدمة جداً من عمره المديد تخف الفراغات البينية بين أجزائه ، فيصغر ، ويكون بالحجم نفسه ، فهي كرة ككرة القدم ، يمكن أن تكون الأرض كرة ككرة القدم ، ويمكن أن تكون الكرة أيضاً كالبيضة ، هذه النجوم النيترونية المنكمشة يعدل وزنها خمسين ألف بليون من الأطنان ، فإذا وضعت هذه الكرة على الأرض ثقبتها ، ووصلت إلى طرفها الآخر ، كما لو أتيت بقطن أو سائل هولاني ، ووضعت فيه كرة حديد فإنها تسقط إلى الأسفل فوراً ، هذا هو النجم الثاقب . لثقله وكبر حجمه . النيتروني الذي ضغط حتى أصبح بحجم الكرة ، وله وزن يعدل وزن الأرض ، لو أن الأرض شاخت ، أي بلغت الشيخوخة ، فإنها تصبح بحجم البيضة وبالوزن نفسه ، ووزن الأرض هو هو لكنه يصبح بحجم البيضة، هذا هو النجم الثاقب ، كما يراه بعض العلماء ، والقرآن كما أقول دائماً حمال أوجه.

هناك تلسكوبات لاسلكية تتلقى ومضات لاسلكية من هذه النجوم ، بنبضات نوبية ، وكأن هذا النجم الذي سماه القرآن نجماً طارقاً من الطرق ، طرق الباب ، يطرق أبواب الفضاء حيث يتزايد تواتر نبضات النوبية في شبابه ، وتقلّ هذه النبضات في شيخوخته ، ونعرف من خلال تواتر هذه الومضات التي تأتي عن طريق التلسكوبات اللاسلكية ، نعرف عمر هذا النجم ، فنجم يطرق ، ونجم يثقب ، وهذا شيء من أحدث البحوث الفلكية ، نجم يطرق بومضات لاسلكية ، ونجم يثقب ، قال تعالى:

﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾

فهذا قسم ، فأين جواب القسم ؟ قال تعالى:

﴿ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (4)﴾

(سورة الطارق)

هذا الإنسان الجاهل الذي يتوهم أن هذا الإنسان خلق سدىً ، ولن يُحاسَب ، قد يبني مجده على أنقاض الآخرين، قد يبني حياته على قتلهم ، قد يبني أمنه على خوفهم ، قد يبني غناه على فقرهم ، هذا إنسان جاهل ، فالله عز وجل يلفت نظرنا إلى هذا النجم العملاق الذي هو بحجم الكرة ، وبوزن الأرض ، وأن هذا النجم الذي يطرق أبواب الفضاء الخارجي الأول هو النجم الطارق ، والثاني هو النجم الثاقب ، فجواب القسم:

﴿ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾

فكل حركات الإنسان ، وكل سكناته ، وكل أقواله ، وكل أفعاله ، وكل بواعثه ، وكل أهدافه ، وكل آماله ، وكل ما يخفيه عن الناس يحفظه الله له ، وسيحاسبه عليه لأن الذي خلق النجم الثاقب ، والنجم الطارق ، والنجم إذا هوى ، هو الذي سيحاسب الإنسان على عمله ، قال تعالى:

﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ * إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾

لم يغب عن علمه نجم في السماء ، ولن يغيب عن علمه أيضاً ظلم في الأرض,

ثمة آيةٌ في سورة وردت في الجزء الثلاثين من القرآن الكريم يقول تعالى:

﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (1)﴾

(سورة المطففين)

شيء يلفت النظر ، أن سياق الجزء الأخير كله آيات كونية ، من دون استثناء.

﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (1) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (2)﴾

(سورة النبأ)

﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴾

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ﴾

﴿ وَالْفَجْرِ (1) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (2)﴾

(سورة الفجر)

إلا هذه السورة ، وكأنها تبدو مقحمةً في سياق كوني ،

﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴾

من أروع ما قرأت حول سر هذا الإقحام أن الله يذكر الإنسان أنك تصاب بالويل ، أو أنك هالك أيها الإنسان ، أيها الإنسان إنك هالك إذا طففت في حق إنسان ، أي بخست حقه ، فكيف إذا طففت أو بخست حق خالق الأكوان ، من باب أولى.

الأستاذ عبد الحليم:

إذاً فضيلة الدكتور ، في هذه الحلقة كشفنا عن معانٍ كثيرة ، فهذا القرآن كلام الله ، وإنه معجزة مستمرة إلى نهاية الكون منذ سنين بسيطة وعديدة علمنا تفسير هذه الآية الكريمة:

﴿ فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾

﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴾

إذاً ، الآن تأتينا هذه التفسيرات بعد رؤية التليسكوبات الاسلكية ، وهذه الومضات اللاسلكية التي نتلقاها من هذه النجوم.

نشكرك في نهاية هذه الحلقة ، وإلى حلقة قادمة أيها الإخوة والأخوات مع هذا البرنامج ، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

والحمد لله رب العالمين

الحلقة 16 – 30 : الكبد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (21)﴾

(سورة الذاريات)

السماء، البرزخ، النحل، الأرض، ظلمات الفضاء، الكون، النمل، الكواكب، دقة الإنسان,

التفكر في الخلق والكون.

التفكر في الخلق والكون، حوارات مع الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي من علماء دمشق، يجريها عبد الحليم قباني,

المذيع:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسولنا الكريم ﷺ,

إخوة الإيمان والإسلام، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته,

إن علماء الإسلام لما التزموا بقيمة العقل، ولم يحجروا عليه، فأخذوا بالتفكر والسير والبحث، كما قال الله تعالى:

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾

(سورة العنكبوت الآية: 20)

فحقَّقوا ما لم يحقِّقه أحد قبلهم، كما أفاد منهم من جاء بعدهم، وخاصة الأوربيون الذين استثمروا ما ترجم إلى لغاتهم من ناحية، وصححه، وأبدعه علماء المسلمين من ناحية أخرى في نهضتهم الحديثة، ولولا علماء المسلمين لكانت بدايتهم من نقطة الصفر، ولتأخرت مسيرة التطور قروناً، فقد كان لهم فضل الريادة، بل كانت هناك علوم

إسلامية بحتة هي الأساس في الإنجازات العلمية المعاصرة لتلك العلوم الحديثة,

ونتحدث اليوم عن إعجاز القرآن الكريم في هذه الحلقات، ونقول: إن فيه من الآيات التي نزلت منذ أكثر من 14 قرناً ما يفصح عن حقائق علمية لم تكشف إلا حديثاً، وللأسف أن المسلمين لم يكونوا هم السبّاقين إلى اكتشاف هذه العلوم، أو بالأحرى الحقائق العلمية الحديثة على الرغم من إشارات القرآن الكريم,

معنا اليوم فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي، الأستاذ المحاضر في كلية دمشق ، الخطيب والمدرس الديني في مساجد دمشق,

أهلاً وسهلاً بكم,

الأستاذ:

أهلاً بكم أستاذ عبد الحليم، جزاكم الله خيراً ,

المذيع:

بإذن الله في هذه الحلقة سنتحدث عن جهاز معقد في الإنسان، وهو الكبد، فللإنسان أجهزة معقدة يؤدي كل منها وظيفة تفيد الجسم,

الأستاذ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين, قبل أن أبدأ بالحديث عن هذا الجهاز العظيم الذي هو الكبد، لا بد من لفتة لطيفة سريعة، أن الثقافة الغربية التي هي في تفوق كبير، ومن أسباب تفوقها ذهاب الثقافة العربية الإسلامية إليها، أحد الأدباء يقول: ثقافة أية أمة

ملك البشرية جمعاء، لأنها بمثابة عسل استخلص من زهرات مختلف الشعوب على مرِّ الأجيال، وهل يُعقَل إذا لدغتنا جماعة من النحل أن نقاطع عسلها ؟! نحن نقاطع البضائع الاستهلاكية، الدخان، المطاعم، السيارات، لكن لا نقاطع المنجزات العلمية، لأننا ساهمنا فيها مساهمة كبيرة، وهذا باعترافهم,

ذكر لي صديق مقيم في بريطانيا يحضِّر الدكتوراه في الطب، بعض المدرسين في أثناء الشرح قال: للعرب فضل كبير علينا، فمعظم علومنا استقيناها منهم، هذه الحقيقة,

إذاً ثقافة أيّ أمة ملكُ البشرية جمعاء، لأنها بمثابة عسل استخلص من زهرات مختلف الشعوب على مرّ الأجيال, شيء آخر أستاذ عبد الحليم، أريد أن أقول: إن التفكر في آيات الله الدالة على عظمته هو أوسع باب ندخل منه إلى الله، وإن التفكر في آيات الله الدالة على عظمته هو أقصر طريق نصل به إلى الله، لأن هذه الآيات تضعك أمام عظمة الله عز وجل، والإسلام عقيدة وشريعة، معرفة بالله عز وجل وتطبيق لمنهجه، وكنت أقول دائماً: إنك إن عرفت الآمر، ثم عرفت الأمر تفانيت في طاعة الآمر، أما إذا عرفت الأمر، ولم تعرف الآمر تفننت في التفلت من الأمر,

بقي أن الآيات كثيرة بعضها بثّه الله في السماوات، وبعضها في الأرض، لكن أقرب آية إلينا جسمنا، أقرب آية بين أيدينا أنفسنا، أقرب آية تدلنا على عظمة الله أعضائنا، فيمكن أن نمضي وقتاً . إن شاء الله . في الحديث عن هذا الجهاز الذي يسمى الكبد، الإنسان أحياناً يأتي بقطعة من هذا الكبد إلى البيت تؤكل في وقت المساء أو في الصباح، وهو طعام لذيذ، لكن لو عرف الإنسان أن هذا الجهاز يقوم بمهمات يعجز عنها كبار العلماء,

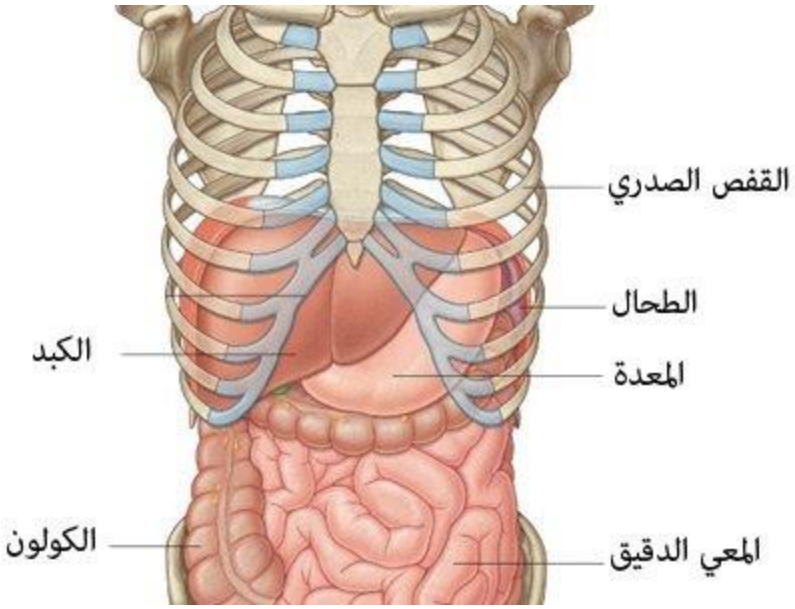

صورة توضح الكبد

هذا الكبد بالتعريف الدقيق منطقة صناعية كاملة، وهو من آيات الله الكبرى الدالة على عظمته، هذا الكبد الذي أودعه الله في أحشائنا، هو أكبر عضو في الأحشاء، والإنسان يتوهم أنه لا يستطيع أن يعيش من دون قلب أكثر من ثلاث دقائق، يجب أن نعلم أنه أيضاً لا يستطيع أن يعيش من دون كبد أكثر من ثلاث ساعات، الشيء الذي لا يصدق أن هذا العضو الكبير الخطير، الذي هو منطقة صناعية كاملة، لو أنك استأصلت أربعة أخماسه بمبضع الجراح يستطيع أن يعيد يناء نفسه في ستة عشر أسبوعاً، أسرع خلية على الإطلاق في النمو خلية الكبد.. تعود إلى نفس الحجم . نعم لو أن نصف الكبد أصابه تلف، وجاء الطبيب الجراح فاستأصل نصفه بكامله في أسابيع معدودة يعيد الكبد بناء نفسه، الآن صار هناك زراعة كبد، لكن العملية نجاحها في المئة ثلاثون، وتكلف عشرات الملايين,

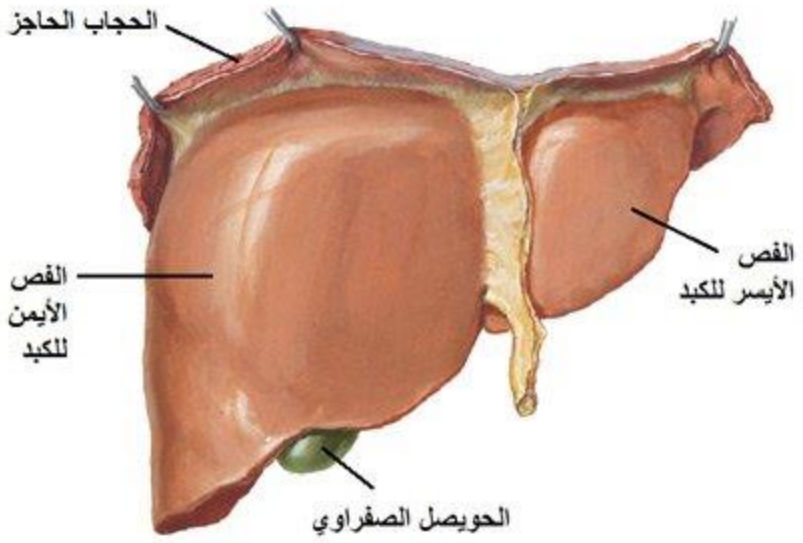

صورة توضح الكبد

شيء آخر، إذاً هذا الكبد عنده قدرة فائقة عجيبة على ترميم ذاته، وإعادة بناء ذاته، لأن خلايا الكبد هي أسرع خلايا انقساماً على الإطلاق,

الآن كم تتصور أستاذ عبد الحليم أن هذا الكبد يقوم بوظائف، بعضهم قال: يقوم بخمسمئة وظيفة، بعضهم قال بسبع مئة وظيفة، بعضهم قال: وظائفه تعد بالآلاف، لكن الشيء الذي لا يصدق أيضاً أن كل خلية من خلايا الكبد تقوم بكل هذه الوظائف، ليس في الكبد اختصاص، كل خلية فيه تقوم بكل الوظائف، ذلك لأنه عضو خطير، لو كان في كل حيز من الكبد اختصاص لو أصيب حيز لانتهى الأمر، ولكن كل خلايا الكبد تقوم بكل وظائف الكبد، وهذه خصيصة نادرة في الأعضاء,

المذيع:

قد تقوم الخلايا الباقية بالمساهمة بكل الوظائف في مرحلة ما,

الأستاذ:

الآن من أبرز وظائف الكبد أنه مخزِّن للدم، وتعلمون أستاذ عبد الحليم من لقاءات سابقة أن معامل كريات الدم الحمراء تصنع في الثانية الواحدة اثنين ونصف مليون كرية حمراء، في الثانية الواحدة، وتعلمون أيضاً أن هذا الهيكل العظمي الذي هو قوام الإنسان له وظيفة قد لا ننتبه إليها، وأنبلُ عضو في الإنسان هو الدماغ محفوظ في الجمجمة،

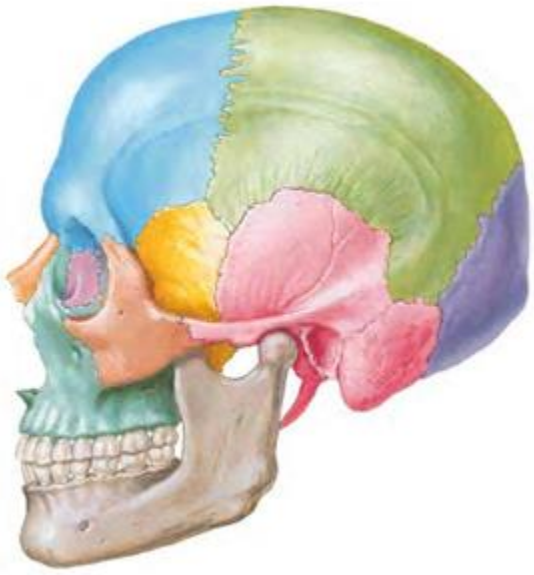

صورة لمنظر جانبي للجمجمة التي يسكنها الدماغ

والنخاع الشوكي محفوظ في العمود الفقري، وأن الرحم محفوظ في عظم الحوض

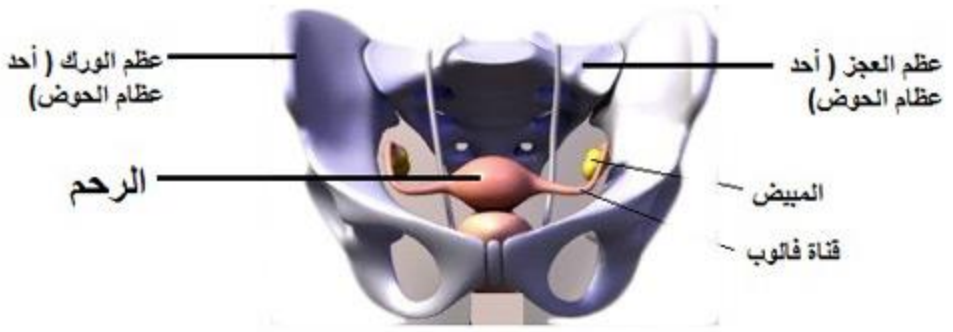

صورة توضح الحوض الذي يتوضع فيه الرحم

وأن القلب محفوظ في الصدر، وأن معامل كريات الدم الحمراء محفوظة داخل العظام

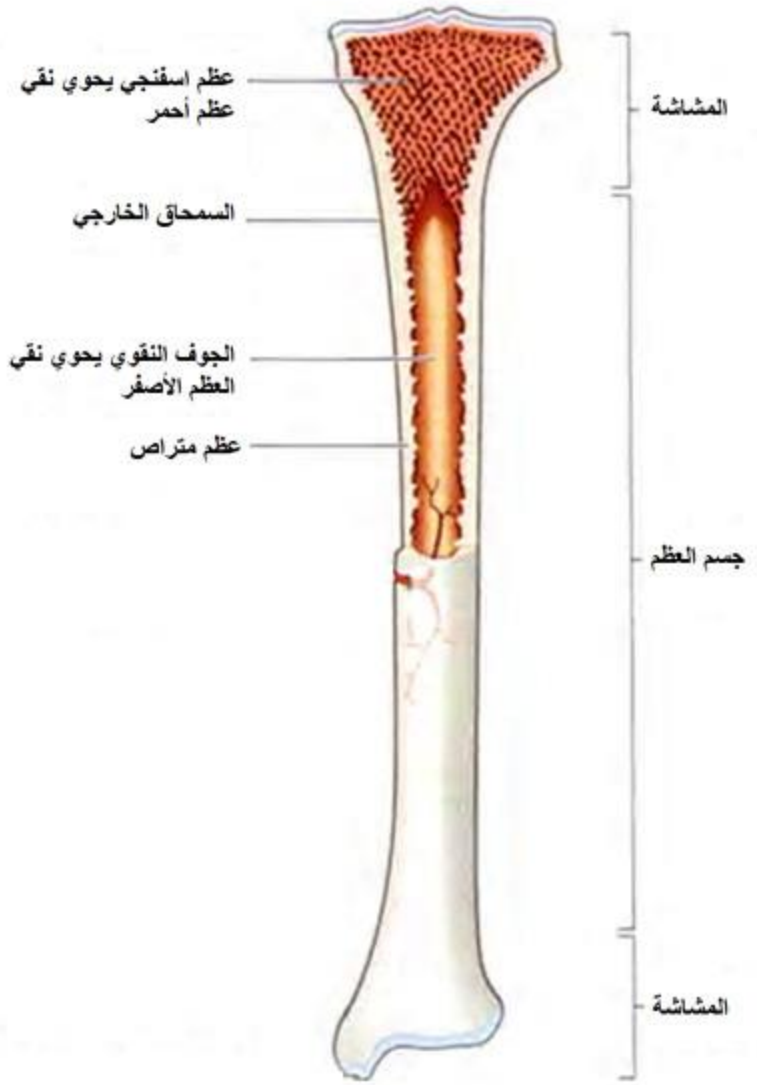

صورة لمقطع جزئي في عظم طويل توضح نقي العظم

فالدم قوام حياة الإنسان، في الثانية الواحدة يلد اثنين ونصف مليون كرية حمراء، وفي الثانية الواحدة يموت اثنان ونصف مليون كرية حمراء، والعجيب في الأمر أن هذه الكريات التي تموت لا تطرح خارج الجسم، بل تفكك، ويستفاد من موادها الأولية، تفكك الكريات الحمراء إلى خضاب دم، وإلى حديد، الحديد يشحن إلى معامل كريات

الدم الحمراء في نقي العظام ليعيد بناءه مرة ثانية، كيف الآن معامل تتغط السيارة المستعملة إلى مربع صغير، ثم تعاد إلى معامل صهر الحديد أيضاً، هذا اتجاه اقتصادي، فالله عز وجل أمْرُه كن فيكون، زل فيزول، ومع ذلك فهو يعلِّمنا من خلال خَلقه كيف نكون اقتصاديين، فهذا الكم الكبير في كل ثانية اثنان ونصف مليون كرية حمراء تموت، هذه تذهب إلى الطحال لتفكَّك إلى مقوّماتها الأساسية، هيموغلوبين وحديد، الحديد يعاد نقله إلى معامل كريات الدم الحمراء في نقي العظام، والهيموغلوبين يكوّن الصفراء تلك المادة التي تعين على هضم المواد الدسمة.

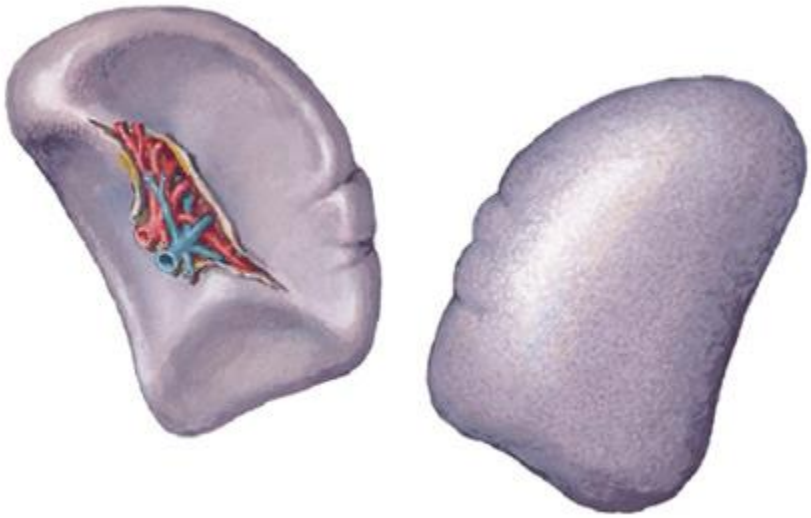

صورة توضح الطحال (السطح الحجابي على اليمين و السطح الحشوي على اليسار)

فأول وظائف الكبد أنه مخزِّن للدم، حيث يستوعب 1500 من السنتيمترات المكعبة من الدم، الكبد في الأساس مخزن للدم، فإذا طرأ طارئ، وحصل نزيف، أو حادث، أو عملية ولادة، فإن هرموناً في الكظر يأمر الكبد أن يحرر هذا الدم ليكون تعويضاً للدم الذي فقده هذا الإنسان، ودائماً الدول الراقية تعيش المستقبل، فلو فرضنا أنه

وقع عليها عدوان طارئ فعطل الكهرباء عندها مولدات احتياطية، فدائماً الإنسان العاقل عنده احتياط في كل شيء

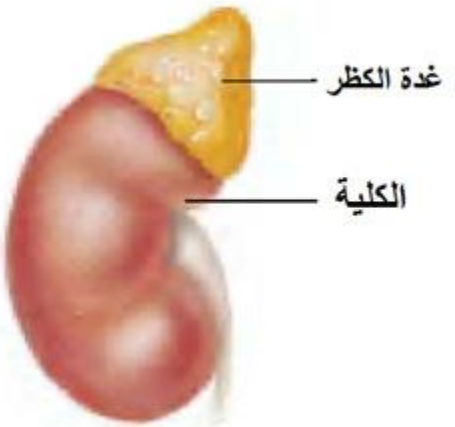

صورة توضح غدة الكظر

حتى إن الله عز وجل حينما أودع في القلب جهاز تنبيه كهربائي، فيه جهاز تنبيه ثانٍاحتياطي، لو تعطل الأول عمل الثاني، وجهاز تنبيه احتياطي ثالث، لو تعطل الثاني عمل الثالث، هذا من التخطيط,

المذيع:

إذاً وظائف للكبد كثيرة، من هذه الوظائف التخزين، وهناك أيضاً وظائف أخرى,

الأستاذ:

مثلاً: من وظائف الكبد تخزين السكر، وتخزين الدسم، وتخزين البروتين، وتخزين الفيتامينات، العجيب أستاذ عبد الحليم أنه لو فحصت دم إنسان ففيه نسب ثابتة معيّرة من كل المواد، لو أن نسبة زادت لاختل توازن الإنسان، لكن المخزون الأساسي هو الكبد، فالكبد مستودعات الأغذية,

بالمناسبة معيّرة الإنسان متى يجوع ؟ لا يجوع إذا نقص الغذاء في دمه، لو فحصت دم إنسان جائع ترى النسب كلها نظامية، يجوع إذا نقصت المواد في المستودعات، بدليل أن الإنسان حينما يضطرب أو يأتيه خبر سيء ينسى أنه جائع، ويقوم بعمل مديد بطاقة عالية من دون أن يأكل، معنى ذلك أن الجوع هو نقص في المواد الغذائية التي في المستودعات، في الكبد,

والعجيب أيضاً أستاذ عبد الحليم أن هناك مخزوناً في الكبد لا يمكن أن يصرف، هذا يسمى الآن الاحتياطي الاستراتيجي، لا يمكن أن يصرف إلا في حالة نادرة، إذا وضع الإنسان في مكان ليموت جوعاً، في مثل هذه الحالة ينفق هذا المخزون الاحتياطي، فالإنسان قد يجوع، يبحث عن طعام، أما حينما ييأس من أن يأكل، وقد وضع في مكان ليموت فيه جوعاً، هذا الاحتياط الاستراتيجي يتحرر من الكبد ليكون وقوداً للإنسان, شيء آخر، الإنسان لو أنه لا يجوع يموت، أحياناً توضع في السيارة أجهزة تشير إلى ارتفاع الحرارة، لو أن السائق لم ينتبه إلى هذا الجهاز، أو لهذه الساعة، يحترق المحرك، الآن هناك أجهزة إنذار صوتي، لكن العجيب أنّ الإنسان إذا جاع يا ترى الإنذار صوتي أم مرئي أم ضوئي ؟ كل كيان الإنسان يشعر بالجوع، معنى ذلك أن الجوع لولاه لما عاش الإنسان، الجوع يقتضي أن تعوض هذا الكمّ الذي خسره هذا الكبد من مجموع المواد الغذائية,

المذيع:

طبعاً فضيلة الدكتور، كما تحدثنا عن وظائف الكبد، وخصوصاً في التخزين، تحدثنا عن تخزين الدم، وتخزين السكر والدسم، وإلى ما هنالك، لا بد من أن يكون هناك وظيفة تحويلية، أو ما شابه ذلك,

الأستاذ:

طبعاً، أنت إذا كان عندك مستودع للحبوب، ومستودع للدهون فرضاً، مواد دهنية، ومستودع الحبوب انتهى، لا تستطيع أن تحوّل الدهون إلى حبوب، هذا فوق طاقة البشر، لكن الشيء الذي يلفت النظر أن الكبد يمكن أن يحول النشويات إلى مواد دسمة، والدسمة إلى سكريات، وهذا التقسيم الكبير للمواد الغذائية بين مواد دسمة، ومواد نشوية، ومواد سكرية، هذا التقسيم في خارج الجسم، أما الجسم لو اضطر فإنّه يحوّل المواد الدسمة إلى مواد سكرية، والسكرية إلى نشوية، هذه خاصة دقيقة جداً في الإنسان، لأنه مصمَّم على أنه يعالج ذاته معالجة داخلية, دائماً الكبد يقوم بوظيفة التعيير، حيث يدخل السكر إلى الكبد بنسب عالية جداً، أحيانا يأكل الواحد يأكل أكلة فيها حلاوة، ويكثر منها، فدخل كمٌّ كبير من المواد السكرية إلى الكبد، الكبد لا يخرج إلا نسب محدودة جداً من السكريات، وما مرض السكر إلا ارتفاع السكر في الدم، فهذا الكبد يقوم بمهمة التعيير، فكل المواد التي في الدم عيرها الكبد، هذا شيء مهم جداً من وظائف الكبد، يعيّر السكر، ويعيّر بقية المواد,

المذيع:

هنا نريد أن نعطي ملاحظة بالنسبة لمرضى السكري في هذه النقطة، هل يكون هذا المعيار قد فُقِد عند الإنسان عندما يكون لديه هذا المرض ؟

الأستاذ:

البنكرياس يفرز مادة يمكن أن تحرق السكر في درجة حرارة الإنسان، لو جئت بملعقة سكر، ووضعتها على يدك لا تحترق، فكيف نوفق بين احتراق السكر الذي يحتاج إلى مئة درجة، وبين احتراق السكر في الدم ؟ السكر في الدم يحترق بدرجة 37، بفضل مادة يفرزها البنكرياس، وهي الأنسولين، إذا ضعف إفراز هذه المادة بقي السكر الذي لم يحترق في الدم فترتفع نسبته، والسكر الذي يخترق ينتهي، فالبنكرياس يفرز مادة اسمها الأنسولين تسهم في حرق السكر في درجة الحرارة العادية، فإذا كان قلَّت المادة معنى ذلك أن السكر سوف يرتفع في الدم,

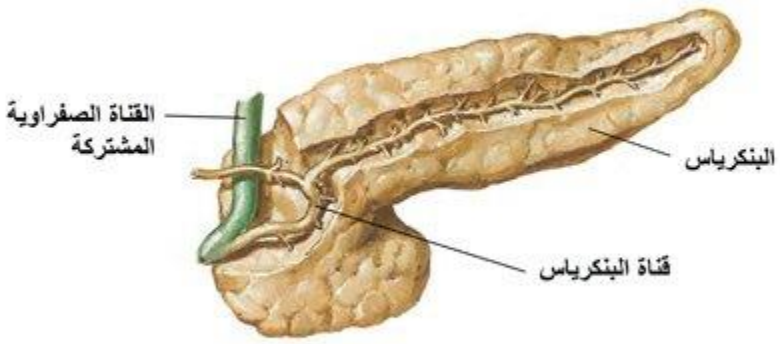

صورة توضح غدة البنكرياس

شيء آخر في الكبد المادة، أن هناك وظيفة رابعة له، هي وظيفة التكوين، فالكبد يكون عنصر التجلط، وعنصر التمييع، تعلمون أن الدم بين أن يكون مائعاً وبين أن يكون جامداً، إذا جمد الدم في الأوعية مات الإنسان، يقال: له جلطة، مثلاً، وإذا ماع الدم كثيراً، سال كله من ثقب صغير، وفي الدم صفيحات، وهذا من فضل الله عز وجل، وكريات بيضاء وحمراء،

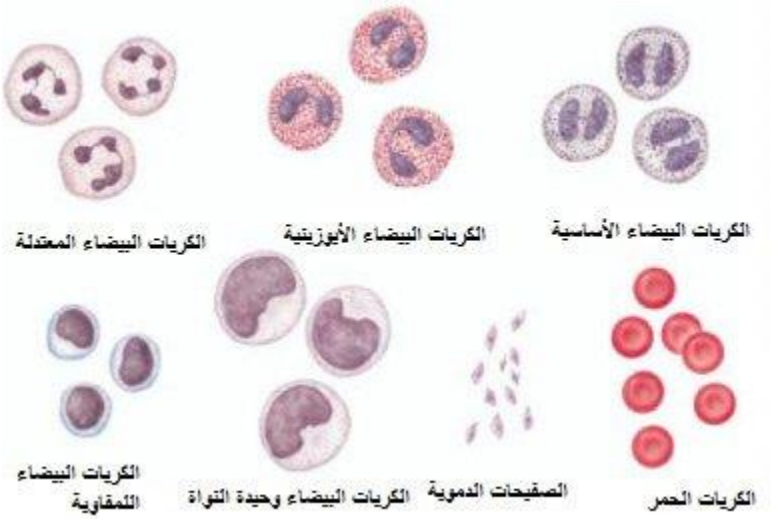

صورة توضح خلايا الدم و الصفيحات الدموية

الصفيحات مهمتها سد الثغرات، الإنسان إذا أصيب بشظية، أو جرح يجب أن يخرج الدم كله، ولولا الصفيحات لسال دمه كله من ثقب بسيط، ولمات الإنسان، فلذلك كان تعيير الكريات الحمراء والبيضاء والصفيحات, ثم إن الكبد يفرز عنصر يميع الدم، وعنصر يجلطه، من توازن إفراز هذين العنصرين يكون الدم في حالة بين الميوعة القاتلة وبين التجلط القاتل، هذا ما يسمى عند الإنسان سيلان الدم، والأطباء ينصحون الناس بعد الأربعين بتناول حبة أسبرين يومية، ليكون هذا الدم مائعاً حيث يبتعد عن أي تجلط، فيسبّب أزمة لصاحبه,

الآن الكبد نفسه يفرز البروتين، يعيّر، ويحدّد نسب الماء في الجسم، ومن التهب كبده أصيب بالاستسقاء، أي إنّ الجسم يخزن ماء كثيراً يفوق حاجته، من علامات التهاب الكبد الاستسقاء، هناك ماء كثير يودع في الأنسجة دون أن يستهلك، لأن الكبد هو الذي يعير نسب الماء في الجسم، لو أصيب الكبد بالتهاب حاد لضاع الإنسان فيما يسمى الاستسقاءَ,

من وظائف الكبد أيضاً أنه يدرس وضع السم في الدم، فإما أن يعدله بتفاعل كيماوي، وإما أن يقيّده، وإما أن يطرده، شيء رائع جداً، المجرم إما أن نطره خارج البلاد، وإما أن نقبض عليه، ونضعه في السجن، وإما أن نجرده من سلاحه، إما أن يقوم تفاعل فيلغي سميته، وإما أن يقيَّد فلا يؤذي أحداً، وإما أن يطرد خارج الجسم، وهذا من وظائف الكبد، وكما قلت في أول اللقاء: لا يستطيع الإنسان أن يعيش من دون كبد أكثر من ثلاث ساعات، لأنه منطقة صناعية كاملة,

الإنسان حينما يفكر في هذه الأجهزة العملاقة البالغة في الدقة، البالغة في الاختصاص، ألا يسبّح الله عز وجل ؟ ألا يقول: سبحان الله ! لأن معرفة الله أصل الدين، كيف نعرفه، الله عز وجل ذاته غائبة عنا، بدليل قوله تعالى:

﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾

(سورة الأنعام الآية: 103)

لكن هذا الذي صنعه بين أيدينا، الصنعة تدل على الصانع، فنحن نرى الله من خلال صنعته الدقيقة، وإتقانه لصنعته,

قلت قبل قليل: هناك نمط اقتصادي في الجسم، فهذه الكريات الحمراء التي ماتت تسهم أعضاء الجسم في تفكيكها إلى عناصرها الأولية، وإرسال بعضها إلى معامل كريات الدم في نقي العظام، ويسهم الآخر في إمداد الصفراء بهذه المادة التي تعين على هضم المواد الدسمة,

المذيع:

فضيلة الدكتور، طبعاً لكل جهاز مرض، وقد يصاب الإنسان بأمراض كثيرة، ولكن بالنسبة للكبد ما المرض الذي يصيبه ؟

الأستاذ:

هناك التهاب كبد وبائي، هذا مرض خطير، مرض مميت، بالمناسبة أحبّ أن أنبّه الإخوة المستمعين أنه لو أن إنسانًا مصابًا بالتهاب كبد وبائي، وهو يعمل في مطعم، ولم ينظف ما بين أظافره وأصابعه بعد دخول الحمام فإن 300 رائد من رواد المطعم يصابون بهذا المرض، القضية خطيرة جداً، إنسان مصاب بالتهاب كبد وبائي بسبب وصول جرثوم إليه، إن لم يبالغ في تنظيف يديه حينما يعدّ الطعام فقد يصيب مئات الذين يرتادون هذا المطعم بهذا المرض المميت دون أن يشعر أحد، فلا بد من دقة بالغة في موضوع، هذا المرض الخطير اسمه التهاب الكبد الوبائي,

المذيع:

من أين يأتي هذا المرض ؟ هل هو تلوث ؟

الأستاذ:

هو تلوث، لذلك النظافة من الإيمان، حينما يبالغ الإنسان في النظافة يكون قد بالغ في صون جسمه من الأمراض، والملاحظ أن أمراض القذارة كثيرة، والعدد دقيق، 300 مليون إنسان في الأرض مصابون بأمراض القذارة، بينما العالم الإسلامي يعد الشريط الأخضر، بحكم الوضوء والصلاة، والإنسان من خلال دينه يبالغ في تنظيف نفسه، وفي تنظيف فتاحاته وأعضائه، فهذه الأمراض خطيرة جداً، سببها القذارة، وعدم التنظيف، فهذا التهاب الكبد الوبائي يأتي من جرثوم، فالإنسان إذا لم يعتنِ بنظافة طعامه، ونظافة أعضائه فقد يصاب بهذا

المرض,

المذيع:

فضيلة الدكتور، أيضاً نسمع بتشمع الكبد، وما شابه ذلك، كنا في هذه الحلقة نتحدث عن الكبد، لا بأس إن أعطينا ولو نبذة بسيطة عن ذلك,

الأستاذ:

هذا التشمع في الأعم الأغلب سببه شرب الخمر، الكحول أحد أسباب تشمع الكبد، التشمع يعني التليّف، هذا الكبد خلاياه تعطلت عن أن تقوم بوظائفها، فيجب أن نعلم علم اليقين أن العلاقة بين المعصية ونتائجها علاقة عليمة، علاقة سبب بنتيجة، وأن العلاقة بين الطاعة ونتائجها علاقة علمية، علاقة سبب بنتيجة، لأن هذا الدين منهج الله عز وجل، منهج الله قائم على قوانين، الفرق بين الدين السماوي، وبين الدين الوضعي، الدين الوضعي طقوس حركات وسكنات وتمتمات لا معنى لها، وليس فيه منهج، لكن دين الله عز وجل يتّسم بمنهج، والمنهج مبني على أمر ونهي، والأمر والنهي أساسه المواد النافعة والمواد الضارة، فحينما يعاقر الإنسان الخمر فقد يصاب كبده بالتشمع,

المذيع:

أيضاً يجب على الإنسان أن يتنبه لتعاطي الخمر، فقد ورد تحريمه في الإسلام، وهذا مما لا يفيد الإنسان، بل يضره,

أيها الإخوة والأخوات، أتينا إلى نهاية هذه الحلقة، وذلك لضيق الوقت، إن شاء الله نتحدث في حلقات قادمة عن آيات الله الكبرى الدالة على عظمته، وتحدثنا في هذه الحلقة عن آية كبرى، وهي أكبر عضو في الأحشاء " الكبد",

إخوة الإيمان والإسلام إلى حلقة قادمة مع فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي الأستاذ المحاضر في جامعة دمشق، والخطيب والأستاذ الديني في جوامع دمشق,

والحمد لله رب العالمين

الحلقة 17 – 30 : الساعة البيولوجية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة :

﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾

[سورة الذاريات: 21]

السماء، البرزخ، النحل، الأرض، ظلمات الفضاء، الكون، النمل، الكواكب، دقة الإنسان، التفكر في الخلق والكون، حوارات مع الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي، أحد علماء دمشق، يجريها عبد الحليم قباني.

المذيع:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، يا أرحم الراحمين.

أخوة الإيمان والإسلام، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

إن القول بأن أهداف القرآن الكريم التي جاءت بها آياته الكريمة تبيّن أنه كتاب هداية، قول حقّ لا شك فيه، ومع ذلك فهو لا يحصر أغراض القرآن الكريم، ويقصرها على الهداية في مجالات الاعتقاد والتشريع والتأمل الداعي إلى اكتساب المعارف فحسب، فالباحث المدقق والمحقق إذا تدبر القرآن الكريم بإمعان نظر وفكر وعقل فإنه سيقف على إشارات تومئ إلى حقائق العلوم، وإن لم تبسط في أنبائها، أو تسمى بأسمائها، واحتواءه على هذه العلوم يأتي حجة على أهل العلم كلما اخترقوا أسرار الطبيعة، وكشفوا حقائق الموجودات.

معنا اليوم فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي، الأستاذ المحاضر في جامعة دمشق، والخطيب والأستاذ الديني في جوامع دمشق، أهلاً وسهلاً بكم.

الأستاذ:

أهلاً وسهلاً بكم سيدي.

المذيع:

فضيلة الدكتور، إذا تأملنا في خلق الإنسان، وهو أقرب شيء للإنسان، أن يتأمل فيه، ويتفكر، فهناك أمور تحدث للإنسان عجيبة بعض الشيء، ولكن لا ندقِّق فيها، الإنسان يدرك الزمن والوقت من خلال إدراكه، ولكن كيف تدرك أجهزة الإنسان وأعراضه الزمن، وهذه الأمور مرتبطة بوظائفها.

الساعة البيولوجية في الإنسان :

الأستاذ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

لعل الإجابة عن هذا السؤال الطيب يضطرنا إلى الحديث عما يسمى الساعة البيولوجية في الإنسان، شيء محير، وشيء بالغ الدقة، لكن قبل الحديث عن هذه الساعة فهل في مخلوقات أخرى مثل هذه الساعة؟ اكتشف أحد العلماء الفرنسيين أن في مقدور بعض النباتات حساب الزمن، حيث إن بعض أوراق مجموعة من النباتات تؤدي حركات معينة في وقت محدد من اليوم، إذاً هذا النبات عنده ما يسميه العلماء ساعة بيولوجية، تحسب له الزمن إذ أن هذا النبات عنده ما يسميه العلماء ساعة بيولوجية تحسب له الزمن.

السبات الشتوي

ثم إن العلماء اكتشفوا أيضاً أن هناك حيوانات تشبه النباتات في تحديد الزمن، حيوانات تعرف بدقّة بالغة مرور الزمن، فتتجه إلى مكان سباتها في الشتاء، لو تأخرت أو بكرت قليلاً لماتت، إنه حساب في غاية الدقة، تأوي بعض الحيوانات إلى أوكارها لترقد طوال فصل الشتاء، ولولا أنها تعرف كيف يمر الزمن لما أمكنها ذلك، قال تعالى والآية دقيقة جداً:

﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾

[سورة طه: 49-50]

شيء دقيق جداً أن الله هيأ للمخلوق كل أجهزته، لكن من أودع فيه هذه الغرائز؟

﴿ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ﴾

زوّده بكل ما يحتاجه من أجهزة، ثم هداه إلى مصالحه،

﴿ ثُمَّ هَدَى ﴾

الخلايا بجوار الغدة النخامية

أما عند الإنسان فإنه بجوار غدته النخامية مجموعة خلايا لها خاصية عجيبة، إنها تستشعر الضوء الذي يسقط على قاع الشبكية في أثناء النهار، إذا استشعرت هذا الضوء معنى ذلك أن الوقت نهار، فإذا غابت هذه الأشعة التي تسقط على قاع الشبكية

معنى ذلك أن الوقت ليل.

كما تفضلتم في مقدمة هذا اللقاء الطيب، الإنسان بإدراكه الواعي يعلم ما إذا كان في الليل أو في النهار، لكن هناك أجهزة كثيرة جداً في الجسم ينبغي أن تكون في النهار على وضعٍ، وفي الليل على وضعٍ آخر، ينبغي أن يزداد نشاطها في النهار، وأن يقلّ نشاطها في الليل، وهناك أجهزة أخرى بالعكس ينبغي أن يزداد نشاطها في الليل ويقلّ في النهار، فمن الذي ينبئ هذه الأجهزة التي ليست عاقلة أن الوقت نهار أو أن الوقت ليل؟ هذا هو الموضوع بالذات، طبعاً هذه الأجهزة تستشعر أن الوقت نهار فلها خطة ثابتة تفعلها في النهار، ثم إنها تستشعر أن الوقت ليل لها خطة ثابتة تفعلها في الليل.

مثلاً: في النهار يزداد استهلاك الجسم للطاقة، فترتفع درجة حرارته نصف درجة عن المعدل الوسطي، وتنخفض في الليل نصف درجة عن هذا المعدل الوسطي، من يشعر الخلايا وخلايا الاستقلاب بالذات أن الوقت وقت نهار؟ هذه الخلايا التي إلى جوار الغدة النخامية تستشعر من خلال اقتباسها بقاع العين أن الوقت وقت نهار. إذاً الساعة البيولوجية مكانها إلى جوار الغدة النخامية، مرتبطة بقاعِ العين، فإذا جاء الضوء في النهار على قاع العين أشعرَ هذا المركز البيولوجي الساعة البيولوجية أن الوقت وقت نهار، فإذا غاب هذا الضوء من قاع الشبكية أخبرها أن الوقت وقت ليل، إذاً لا بد من خطة ثانية.

الغدة النخامية تؤمّن التكامل بين وظائف الأجهزة الداخلية :

الآن مع بعض التفاصيل، إن سقوط الضوء فوق الشبكية ينتقل بوساطة سيالات عصبية عبر ألياف العصب البصري إلى الغدة النخامية، وهي كما قلنا في حلقات سابقة ملكة الغدد، ووزنها نصف غرام، هذه الغدة النخامية تؤمّن التكامل والتكيّف بين وظائف الأجهزة الداخلية، هي مسيطرة، هي ملكة الغدد، تؤمّن أيضاً ضبط النشاط العام للجسم.

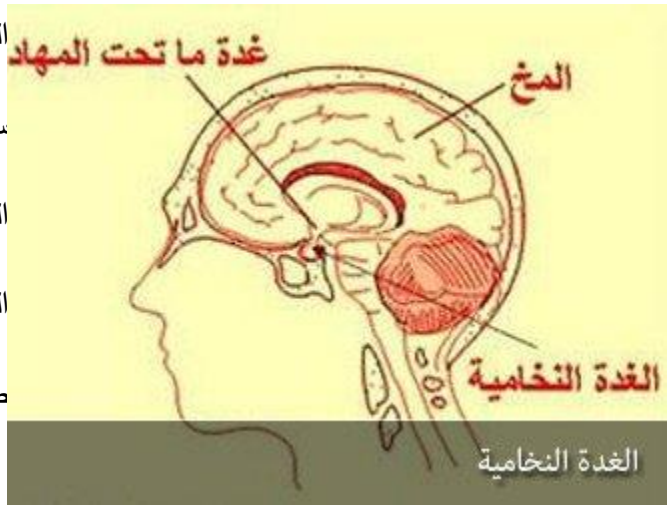

الآن أول غدة تتعلق بهذا المركز الذي هو الساعة البيولوجية الغدة الدرقية، والغدة الدرقية فيها استقلاب، معنى استقلاب: تحول الغذاء إلى طاقة، هذا الغذاء يتحول إلى طاقة عالية في النهار، وطاقة متدنية في الليل، أنت في النهار تتحرك، تعمل، تذهب إلى عملك، تحل مشكلات، قال تعالى:

﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا *وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴾

[سورة النبأ: 10-11]

فالغدة الدرقية التي أوكل إليها أمر الاستقلاب، أي تحوّل الغذاء إلى طاقة، هذه الغدة تعمل بنشاط بالغ في النهار، وبنشاط متدنٍ في الليل، بأمر من هذا المركز البيولوجي الذي هو الساعة البيولوجية.

المذيع:

وهذا ما يفيد الإنسان أن في النهار الكل يذهب إلى عمله، نطلب من فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي أيضاً في الليل بعض الناس يعملون، هذا السؤال لا بد من طرحه.

اختلاف نتاج الإنسان بين الليل و النهار :

الأستاذ:

طبعاً هذا السؤال إجابته أن نتاجهم في الليل يقلّ عن النهار، أنا أنصح أن يكون العمل في النهار، لكن هناك حالات استثنائية كالمطارات، ومراكز الحدود، وبعض المعامل، إذاً الطاقة التي يستطيع الإنسان بذلها في النهار ليست كالطاقة التي يستطيع بذلها في الليل، إذاً حينما نكلف إنسانًا أن يعمل في وقت السكن والنوم فلا شك أن هذا العمل لن يكون في فعاليةِ عملِ النهار.

المذيع:

لذلك المدرّس ينصح الطالب بأن يدرسَ في النهار، وليس في الليل.

الأستاذ:

كما أن الجسم ما ينتفع به من النوم في الليل لا ينتفع به بالنوم في النهار، بل إن في بعض الآثار: " إن لله عملاً في الليل لا يقبله في النهار، ولله عمل في النهار لا يقبله في الليل".

أستاذ عبد الحليم، جزاك الله خيراً، في النهار تزداد ضربات القلب من عشر إلى عشرين ضربة عنها في الليل، يزداد إدرار البول من ضعفين إلى أربعة أضعاف في النهار عنه في الليل، بل إن المثانة كأنها في الليل تأخذ إجازة، من أجل أن يرقد صاحبها براحة من دون إزعاج، دخول وخروج إلى الحمام، ألا ترى معي أن لهذا الإنسان تصميماً رائعاً؟ أن هذا الخالق العظيم رتب أجهزة الإنسان وعملها وتصميمها والتنسيق بينها بشكل معجز؟

المذيع:

فضيلة الدكتور بالنسبة للتسمية التي ذكرتها دائماً في هذه الحلقة، ألا وهي الساعة البيولوجية، هي تسمية غريبة بعض الشيء، الساعة تدل على الوقت، والبيولوجية تدل على جسم الإنسان.

اختلاف الساعة البيولوجية عن الساعة العادية :

الأستاذ:

هي تدل على ساعة ليست كساعاتنا، ساعاتنا ساعات ميكانيكية أو إلكترونية، فيها عجلات ومسننات ونوابض، الإلكترونية فيها صفحة من مادة معينة، فيها أوامر، لكن ساعتنا ليست من هذا النوع، ساعة بيولوجية تقوم بها الغدد الصماء والمراكز العصبية والتواصل الهرموني والعصبي.

مهمة الساعة البيولوجية :

شيء آخر، في النهار يرتفع النشاط الكهربائي للدماغ، وفي الليل يضعف هذا النشاط، والإنسان في النهار يمكن أن يؤدي عملاً فكرياً رائعاً، لكنه في الليل لا يستطيع ذلك، طبعاً في النهار أقصد به بعد طلوع الشمس، هذه ساعة الفجر المباركة.

((لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لَاسْتَهَمُوا، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لَاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

كنت البارحة في حفل تكريم عالم من علماء دمشق، فقام هذا العالم وألقى كلمة، وأشار فيها إلى أن بركة صلاة الفجر وما بعد الفجر هي وراء هذه المؤلفات الضخمة التي أنتجها في حياته، هو يستيقظ عند صلاة الفجر، ولا ينام بعدها إطلاقاً، هذا وقت مبارك، كما قال عليه الصلاة والسلام:

((اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا...))

[الترمذي عَنْ صَخْرٍ الْغَامِدِيِّ]

فيبدو أن الدماغ في النهار في أعلى مستوى من النشاط، هذا النشاط يضعف أيضاً في الليل، الآن في النهار تزداد درجة لزوجة الدم عنها في الليل، طبعاً إذا كان الدم لزجاً كان أقرب إلى الصون من أن يسيح من جرح بسيط، فالإنسان حينما يغضب وحينما يخاف ترتفع لزوجة دمه، في الليل يتميع الدم، وهذا أيضاً بسبب الخالق العليم الحكيم الذي جعل هذا الدم صونه في النهار أن يكون لزجاً، وصونه في الليل أن يكون متميعاً، يزداد عدد كريات الدم البيضاء كسلاح دفاعي في الإنسان في النهار عنها في الليل، فالكريات البيضاء هي جنود خاضعة لنظام دقيق من أجل أن تؤدي وظيفة الدفاع عن الجسم، في النهار هناك حركة، ومصافحة، وتناول طعام، وعمل في أماكن قد تكون فيها جراثيم، فجهاز الدفاع في الإنسان يكون مستنفراً، وفي جاهزية عالية في النهار عنه في الليل.

قضية تبدل وظائف الأعضاء في الغدد الصماء في النهار عنها في الليل هذا من مهمة الساعة البيولوجية.

المذيع:

فضيلة الدكتور، طبعاً ذكرتم ما بين الليل والنهار، وحدثنا الله سبحانه وتعالى في بعض الآيات عن هذا التبدل في وظيفة الإنسان.

التبدل في وظيفة الإنسان :

الأستاذ:

الليل لباس، الليل وقت الإنسان ليلتقي بزوجته فرضاً، لذلك معدّلات النمو في الليل أعلى منها في النهار، الإنسان ينام وهرمونات النمو تكون أشد فاعلية في الليل عنها في النهار، حتى الهرمون الجنسي يكون في الليل في أعلى مستوى من مستوياته عنه في النهار، في الليل يقلّ استهلاك السكر ثلاثين في المئة عما هو عنه في النهار، لأن السكر هو طاقة، تحرق المواد السكرية فتشكل طاقة، الإنسان في النهار يحتاج إلى طاقة، لكن في الليل لا يحتاج إلى هذه الطاقة، إذاً يزداد استهلاك السكر في النهار ثلاثين في المئة عنه في الليل، هذا معنى قوله تعالى:

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾

[سورة التين: 4-5]

لا زلنا في الساعة البيولوجية، المعدة أيضاً تكون قدرتها الإفرازية وقدرتها على هضم الطعام قليلة في الليل، لذلك هذه العادات التي ألفها الناس أن يتناولوا عشاء دسماً هي عادة سيئة جداً، بل إن بعض الأبحاث العلمية تتجه إلى أن يأكل الإنسان نصف الكمية الغذائية اليومية صباحاً، و خمسةً و ثلاثين بالمئة منها ظهراً، وخمسة عشر بالمئة منها ليلاً، أما ما يفعله الناس إذْ يأكلون أكبر كمية من الطعام في الليل، فالمعدة قدرتها على الهضم تضعف في الليل عنها في النهار.

المذيع:

هل المواد هي التي تفرز كي تعمل هذه الأجهزة بهذا الشكل؟

الأمة التي يبدأ عملها قبيل الظهر لا تنتج شيئاً :

الأستاذ:

الحقيقة أن الإنسان حينما يستيقظ تتراكم في دمه مادة تؤدي إلى تسارع النبض وارتفاع ضغط الدم، وهذا يؤدي إلى نشاط الجسم، وهذا ملموس عند بعض الناس، أن ذروة العمل في النهار، وأن المستوى الأدنى هو في الليل، كما قلت قبل قليل: النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا...))

[الترمذي عَنْ صَخْرٍ الْغَامِدِيِّ]

أنا زرت أمريكا، شيء لا يصدق، الطرقات في الساعة الخامسة صباحاً مزدحمة أشد الازدحام، يذهبون إلى أعمالهم في وقت مبكر جداً، وأنا أقول: إن الأمة التي يبدأ عملها قبيل الظهر هي أمة لا تنتج شيئاً، هذا الوقت المهم جداً الذي فيه ذروة النشاط هو وقت الصباح.

هذه الساعة البيولوجية تشعر الأجهزة والأعضاء والنسج والخلايا والغدد أن الوقت وقت نهار.

كخلاصة لهذا البحث العلمي الساعة البيولوجية تشعر الأجهزة والأعضاء والنسج والخلايا والغدد أن الوقت وقت نهار، فافعلي كذا وكذا، وامتنعي عن كذا وكذا، وأن الوقت وقت ليل، فافعلي كذا وكذا، وامتنعي عن فعل كذا وكذا، لذلك الإنسان الذي يعمل ليلاً ونهاراً بنوبات سريعة تضطرب الساعة البيولوجية في جسمه.

المذيع:

هناك بعض الأعمال، وما شابه ذلك، وممن يذهبون إلى مناطق مختلفة فقد يكون الآن هنا نهار، وهناك ليل، ويذهبون في وقت قصير.

اضطراب الساعة البيولوجية :

الأستاذ:

هذا يؤدي إلى اضطراب الساعة البيولوجية، وأوضح شيء أن إنسانًا لو سافر إلى طرف الدنيا الآخر، من لبنان إلى أمريكا مثلاً، ما الذي يحصل هناك؟ هو مبرمج أن هذا الوقت هو ليل، هو في النهار هناك، إذاً لا ينام، أو ينام في النهار، ويقلق في الليل، بعد يومين أو ثلاثة، أنا سافرت عدة مرات، إلى أن أستقر في وضع متوازن أحتاج إلى يومين بعد وصولي إلى هناك، وعند عودتي إلى بلدي أحتاج إلى يومين آخرين حتى تعمل هذه الساعة بشكل منتظم، أما هؤلاء الذين يسافرون كل يوم إلى أماكن بعيدة فهؤلاء تضطرب عندهم هذه الساعة البيولوجية، على كلٍّ يقول الله عز وجل:

﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾

[سورة النمل: 88]

و يقول أيضاً:

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ* الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ* فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾

[سورة الانفطار: 6-8]

المذيع:

فضيلة الدكتور، لا بد من أن نشكرك لإتاحة الفرصة كي تعرفنا على هذه الساعة البيولوجية التي تحدد الوقت بدقة، وتعلم أجهزة وأعضاء الجسم أن هذا الوقت ليل، وأن هذا الوقت نهار.

أخوة الإيمان والإسلام، إلى حلقة قادمة، ونذكر أن عندك ساعة تبرمج الهرمونات والنبض والضغط والحرارة والقدرة على الهضم، وهذه الساعة تدرك إذا كنت في النهار أم في الليل.

الإرادة الصلبة توقظ الإنسان قبل المنبه :

الأستاذ:

لابد من تعقيب قبل أن ننهي هذا اللقاء الطيب، الآن قضية أخرى، أنت حينما تنام تأوي إلى فراشك، وحينما تقرر بإرادتك صلبة أن تستيقظ في الساعة الفلانية صدّق في الدقيقة التي عينتها تستيقظ، وهذا أشار النبي إليه لما شكا أحد إليه أنه نؤوم، فقال عمر رضي الله عنه: فضحت نفسك يا رجل، فقال عليه الصلاة والسلام: "دعه يا عمر، فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة، اللهم أذهب عنه النوم إذا شاء".

فأنت إن شئت أن تستيقظ تستيقظ في الوقت الذي تريده، والدليل في النزهات والرحلات، والسفر إلى أماكن بعيدة تستيقظ قبل المنبه بساعة أودعها الله بالإنسان.

خاتمة و توديع :

المذيع:

إذاً أيها الأخوة والأخوات، كما حدثناكم عن هذه الساعة البيولوجية في هذه الحلقة إلى حلقات قادمة بإذن الله تعالى، ونذكركم بقوله تعالى:

﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾

[سورة النمل: 88]

والحمد لله رب العالمين

الحلقة 18 – 30 : العقرب

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

السماء ، البرزخ ، النحل ، الأرض ، ظلمات الفضاء ، الكون ، النمل ، الكواكب، دقة الإنسان .

التفكر في الخلق والكون ، حوارات مع الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي ، أحد علماء دمشق ، يجريها عبد الحليم قباني .

المذيع :

اللهم صلّ وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أخوة الإسلام السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ؛ إن نظرة واحدة في القرآن الكريم تؤكد لنا أن الله جل وعلا كما أنزل للناس كتاباً مقروءاً فقد جعل هذا الكون ناطقاً بخالقيته وقدرته ، يدرك ذلك من يقرأ في آيات الله تبارك وتعالى ، وما يشهد الكون به على عظمة الله سبحانه وتعالى ، ولذلك يمكن القول : إن القرآن الكريم والكون هما مصدرا الحقائق الدينية والعلمية ، والله أنزل الكتاب بالحق :

﴿ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾

[سورة الإسراء : 105]

وخلق أيضاً الكون بالحق ، خلق السموات والأرض بالحق ، ولا يتصور تصادم حقين مصدرهما واحد ، أو تصادم الحق مع نفسه ، ومن ثَمّ فلا تصادم بين الدين الموجود في الكتاب والعلم المنشور في صفحة الكون .

فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، الأستاذ المحاضر في كلية التربية في جامعة دمشق ، والخطيب والأستاذ الديني في جوامع دمشق ، أهلاً وسهلاً بكم يا سيدي .

لقد سقتَ في كتابك الإعجاز العلمي في القرآن والسنة قصة واقعية حول العقرب والانفجار النووي ، فالعناية البالغة والقدرة على خلق الإنسان والحيوان والنبات ، هذه الصفات من صنع الله عز وجل ، نحن نسوق مثْلَ هذه الأمثلة كي ندل على خلقية الله وقدرته ، فلنبدأ مع هذه القصة ، ونشارك الأخوة المستمعين في هذه الحلقة .

الكون والقرآن مصدرا المعرفة :

الدكتور راتب :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين . أستاذ عبد الحليم– جزاك الله خيراً – لا بد من تعقيب لطيف على هذه المقدمة التي أدليت بها ، الكون قرآن صامت ، والقرآن كون ناطق ، والنبي عليه الصلاة والسلام قرآن يمشي ، وقد ذكرت قبل قليل أن الكون والقرآن مصدران للمعرفة ، ذلك أن الحق دائرة يمر بها أربعة خطوط ، خط النقل الصحيح ، وهو القرآن والسنة ، وخط العقل الصريح ، وخط الفطرة السليمة ، وخط الواقع الموضوعي المأخوذ من الكون ، ولأن العقل الصريح من خلق الله عز وجل ، ولأن الفطرة السليمة من برمجة الله عز وجل لهذا الإنسان ، ولأن الواقع الموضوعي هو خلق الله ، ولأن القرآن هو كلام الله ، والسنة تفصيل نبيه ﷺ ، إذاً هذه الخطوط الأربعة من أصل واحد ، وإذا اجتمعت الفروع في أصل واحد كانت فيما بينها متساوية.

إذاً أنا أعتقد أنه لابد من تطابق النقل الصحيح مع العقل الصريح مع الفطرة السليمة مع الواقع الموضوعي ، أما إذا كان النقل غير صحيح فيتناقض مع العقل ، أما إذا كان العقل تبريرياً غير صريح فيتناقض مع النقل ، أما إذا كانت الفطرة منطمسة فتتناقض مع المنهج الإلهي ، أما لو تصورنا فطرة سليمة ، وواقعاً موضوعياً ، وعقلاً صريحاً ، ونقلاً صحيحاً فهذه الأشياء الأربعة حتمية تطابقها مئة في المئة ، وهذا ما عبر عنه بعض العلماء الكبار حينما ألّف كتاباً عنونه : تطابق النقل مع العقل .

الكون خلقه ، والقرآن كلامه ، والعقل جهاز أودعه الله فينا من خلق الله ، والفطرة جبلة جَبَلنا عليها ، كلها من الله عز وجل .

الحقيقة أن اختياري لهذا الموضوع في كتاب الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة لا من حيثيات الموضوع ، بل في النتائج المترتبة عنه ، الإنسان له خصائص يتميز بها ، وفيه خصائص يشترك فيها مع بقية المخلوقات ، لكن الحقيقة الأولى أن أية صفة مادية يتصف بها الإنسان ففي المخلوقات الأخرى ما يفوقه بها ، فهو إذا عطل عقله ، ولم يبحث عن الحقيقة ، ولم يكن مؤمناً ، فما من مخلوق من الحيوانات إلا ويفوقه في خصائصه المادية، لكن الإنسان ميزه الله بالعلم ، منحه قدرة إدراكية ، ميزه الله بالخلق ، ميزه الله بالإيمان ، فلو لم يبحث الإنسان عن هذه التي تؤكد إنسانيته هبط إلى مستوى الحيوان .

العناية البالغة والقدرة على الخلق من صنع الله عز وجل :

ثمة مقالة وقعت تحت يدي من قبل ، مضمونها أن فرنسا قبل خمسة وثلاثين عاماً قامت بتفجير نووي في صحراء الجزائر ، وهذا التفجير النووي لهيب حارق ، وضغط ماحق ، الإنسان يتوهم أن التفجير النووي يقتل الكائنات الحية بفعل الحرارة المرتفعة ، هذا الكلام صحيح ، ولكن كلاماً لا يقلّ عنه صحة أن الضغط الذي يولده هذا الانفجار يسحق كل شيء ، فمن لم يمت بالحرارة مات بالضغط ، فإذا قلنا انفجاراً نووياً ، فينبغي ألا

يبقى كائن حي كائناً من كان بعد هذا الانفجار ، طبعاً هذا الانفجار لا يبقي نباتاً ، ولا حيواناً ، ولا إنسانًا ، هذا الانفجار أحدث حفرة كبيرة جداً ، وشّكل كرة من النار تعلو إلى مسافات شاسعة ، وبعد نهاية الانفجار ، وسكون الأرض وجدوا عقرباً يمشي في أرض الانفجار ، إنها مفاجأة غريبة عجيبة ، شيء مدهش ، شيء غير مجرّب في البحوث العلمية ، لذلك عكف علماء الحيوان ربع قرن على دراسة هذا العقرب !!

الآن يبدأ المغزى ، وجدوا أن العقرب يستطيع أن يبقى بلا طعام ولا شراب ثلاث سنوات ، ووجدوا أن العقرب يستطيع أن يكتم أنفاسه تحت الماء يومين كاملين ، ووجدوا أنه إذا وضع العقرب في ثلاجة ، وكانت البرودة من عشر درجات إلى عشرين درجة تحت الصفر فإنه لا يتأثر ، فلو نقل إلى رمل الصحراء المحرقة في درجة ستين فإنه يتكيف مع هذا التبدل الحراري الطارئ .

ثم إنه إذا وضع في حمام من الجراثيم الفظيعة لم يتأثر بها إطلاقاً ، وكأنه في حمام بارد ، ثم إنهم عرضوه لأشعة نووية تزيد ثلاثمئة ضعف ما يتحمله الإنسان فتحملها ، شرّحوه فلم يجدوا فيه دماً ، بل فيه مصلٌ أصفر ، ماذا يعلمنا هذا ؟ قلت قبل قليل : ليست العبرة في هذه الحقائق المدهشة عن العقرب ، بل العبرة فيما سوف نستنبطه منه .

أبدأ الموضوع بمثل بسيط جداً ، عندكم في البيت طاولة صغيرة توضع في غرفة الضيوف ، لو أنك قدمت لهذا الضيف كأس شراب يضعه على هذه الطاولة ، ما وزن هذه الكأس ؟ قد يكون وزنها مئتي غرام ، هذه الطاولة لو وقفت أنت عليها لاحتملت ، هي صممت لتتحمل كأسًا من الشراب لا يزيد على مئتي غرام ، لكنها تتحمل إنساناً يقدر وزنه بثمانين كيلو ، فكم وضع فيها احتياطي من القوة المتحملة للضغط ؟ وزن الكأس مئتا غرام ، الكيلو خمس كؤوس ، الثمانون كيلو أو المئة كيلو يقف عليها فلا تنكسر ، خمسمئة ضعف .

لو تصورنا أن كل عضو في الإنسان معه احتياطي ألف ضعف ، معنى ذلك انتهى المرض ، لا مرض أبداً ، يمكن أن نقول بشكل أو بآخر : إن الإنسان سريع العطب ، خثرة في الدماغ تشلّ حركته ، نقطة دم في شريانه التاجي توقف القلب ، يقال : سكتة قلبية ، خثرة دماغية ، نمو خلايا غير منتظم تنهي حياته .

المذيع:

فضيلة الدكتور ، بعد أن تحدثنا عن العقرب ، وما جرى له ، وأنه احتمل الصقيع، واحتمل البرود ، واحتمل رمل الصحراء ، فطبعاً الإنسان هنا سريع العطب .

الأمراض و سرعة العطب وسائل تربوية لتقريب الإنسان إلى الله عز وجل :

الدكتور راتب :

طبعاً هو سريع العطب ، الشيء الذي أتمنى أن يكون واضحاً تماماً أن الله عز وجل واجب الوجود ، بينما ما سوى الله ، وهو الكون ، أو بالمصطلح القرآني السموات والأرض ممكن الوجود ، الذات الإلهية واجبة الوجود ، وما سوى الله من الكون ممكن الوجود ، معنى ممكن أيْ ممكن أن يكون ، وممكن ألا يكون ، وإذا كان يمكن أن يكون على ما هو كائن ، أو على غير ما هو كائن ، كان من الممكن أن يكون الإنسان متحملاً لكل الضغوط ، ولكل المتغيرات في الحياة ، إذاً لا مرض .

مثل آخر ، نحن نأتي إلى الدنيا تِباعاً ، وكان من الممكن نأتي جميعاً دفعة واحدة ، وأن نغادرها دفعة واحدة ، إذاً لا موت ولا حزن ، يجب أن نعلم علم اليقين أن الله عز وجل واجب الوجود ، بينما خلقه ممكن الوجود ، يمكن أن يكون هذا الخلق موجوداً أو غير موجود ، وإذا كان موجوداً فيمكن أن يكون على ما هو كائن ، أو على خلاف ما هو كائن ، لو أن قلب الإنسان ، ودماغه ، وعضلاته ، والجهاز الهضمي ، والجهاز الإفرازي ، كان باحتياطي كبير جداً يتحمل كل التقلبات ، وكل المؤثرات ، معنى ذلك أنه المرض أُلغِيَ ، ولكن المرض

مقصود لذاته ، إنه أداة تربوية ، قال تعالى :

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾

[سورة البقرة : 155-157]

هذه المصائب هي من تصميم الله عز وجل ، الإنسان كلفه الله حمل الأمانة ، وكلف أن يتعرف إليه ، وكلفه أن يطيعه ، فإذا جاء إلى الدنيا ، ولم يكن قائمًا بما كلفه الله به، أو غفل عن معرفة الله ، وعن طاعته ، فلا بد من مذكِّر ، لو أن أباً قال له ابنه : يا أبتِ ، لا أحب أن أدرس ، مثلاً ، فالأب سمح لابنه ألا يدرس ، هذا حينما أصبح راشداً لم يجد معه شهادة يعمل بها ، ولا رأس مالٍ ، ولا بيتاً ، ولا مكانة اجتماعية ، فحقد على أبيه ، قال: يا أبتِ، أنا حينما سألتك ألا أدرس لمَ لم تنهرني ؟ لمَ لم تؤدبني ؟ أنا لا أعلم أنت تعلم ، فكأن الأب ارتكب في حق ابنه خطأ كبيرًا ، لأنه سمح له أن يفعل ما يريد ، وهو جاهل ، فربنا عز وجل يقول :

﴿ وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

[سورة القصص : 47]

حينما يصمَّم الإنسان على أنه سريع العطب ، وقد يصاب بأمراض وبيلة ، وأمراض عضالة ، وقد تنهار معنوياته أحياناً ، هذه كلها وسائل تربوية ، لتقريبه إلى الله عز وجل .

أنواع المصائب :

لكن بشكل موضوعي المصائب لها أنواع منوعة ، فالمصيبة في حق الشارد والتائه مصيبة ردع أو قصم ، إذا كان فيه بقية خير كانت ردعًا ، وإذا لم يكن فيه خير كانت قصمًا ، لكن المصيبة في حق المؤمن مصيبة دفع إليه ، أو رفع إليه ، أما المصيبة في حق النبي فهي كشف كماله ، بالمصيبة ينكشف كمال النبي ، وبالمصيبة يدفع المؤمن إلى الله عز وجل ، أو يرتقي عنده في الأجر والثواب ، بينما الشارد والغافل إما أن تكون مصيبته مصيبة قصم أو أن تكون مصيبته مصيبة دفع ، هذا معنى قوله تعالى :

﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

[سورة البقرة : 216]

المذيع :

فضيلة الدكتور ، هنا في مثل هذه الحالة التي نتحدث فيها عندما يأتي مرض للإنسان نرى بعض الناس يقولون: لا أريد الذهاب إلى الطبيب ، ولكن الله يداويني ، هناك بعض الناس من يفكر بمثل هذه الطريقة ، وهناك من يفكر بطريقة أخرى ، بل يعتمد على الطبيب بشكل دائم ، ما هي الطريقة المثلى في مثل هذه الحالة ؟

الأخذ بالأسباب و التوكل على الله :

الدكتور راتب :

الطريقة المثلى سألخصها ، ثم أشرحها : أن تأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء ، وأن تتوكل على الله وكأنها ليست بشيء .

العالم الآن غربيٌّ وشرقيٌّ ، العالم الغربي أخذ بالأسباب ، واعتمد عليها ، وألّهها، فوقع في الشرك ، والمجتمع المتخلف لم يأخذ بها فوقع بالمعصية ، هم مخطئون ، ونحن مخطئون ، إنك إن أخذت بالأسباب فينبغي أن تعتمد على الله ، تأخذ بها عبادة ، وأن تعتمد على الله يقيناً ، وإنك إن لم تأخذ بها فقد وقعت في المعصية ، بدليل أن الله عز وجل قال عن ذي القرنين :

﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً * فَأَتْبَعَ سَبَباً ﴾

[سورة الكهف : 84-85]

النبي عليه الصلاة والسلام علّمنا في سنته أنه لما هاجر أغلق كل الاحتمالات، وهيأ علاجاً لكل التوقعات ، فهيأ من يأتيه بالأخبار في غار ثور ، وهيأ من يمحو الآثار ، آثار الأقدام ، وهيأ ناقة نجيبة ، وهيأ دليلاً رجح فيه الخبرة على الولاء ، كان مشركاً ، غطى كل الاحتمالات ، أخذ بالأسباب وكأنها كل شيء ، فلما وصلوا إليه لم يضطرب ، فعَنْ أَنَسٍ عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قُلْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَنَا فِي الْغَارِ :

((لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا ، فَقَالَ : مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا))

[متفق عليه عَنْ أَبِي بَكْرٍ]

هو أخذ بالأسباب تعبّداً ، وهو يوقن بحفظ الله له ، أما المسلم المعاصر فلا يأخذ بالأسباب ، ويقول : توكلنا على الله ، هذا ليس توكلاً ، إنما هو تواكل . في بعض الأحاديث عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ :

((أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَضَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ ، فَقَالَ الْمَقْضِيُّ عَلَيْهِ لَمَّا أَدْبَرَ : حَسْبِيَ اللَّهُ ، وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ اللَّهَ يَلُومُ عَلَى الْعَجْزِ وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالْكَيْسِ . الكيس العمل والسعي والأخذ بالأسباب . فَإِذَا غَلَبَكَ أَمْرٌ فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ))

[أبو داود وأحمد عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ]

استعن بالله ولا تعجز . العجز ؛ أن أستسلم لقدري ، وألا أتحرك ، وألا أخذ بالأسباب . ألخّص ذلك : أنت تمشي على طريق ضيق ، عن يمينك وادٍ سحيق ، هو وادي الشرك ، وعن يسارك واد سحيق ، هو وادي المعصية ، إن أخذت بالأسباب ، واعتمدت عليها كما قال الصحابة الكرام في حنين: لن نغلب من قلة ، عددهم كبير ، اعتمدوا على العدد فقط ، قالوا يوم حنين :

﴿ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾

[سورة التوبة : 25]

وحينما لا تأخذ بالأسباب ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ يَقُولُ : قَالَ رَجُلٌ :

((يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْقِلُهَا وَأَتَوَكَّلُ أَوْ أُطْلِقُهَا وَأَتَوَكَّلُ ؟ قَالَ : اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ))

[الترمذي عن أنس بن مالك]

سيدنا عمر رأى أعرابياً يقود ناقة جرباء ، قال : كيف تعالجها ؟ قال : أدعو الله أن يشفيها ، قال له : يا أخا العرب ، هلا جعلت مع الدعاء قطراناً ؟

مشكلة العالم الإسلامي عدم الأخذ بالأسباب ، يجب أن نأخذ بها ، وكأنها كل شيء ، ثم نتوكل على الله ، وكأنها ليست بشيء .

خاتمة و توديع :

المذيع :

إذاً كما ذكرتم فضيلة الدكتور ، على الإنسان أن يتخذ الأمر الوسط بين الأخذ بالأسباب والتوكل ، إذاً يأخذ بالاثنين معاً .

طبعاً في مثل هذه الحلقات نتعلم نحن وإياكم الحكمة من بعض الأمور ، ذكرنا أن العقرب لم يمت من هذا الانفجار الكبير ، ولكن الإنسان يموت من شيء صغير .

أخوة الإيمان والإسلام ، مع هذه الحلقات نستفيد نحن وإياكم ، ومع فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، جزاه الله عنا كل خير . شكراً جزيلاً .

والحمد لله رب العالمين

الحلقة 19 – 30 : حليب الأبقار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة :

﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾

[سورة الذاريات: 21]

السماء ، البرزخ ، النحل ، الأرض ، ظلمات الفضاء ، الكون ، النمل ، الكواكب ، دقة الإنسان ، التفكر في الخلق والكون ، حوارات مع الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي أحد علماء دمشق ، يجريها عبد الحليم قباني .

المذيع :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

إخوة الإيمان والإسلام ، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، حلقة جديدة من هذا البرنامج الذي نتناول فيه في كل حلقة تأمّل وخاطر وتفكّر .

في أيّ حديث عن القرآن الكريم لا بد لنا من التأكيد على أنه كلام الله تعالى الموحى إلى إلى خاتم أنبيائه ورسوله ، والمحفوظ بين دفتي المصحف الشريف ، بنفس اللغة التي أوحى بها ، اللغة العربية محفوظاً حفظاً كاملاً ، كلمةً كلمة ، وحرفاً حرفا ، تحقيقاً للوعد الإلهي الذي قطعه ربنا تبارك وتعالى على ذاته العلية ، فقال عز وجل مِن قائل :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

[سورة الحجر]

من هنا كان القرآن الكريم متميزاً عن كلام البشر ، بمعنى أن البشر يعجزون عن الإتيان بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا ، وهذا هو المقصود بإعجاز القرآن .

معنا اليوم فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، الأستاذ المحاضر في كلية التربية في جامعة دمشق ، والخطيب والأستاذ الديني في جوامع دمشق ، أهلاً وسهلاً بكم .

الأستاذ :

أهلاً وسهلاً بكم يا سيدي .

فوائد ومكونات حليب البقرة :

المذيع :

في هذه الحلقة نتأمل فيها ، ونرى عجائب صنعه ، من الأمور التي يستهلكها الإنسان منذ نعومة أظفاره الحليب، فهناك بحوث صنفت ودرست ، ولكن أن يخرج هذا الحليب من الأبقار على هذا الشكل ، وعلى هذه الهيئة ، وهي تأكل الأعشاب فهو من العجب العجاب ، نتحدث في هذه الحلقة عن الحليب ومكوناته ، وكيفية خروجه .

الأستاذ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، وعلى أله وصحبه أجمعين .

نحن حينما نصلي نقرأ في الفاتحة :

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

[سورة الفاتحة]

من معاني كلمة رَبِّ الْعَالَمِينَ أنه الخالق والممدّ ، خلقنا ، وأمدنا بما نحتاج ، والحليب هو الغذاء الكامل ، وقد أمرنا أن نتفكر في أغذيتنا ، قال تعالى :

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴾

[سورة عبس]

أنا حينما أنظر إلى طعامي أعظّم خالقه ، وأرى أن الله عز وجل هو الرزاق ذو القوة المتين ، بل إن بعض العلماء الألمان سبب إيمانه بالله أنه رأى البقرة، فإذا نتاجها يزيد عشرين ضعفاً عما يحتاجه وليدها ، إذاً هذا الحليب ليس لوليدها ، بل هو للإنسان ، خلق خصِّيصَاً له .

أنتم حين تدعون إنسانًا إلى طعام في البيت ، هو يسمى في العرف الاجتماعي ضيفَ الشرف ، فلو طرق الباب طارق تدعوه إلى الطعام أيضاً ، لكن هذا الإنسان الثاني ليس مدعواً كالأول ، الأول أقيمت هذه الوليمة على شرفه ، هذا المعنى يتضح جلياً في قوله تعالى :

﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ ﴾

[سورة النحل الآية : 5]

خلقت خصِّيصاً لكم ، بل إن من أعجب ما في الموضوع أن هذه البقرة مذلّلة :

﴿ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ ﴾

[سورة يس الآية : 72]

العقرب غير مذلّل ، يخافه الإنسان ، الحية غير مذللة ، يخافها الإنسان ، لكن الطفل الصغير يمسك بالبقرة ، ويقودها ، ويحلبها دون أن يخشى شيئاً ، الجمل مذلّل ، الأنعام مذللة ، الدجاج مذلل , القطة مذللة ، لكن هناك حيوانات أخرى قد تكون صغيرة ، لكنها تملأ القلب رعباً ، إذاً الآية الأولى :

﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ ﴾

والآية الثانية :

﴿ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ ﴾

لي تلميذ في غوطة دمشق عنده بقرة توحشت , فقتلت أول إنسان ، وثاني إنسان ، فاضطر أن يطلق عليها النار ليقتلها ، وثمنها مئة ألف ، لو أن البقرة ليست مذلّلة لا ننتفع منها إطلاقاً ، إذاً نعمة أولى أنها تقدم لنا الغذاء الكامل الأول ، الحليب ومشتقاته هو الغذاء الأول ، وتوافق الحليب مع جسم الإنسان توافق عجيب . تستنبط استنباطاً عجيباً أن الذي خلق الإنسان سخر له هذا الحيوان ، هذه حقيقة أولى .

يعدّ الحليب الذي نستهلكه غذاء كاملاً بشكل أو بآخر ، سواء كان لبناً ، أو حليباً ، أو جبناً ، أو سمناً ، أنا أسميها مشتقات الحليب ، وقد أثر عن النبي ﷺ أنه ما أكل طعاماً إلا حمد الله عليه ، إلا الحليب .

فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ :

((كُنْتُ فِي بَيْتِ مَيْمُونَةَ ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ، فَجَاءُوا بِضَبَّيْنِ مَشْوِيَّيْنِ عَلَى ثُمَامَتَيْنِ ، فَتَبَزَّقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ خَالِدٌ : إِخَالُكَ تَقْذُرُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ: أَجَلْ ، ثُمَّ أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِلَبَنٍ ، فَشَرِبَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ ، وَأَطْعِمْنَا خَيْرًا مِنْهُ ، وَإِذَا سُقِيَ لَبَنًا فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ ، وَزِدْنَا مِنْهُ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يُجْزِئُ مِنْ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ إِلَّا اللَّبَنُ))

[الترمذي ، أبو داود ، أحمد]

في الحليب مثلاً كبحث علمي فيه نسب من الماء تتراوح بين 87 % إلى 91 % ، كما يحوي الحليب الدسم المواد الدسمة ، والسكريات ، والبروتينات ، والمعادن ، والفيتامينات ، وغازات منحلة ، فهو غذاء كامل ، فيه غازات منحلة كغاز الفحم ، والأوكسجين ، والنشادر .

– وفيه فيتامينات C، A، B ، و C ، و D .

– ومن المعادن : الكالسيوم ، والفوسفور ، ومن البروتينات : الكاترين ، والألبومين ، وما شاكل ذلك – ومن السكريات : سكر العنب ، والدسم والماء .

تقول أنت : حليب ، فيه معادن ، فيه فيتامينات ، فيه مواد دسمة ، فيه مواد سكرية ، فيه مواد غازات منحلة ، تركيبه معقد جداً الحليب ، ومتوافق مع الإنسان توافقاً عجيباً ، لذلك لما قال تعالى :

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴾

[سورة عبس]

هذا الطعام يدلك على الله ، وقد ورد أن النبي عليه الصلاة والسلام قال مرةً :

((أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه))

[الحاكم عن ابن عباس]

كيفية تكون الحليب :

المذيع :

العجيب في الأمر فضيلة دكتور كما ذكرت أن الحليب , ومكونات هذا الحليب من الفيتامينات والمعادن ، وإلى ما هنالك ، ولكن خروجه من البقرة بهذا الشكل ، وبهذا الصفاء هذا هو أمر عجيب .

الأستاذ :

أحدث البحوث العلمية توصلت إلى أن في البقرة غدة ثديية على شكل قبة ، هذه الغدة الثديية مقسمة إلى فصوص ، وهذه الفصوص مقسمة إلى فصيفصات ، وهذه الفصيفصات مقسمة إلى أجواف صغيرة ، هي الأسناخ ، محاطة بغشاء من الخلايا ، حول هذه الخلايا شعريات دموية تأخذ الخلايا من الدم ما تحتاج إليه ، هنا الشاهد .

إذاً الغدة الثديية في البقرة عبارة عن قبة فيها فصوص ، وأجزاء الفصوص ، هذه الفصوص محاطة بخلايا ، هذه الخلايا محاطة بأوعية دموية ، الشيء العجيب أن أربعمئة حجم من الدم يجول حول هذه الغدة من أجل تصنيع

حجم حليب واحد ، وكل لتر من الحليب يسهم في صنعه أربعمئة حجم من الدم ، لكن ما الذي يحصل ؟ أن هذه الغدة الثديية التي تجاور الوعاء الدموي تأخذ من الدم ما يناسبها ، تأخذ هذه الغازات المنحلة ، تأخذ البروتينات ، المواد النشوية ، السكرية ، تأخذ المعادن ، تأخذ كل شيء بما يناسبها ، والله عز وجل يقول :

﴿ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ ﴾

[سورة النحل الآية : 66]

الفرث معروف ، هو فضلات الجهاز الهضمي ، لكن قال بعض العلماء : هناك فرث غازي ، نفرزه من أنوفنا ، غاز الفحم ، من نتائج الاحتراق ، وهناك فرث سائل في الدم ، حمض البولة ، وهناك فرث آخر يخرج من الجهاز الهضمي ، فهذا الدم يجري في مواد سامة ، هناك حمض البولة ، هناك مواد ضارة هناك مواد نافعة ، هناك فيتامينات ، هناك معادن ، هناك أشباه معادن ، هناك غازات منحلة ، هناك مواد بروتينية ، مواد سكرية ، هل هذه الخلية عاقلة حيث تأخذ من هذا الدم ما تحتاجه لتكوين هذا الغذاء الأول في حياة الإنسان ؟ هنا الشيء الدقيق واللطيف .

الشيء الدقيق أنه حتى هذه الساعة لا أحد يعرف طبيعة عمل هذه الخلية ، تحدثنا من قبل عن الغشاء العاقل فيما أذكر ، وهذه الخلية الثديية أيضاً عاقلة ، تقوم بعمل يعجز عنه العلماء ، طبعاً ذكرت قوله تعالى :

﴿ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَناً خَالِصاً سَائِغاً لِلشَّارِبِينَ ﴾

[سورة النحل]

عطاء ربنا ﷻ يتسم أنه مستساغ ، ومفيد ، ألم يقل النبي عليه الصلاة والسلام حينما كان يأكل يدعو ويقول :

((الحَمْدُ لِلَّه الَّذي أَذَاقَنِي لَذَّتَهُ ، وأَبْقَى فِيَّ قُوَّتَهُ ، وَدَفَعَ عَنِّي أَذَاهُ))

[رواه ابن السني والطبراني عن عائشة رضي الله عنها]

هذا الغذاء فيه مواد نافعة استقرت في الجسم ، ومواد ضارة خرجت فضلات ، وله طعم طيب ، فتنعم النبي بطعم الطعام ، وبقيت في جسمه مواده الأولية ، وخرج منه المواد التي لا تنفعه .

((الحَمْدُ لِلَّه الَّذي أَذَاقَنِي لَذَّتَهُ ، وأَبْقَى فِيَّ قُوَّتَهُ ، وَدَفَعَ عَنِّي أَذَاهُ))

فضيلة الدكتور ، ذكرت أن البقرة الواحدة تنتج ما يزيد على حاجة وليدها ، ولكن كم تنتج البقرة الواحدة تقريباً ؟

الأستاذ :

تبدأ من عشرين لترًا إلى أربعين لترًا في اليوم الواحد ، إن ضرع البقرة طبعاً بعد تشريحه وجد فيه جداران متعاكسان ، لو أن أربعة إخوة يملكون بقرة واحدة فضرع البقرة أربع حلم ، كل حلمة تستقل بربع إنتاجها بالضبط، ذلك أن ضرع البقرة جدار من العضلات الملساء ، لكن هذا الجدار قد يتمزق بهذا الوزن ، فمن الذي يحميه من التمزق ، مدعم من وسطه بجدار يقسمه إلى قسمين ، وجدار آخر يقسم القسمين إلى قسمين ، فصارت أربعة أجواف ، كل جوف محاط بجدارين تقريباً ، وينتهي بحلمة ، فهذا من دقة صنع الله عز وجل .

المذيع :

طبعاً هناك تنسيق ، ونظم معين لكيفية درّ الحليب من ثدي البقرة .

الأستاذ :

نعم ، الأوعية الشعرية في الجهة الوحشية من الخلية الثديية ، والخلية الثديية لها جوف يرشح بنقاط الحليب ، فهذه الخلية الثديية تقوم بعمل في منتهى الدقة والحكمة ، تختار من هذا الدم الذي فيه كل شيء ، حتى حمض البول الضار ، حتى المواد السامة ، حتى بقايا احتراق الطعام ، تختار المواد النافعة ، وكأنها كائن عاقل ، تختار ، ويرشح هذا الحليب من جوف الغدة الثديية إلى الضرع الذي هو مكان تجميع الحليب ، ثم سحبه من قبل المستهلك .

أسباب مرض جنون البقر :

المذيع :

طالما فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، تحدثنا عن حليب الأبقار والأبقار بشكل خاص ، فقد أتت إلى عالمنا أو إلى بلادنا بعض الأمراض منها جنون البقر كما سمعتم وسمعنا ، فنريد أن نعرف بهذا المرض ، ونذكر ماذا حدث لهذا البقر ليصاب بهذا المرض ؟

الأستاذ :

الذي حدث أنني أسمي دائماً صنعة الله عز وجل بأصل التصميم ، فالذي حصل أن الله سبحانه وتعالى خلقه كامل كمالاً مطلقاً ، ولكل مخلق صمَّم له طعاماً خاصاً ، فالبقر كائن يعيش على النبات ، فالإنسان حينما جمح عقله ، واعتدى بنفسه ، وألّه نفسه في الأرض ، الإنسان الغربي متألّه ، فوجد أنه لو أطعمه طحين الجيف لكان

أقوى له على إنتاج الحليب ، فماذا فعل هذا الإنسان ؟

البقر الذي جنّ أُطعِم المشيمات من مستشفيات التوليد ، وجفِّفت هذه المشيمات ، وطُحِنت ، وقدِّمت غذاء له ، ثم عظام الخنزير جفّفت ، طبعاً غليت ، وجففت ، وطحنت , وقدمت غذاء له ، والجيف أيضاً عُملت في مراجل، ثم جففت ، ثم طحنت ، وقدمت غذاء له ، هذا البقر صممه الله على طعام نباتي ، فأطعموه طحين الجيف ، لذلك نشأ مرض سماه العلماء الاعتلال الدماغي ، هذا الاعتلال الدماغي سبب جنون البقر ، الحقيقة أن الذين فعلوا هذا ، ولاسيما في بريطانيا اضطروا إلى إحراق 11 مليون بقرة ، ثمنها 33 مليارًا من الجنيهات الإسترلينية، أنا أقول : ما جنون البقر إلا من جنون البشر .

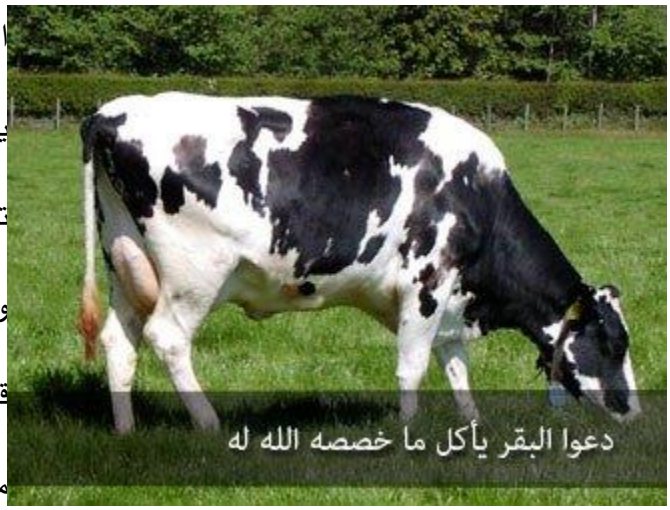

الإنسان حينما يستهين بأصل التصميم ، ويحاول أن يغير خلق الله ، بل إن الإنسان المتأله يجمح إلى تغيير خلق الله عز وجل ، وقد وصف الله الغافلين والشاردين بأنهم يغيرون خلق الله ، هذا المرض كما قلت قبل قليل : اسمه الاعتلال الدماغي الإسفنجي ، مسببات هذا المرض كائنات بالغة الصغر ، لم تعرف حتى الآن ، ذات دور حضانة طويل جداً ، يمتد إلى ثماني سنوات ، وفي الإنسان يمتد إلى عشرين سنة ، وليس لهذا المرض الخطير مظهر التهابي ، ولا مظهر مناعي ، واكتشف أخيراً أن هذا المرض يصيب البقر ، ويصيب البشر ، بل إن البشر إذا لأكلوا من لحم هذا البقر أصيبوا بمرض مشابه لمرض البقر .

إنّ أعراض هذا المرض في البقرة تكلف في المشي ، رفع القوائم عالياً ، فرط الإدراك الحسي ، الحك ، فقدُ الشهية ، فرط اللعق ، ثم الموت ، وعدم التحكم العصبي ، واقتران هذا كله بسلوك عدواني .

وماذا يفعل هذا المرض في الإنسان الشارد ؟ هذا المرض أيضاً إذا أصاب الإنسان فعل فيه أعراضاً كثيرة . الشكل البشري لهذا المرض فقدان الذاكرة ، فقدُ التناسق العضلي ، فقد التوازن ، العمى ، فقدُ النطق ، وتحدث الوفاة بين ثلاثة أشهر وعام من بداية ظهور الأعراض ، يرافق هذا قلق واكتئاب وتغيرات سلوكية ، واضطراب في نشاط الدماغ الكهربائي .

هذا المرض يصيب البقر ، ويصيب البشر ، بل يصيب البشر الذين يأكلون من لحوم هذه الأبقار التي اختلت صحتها ، واعتلت ، فكان كما قلت قبل قليل : جنون البقر من جنون البشر .

المذيع :

فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، لا بد لنا أن نأخذ من خلال هذه الكلمات ، وهذه الحلقة الحكمة من هذا المرض الذي أصيب به البقر ، ويصيب أيضاً البشر .

الأستاذ :

الحكمة قد تكون إيمانية ، أن الإنسان إذا تطاول على الذات الإلهية ، وأراد أن يغير خلق الله عز وجل يدفع الثمن باهظاً ، هذه الأغلاط البشرية التي ارتكبت تؤكد أصل التصميم ، القاعدة دائماً يجب أن تكون مؤكّدة ، فإذا خرجنا عن القاعدة ، ودفعنا الثمن باهظاً ، فهذا تأكيد لهذه القاعدة .

أستاذ عبد الحليم يحظر أكل واستعمال لحوم البقر ، وأكل منتجاتها ، ودهونها ، وأحشائها ، ومخلفاتها ، والأعلاف التي مصنوعة منها ، ومنتجات التجميد المصنعة منها ، ولحوم العلب ، وأنواع الحليب ومشتقاته ، وأنواع الحلويات التي تستخدم هذه الدهون ، بل ربما أصاب هذا المرض الإنسان إذا تناول هذه المشتقات . على كلٍّ ، الغريب أن هذا اللحم المصاب باعتلال الدماغي لو طبخ وارتفعت الدرجة إلى مئة فالعناصر المسببة للمرض لا تموت بهذه الحرارة ، إنه مرض خطير جداً ، وهذا من حكمة الله عز وجل ، وكما قلت قبل قليل : اضطرت بريطانيا إلى حرق 11 مليون بقرة ، وثمن هذه الأبقار 33 مليارًا من الجنيهات الإسترلينية .

فلما يؤمن الإنسان بالله ، ويحترم أصل التصميم ، ويتكيف مع أصل التصميم عندئذٍ يكون قد حقّق ذاته ، وحقق سلامته وسعادته .

المذيع :

إخوة الإيمان والإسلام ، طبعاً نشكر فضيلة الدكتور الذي عرف لنا هذا الطعام الجيد ، والجيد جداً للإنسان ، ألا وهو الحليب ، وأعطانا الكثير من الشواهد من القرآن ، ومن سنة النبي ﷺ ، فقد قال ربنا تبارك وتعالى :

﴿ نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَناً خَالِصاً سَائِغاً لِلشَّارِبِينَ ﴾

[سورة النحل]

صدق الله العظيم .

إذاً أيها الإخوة ، هذه آيات عظمة دالة على عظمته سبحانه وتعالى .

أيها الإخوة ، سنتابع مع هذا التفكر والتأمل مع فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، وإلى حلقة قادمة بإذن الله تبارك وتعالى ، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

والحمد لله رب العالمين

الحلقة 20 – 30 : القلب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التفكر في الخلق والكون :

قال تعالى :

﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾

[سورة الذاريات الآية : 21]

السماء ، البرزخ ، النحل ، الأرض ، ظلمات الفضاء ، الكون ، النمل ، الكواكب دقة الإنسان .

التفكر في الخلق والكون ، حوارات مع الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي من علماء دمشق يجريها عبد الحليم قباني .

المذيع :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسولنا الكريم .

إخوة الإيمان والإسلام ، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

تمهيد :

لما كان القرآن الكريم هو كلام الله تعالى في صفائه الرباني ، وإشراقاته النورانية فلابد وأن يكون مغايراً لكلام البشر ، أي متميزاً عنه تميزاً يعجز البشر على تحقيقه ، أو عن تحقيقه في هذا الكمال والشمول والإحاطة ، ونحن نعلم أن كل نبي وكل رسول من رسل الله سبحانه وتعالى قد أوتي من المعجزات الحسية في الأمور التي برع بها قومه ، لتشهد له بصدق نبوته ورسالته ، فموسى عليه السلام بعث في زمن كان السحر قد بلغ مبلغاً عظيما ، فأتاه الله سبحانه وتعالى من المعجزات ما أبطل سحر السحرة ، وعيسى عليه السلام بعث في زمن كان الطب قد بلغ مبلغاً عظيماً ، فأتاه الله تعالى بالمعجزات ما تفوّق به على أطباء عصره ، ولذلك نزل القرآن الكريم على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ في زمن العرب الذين وصلوا إلى قمة الفصاحة ، وحسن البيان بالعربية .

في هذه الحلقة ، ومع فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، الأستاذ المحاضر في كلية التربية في جامعة دمشق، والخطيب والأستاذ الديني في مساجد دمشق ، أهلاً وسهلاً بكم .

الأستاذ :

أهلاً وسهلاً بكم يا سيدي .

المذيع :

نتحدث عن جهاز ذكره الله تعالى في الكتاب ، وذكره النبي ﷺ في سننه ، تارةً ذكر بأنه مركز للحب والإخلاص والعلم ، وتارةً يذكر على أنه مركز وجهاز فقط حسي ومضخة للدم ، وذلك طبعاً فيما حدثنا الأطباء ، وعلماء في الطب الحديث ، نسأل فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي عن ذلك .

الأستاذ :

القلب :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، وعلى أله وصحبه أجمعين .

القلب قلبان ... قلب الجسم ، وقلب النفس .

ينبغي أن نعلم أن العبادات في مجموعها وعلى اختلاف ألوانها وأشكالها ، تهدف أول ما تهدف إلى تطهير القلب من أمراضه النفسية وتحليته بالكمالات الربانية ، كي يسمو الإنسان إلى خالقه ، ويسعد بقربه ، وينعم بجنته .

قلب النفس ... له في الإنسان المكان الأول ، وعليه في جميع الأمور المعولة ، ولا عجب فهو القائد ، والجوارح جنود له وخدم ، وهو الآمر الناهي ، والأعضاء أتباع له ، وحشم ، وحسبك فيه قول الله تبارك وتعالى :

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾

[سورة ق الآية : 37]

أستاذ عبد الحليم ، جزاك الله خيراً ، ربنا عز وجل يقول :

﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾

[سورة الشعراء الآية : 88-89]

أعظم شيء تصل به يوم نلقى الله عز وجل القلب السليم ، ومن أروع ما قرأت عن هذا القلب السليم أنه القلب الذي لا يشتهي شهوة لا ترضي الله ، كما أنه لا يصدق خبراً يتناقض مع وحي الله ، ثم إنه لا يحكم غير شرع الله ، ولا يعبد غير الله ، فالإنسان إذا وصل إلى الدار الآخرة بقلب سليم فقد حقق وجوده ، وحقق الهدف من خلقه ، ووصل إلى أعلى سعادة يصلها بشر ، هذا هو قلب النفس .

قلب الجسد ... القلب حقيقة الإنسان ، ومن العجب أن الله سبحانه وتعالى جعل قلب الجسد أساسياً في حياة الجسد ، كيف أن القلب في النفس هو أساسي في سعادتها ، كذلك قلب الجسد أساسي في سلامته، وانتظام عمل أعضائه وأجهزته .

بل إن الله سبحانه وتعالى جعل بسلامة قلب النفس سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة ، وجعل بسلامة قلب الجسد سلامته من كل الأمراض الوبيلة .

بالمناسبة أمراض الجسد مهما تكن وبيلة تنتهي عند الموت ، فالموت ينهي كل مرض ، بل إن الموت ينهي صحة الصحيح ، وسقم السقيم ، ينهي قوة القوي وضعف الضعيف ، ينهي غنى الغني وفقر الفقير ، ينهي وسامة الوسيم ودمامة الدميم ، ينهي غنى الغني ، وفقر الفقير، ينهي كل شيء ، أمراض الجسد المتعلقة بالقلب بضعف قلبه بأزمة في قلبه ، بضعف في عضلة القلب ، باحتشاء في القلب ، بسكتة قلبية ، أمراض القلب كلها

تنتهي عند الموت ، ولكن المشكلة الكبيرة أن أمراض قلب النفس تبدأ بعد الموت ، وتشقي صاحبها إلى أبد الآبدين ، فأفضل ألف مرة أن يكون قلب الجسد معطوباً من أن يكون قلب النفس ملوثاً بشهوات الدنيا .

الفرق بين قلب النفس وقلب الجسد :

المذيع :

فرقت يا فضيلة الدكتور بين قلب النفس وقلب الجسد ، أليست هذه هي المضغة التي في الجسم هي ذاتها قلب النفس ، أم لا ؟

الأستاذ :

عنِ النُّعْمَان بْنِ بَشِيرٍ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :

((... أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً ، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ))

[متفق عليه]

كأنني أشعر أن هذا الحديث يتوجّه إلى قلب الجسد ، ذلك لأن العناية بالقلب عناية بالحياة ، هناك أعضاء في الإنسان لو أن عطباً أصابها تبقى حياة الإنسان مستمرة ، ولكن القلب إذا أصابه عطب تنتهي حياته ، ذلك لأن القلب هو المضخّة ، فالعناية بها عناية بنشطات الإنسان ، وكما تعلمون أن صحة الإنسان أعظم نعمة بعد نعمة الإيمان .

الإمام علي كرم الله وجهه جعل نعمة الصحة تأتي بعد نعمة الإيمان ، وتأتي الكفاية بعد نعمة الصحة ، ثلاث نعم ترتَّب على هذا الشكل ، نعمة الإيمان . ونعمة الصحة . ونعمة الكفاية .

وقد أشار النبي عليه الصلاة والسلام إلى هذا المعنى حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مَالِكٍ وَمَحْمُودُ بْنُ خِدَاشٍ الْبَغْدَادِيُّ قَالَا حَدَّثَنَا مَرْوَانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي شُمَيْلَةَ الْأَنْصَارِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مِحْصَنٍ الْخَطْمِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا))

[أخرجه الترمذي وابن ماجه]

في العالم الغربي يعلمون الطلاب أن في حياة الإنسان ثلاثة مرتكزات ، عمله ، صحته ، علاقته بمبدئه ، فأيّ خلل أصاب أحد هذه الثلاثة ينعكس على الفرعين الآخرين ، فلابد من أن يتحرك الإنسان على خطوط ثلاثة ، خط العناية بصحته ، وخط العناية بعمله ، وخط العناية بعلاقته بربه .

القلب ... قلب النفس ، هو الجانب المدرك من الإنسان ، بدليل :

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾

[سورة ق الآية : 37]

﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾

[سورة الحج الآية : 46]

هذا قلب النفس ، هو المخاطب ، هو المطالب ، هو المعاتب ، هو محل العلم والتقوى ، والإخلاص والذكرى ، والحب والبغض ، والوسواس والخطرات ، هو موضع الإيمان والكفر ، والإنابة والإصرار ، والطمأنينة

والاضطراب .

القلب ... قلب النفس ، هو العالم بالله ، هو المتقرب إلى الله ، هو المقبول عند الله ، إذا سلم من غير الله ، هو المحجوب عن الله ، إذا استغرق لغير الله ، هو الذي يسعد بالقرب من الله ، ويشقى بالبعد عنه ، وقد روي :

((عبدي طهرت منظر الخلق سنين))

[ورد في الأثر]

الإنسان يعتني ببيته ، تعتني بغرفة الاستقبال ، يعتني بمركبته ، يعتني بثيابه ، بهندامه ، بشكله ، بأناقته ، كي ينتزع إعجاب الآخرين ، فورد في بعض الأوراد القدسية :

((أن عبدي طهرت منظر الخلق سنين أفلا طهرت منظري ساعة))

[ورد في الأثر]

لأن القلب منظر الرب .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ))

[أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة]

الإنسان قد يكون أنيقًا جداً ، لكن قلبه ممتلئ غلاً وحقدًا وحسدًا ونيات سيئة للبشر ، هذا ساقط من عين الله ، ولأن يسقط الإنسان من السماء إلى الأرض أهون من أن يسقط من عين الله .

القلب كما قلت قبل قليل : منظر الرب ، ولا يفلح الإنسان ، ولا يطيب له عمر إلا بزكاة قلبه ، ولا يشقى إلا ببعد قلبه عن الله عز وجل .

أستاذ عبد الحليم . جزاك الله خيراً . إن فتشت عن أعجب ما خلق الله في السماء والأرض لم تجد أعجب ، ولا أروع ، ولا أدق ، ولا أجمل من قلب الإنسان .

هل القلب يشعر بالبغض كما يشعر بالحب ؟

المذيع :

فضيلة الدكتور ، تحدثت أن القلب هو الجانب المدرك من الإنسان ، والمخاطب ، والمطالب ، وهو مركز لهذا الشعور ، فهو الذي يشعر بالحب ، هل هو الذي يشعر بالبغض ؟

الأستاذ :

هو القلب الذي يبغض ، هو قلب النفس ، هو مركز النفس ، هو منطلق النفس .

لكن أنا أقول كلمة بمناسبة الحب : الإنسان الذي لا يشعر بحاجة إلى أن يُحِب ، ولا أن يُحَبّ فليس من بني البشر ، من خصائص البشر أنه يحب ، ويُحِبُ أن يُحَبُّ ، ولكن الذي يتمايز به البشر مضمون هذا الحب ، فقد تحب الله ، وإذا أحببت الله أحبك كل شيء ، وإذا أحببت الله ألقى الله حبك في قلوب الخلق ، إذا أحببت الله لان لك كل شيء ، إذا أحببت الله هابك كل شيء ، هذا حب مقدس ، وقد تحب الحقيقة ، وقد تحب أهلك وأولادك وزوجتك ، هذا كله حب مشروع ، ولكن المشكلة الكبيرة لا في أن تحب في الله ، أن تحب مع الله ، الحب مع الله عين الشرك ، والحب في الله عين التوحيد ، والحب ميل النفس ، وقل لي من تحب أقل لك من أنت ، الحب يحدد هوية الإنسان ، لكن أقول : الذكي والعاقل والموفق والفالح هو الذي يحب ما هو أبدي

سرمدي ، والمنحرف والأحمق والغبي هو الذي يحب شيئاً يزول .

رأى أحد الصالحين إنسانًا يبكي على قبر ، فقال له : لو أحببت الذي لا يموت أفضل من أن تحب الذي يموت ، فكل مخلوق يموت ، ولا يبقَى إلا ذو العزة والجبروت .

إن فتشت عن أعجب ما خلق الله في السماء والأرض لم تجد أعجب ولا أروع ولا أدق ولا أجمل من قلب الإنسان، تصلح أوتاره فيفيض رحمة وشفقة ، وحباً وحناناً ، ومعاني لطافاً ، وشعوراً رقيقاً ، حتى يتجاوز في سموه الملائكة المقربين .

وتفسد أوتاره فينضح قسوة ولؤماً ، وسوءًا حتى يهوي إلى أسفل السافلين ، حوى على دقته كره العالم ، فما أدقه ، وما أجلّه ، وما أصغره ، وما أعظمه ، يكبر ولا نرى كبره ، فيتضاءل أمامه كل كبير ، فيصغر ولا نرى صغره ، فيتعاظم عليه كل حقير ، اتحد شكل القلب ، واختلفت معانيه .

قلب الأنبياء ممتلئ رحمة ، ممتلئ عدلاً ، ممتلئ لطفاً ، ممتلئ حناناً ، وقلب الطغاة ممتلئ قسوة ولؤماً وحقداً ، اتحد شكل القلب واختلفت معانيه ، فقلب كالجوهر صفا لونه ، وراق ماءه ، وقلب كالصخر قوي متين ينفع ، ولا يلمع ، وقلب هواء خف وزنه ، وحال لونه ، يموت القلب ، ثم يحيا ، ويحيا ، ثم يموت ، ويرتفع إلى الأوج ، ويهبط إلى الحضيض ، وبينما هو يسامي النجوم رفعة إذا هو يلامس القاع ضعة ، أليس أعظم بناة العالم قد امتازوا بكبر القلب ، وصدق الشعور ، وقوة الإرادة ، إما إن من وجد كل شيء وفَقَد قلبه لم يجد شيئاً ، إن قلب الجسد أيضاً من أعجب ما خلق الله .

قلب الجسد :

المذيع :

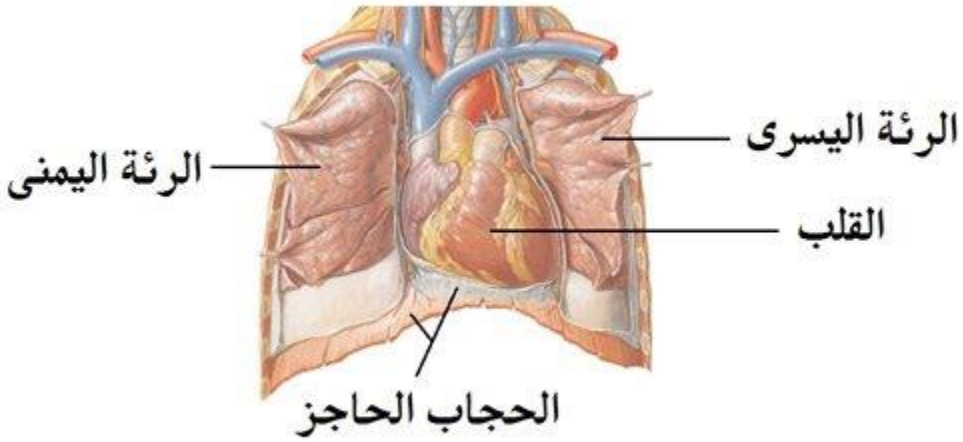

صورة لمنظر أمامي للصدر توضح القلب

تحدثنا عن قلب النفس ، والآن عن قلب الجسد ، إن قلب الجسد من أعجب ما خلق الله ، إنه مضخة مزدوجة تضخ الدم الذي يحمل الغذاء والوقود إلى كل خلية ونسيج ، وعضو وجهاز عن طريق شبكة من الأوعية يزيد طولها عم 150 كم ، طول الأوعية الدموية في الإنسان طبعاً أوعية دموية مطلقة ، 150 كم . ما هو التوقيت الذي يبدأ به العمل وهو قلب الجسد ؟

الأستاذ :

في اليوم العاشر بعد الشهر الرابع بالضبط ، في اليوم العاشر بعد الشهر الرابع ينبض القلب ، وحتى يحين الحين، لا يغفل ولا ينسى ، ولا يسهو ، ولا يقعد ، ولا يغفو ، ولا يمل ولا يشكو ، بل يعمل دون راحة ، ولا

مراجعة ، ولا صيانة ، ولا توجيه .

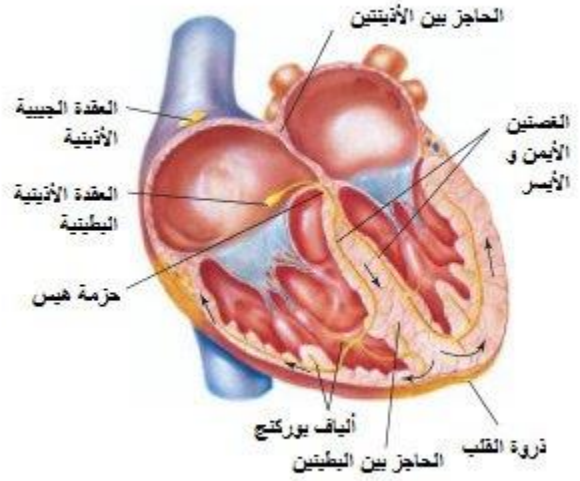

الصورة السابقة توضح جهاز القلب المتخصص بالإثارة و النقل (العقدة الجيبية الأذينية هي الناظمة البدئية

المسيطرة في القلب فهي تولد الدفعات القلبية تلقائياً أما العقدة الأذينية البطينية تستطيع إصدار الدفعات القلبية تلقائياً في حال توقف العقدة الجيبية الأذينية عن العمل لذلك تسمى الناظمة الثانوية و في حال توقف الناظمتين البدئية و الثانوية عن إصدار الدفعات القلبية يمكن لألياف بوركنج في حزمة هيس و تفرعاتها أن تولد الدفعات القلبية تلقائياً)

الإنسان بجبروته يؤذيه ، وبنار الحقد يكويه ، وبالأحزان يبليه ، هو أساس حياة الإنسان ، وشمس عالمه ، عليه يعتمد في كل أعماله وأحواله ، ومنه تنبع كل قواه ، وحركاته ، وهو آية خارقة لا يعرف التعب إليه سبيلا ، تزداد قدرتها أضعاف كثيرة لتواجه الجهد الطارئ ، إنها عضلة من أعقد العضلات بناء وعملاً وأداءً ، وهي من أمتنها وأقواها ، تنقبض وتنبسط ثماني مرة في الدقيقة ، ويصل النبض في الجهد الطارئ إلى مئة وثمانين ، ويضخ

القلب 8000 لتر في اليوم الواحد ، أي ما يعادل ثمانية أمتار مكعبة من الدم ، ويضخ القلب من الدم في طول عمر الإنسان ما يكفي لملء إحدى أكبر ناطحات السحاب في العالم ، وهذه المضخة يمكن أن تملأ في عمر متوسط أكبر ناطحة سحاب في العالم .

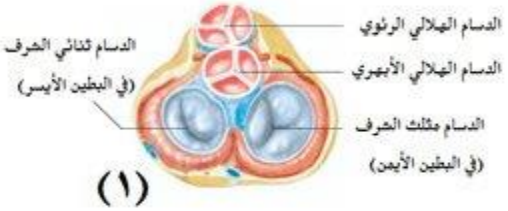

(١)

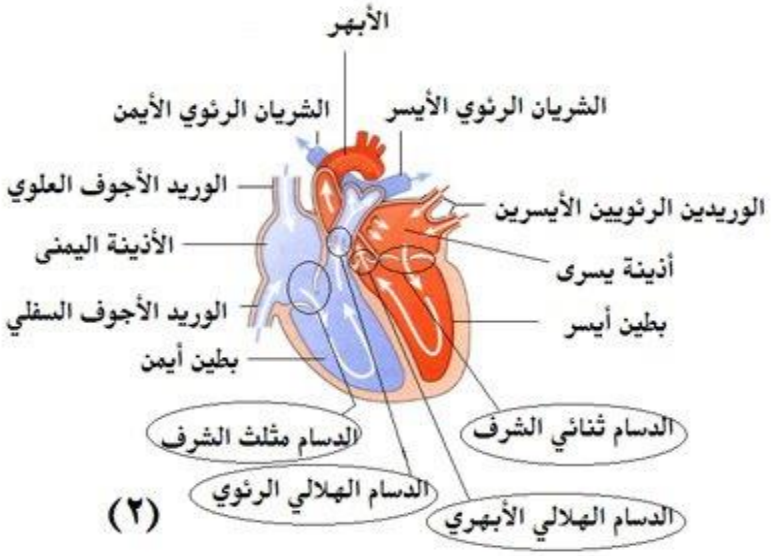

(٢)

(٣)

صورة توضح دسامات القلب (1) منظر علوي لدسامات القلب (2) صورة توضح اتجاه جريان الدم في القلب (3) صورة توضح الدسامين الهلاليين الرئوي و الأبهر (الدسامين في حالة إغلاق)

ينفرد القلب في استقلاله عن الجهاز العصبي ، فتأتمر ضرابته ، وتنتظم بإشارة كهربائية من مركز توليد ذاتي هي أساس تخطيطه ، وتتغذى عضلة القلب بطريقة فريدة ، ومن أعجب ما فيه دساماته المحكمة التي تسمح للدم بالمرور باتجاه واحد ، وهو مبدأ ثابت في المضخات ، إن القلب إذا سكن في قفص ، واستراح من غصص خلّف وراءه جثة هامدة ، كأنها أعجاز نخل خاوية ، لم ترَ لها من حياة باقية ، وقد حدث النبي ﷺ الصادق المصدوق عن القلب فقال :

((... أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً ، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ))

[متفق عليه]

ورحم الله الشاعر إذ يقول :

دقات قلب المرء قائلة لــه إن الحياة دقائق وثوانٍ

فارفع لنفسك قبل موتك ذكرها فالذكر للإنسان عمر ثانٍ

المذيع :

آلة خارقة كما ذكرتم فضيلة الدكتور ، وهي جهاز في جسد الإنسان ، لا يسهو ولا ينسى ، لا يعقد ولا يكبو ، يبدأ بتوقيت معين ، وينتهي عمله عندما يموت الإنسان .

فرق الدكتور محمد راتب النابلسي بين قلب النفس وقلب الجسد ، قلب مطالب بالمحبة والعلم ، إلى ما هنالك ، وقلب الجسد وهو المضغة التي تضخ الدم لبقية الأعضاء الإنسان .

نشكرك فضيلة الدكتور في نهاية هذه الحلقة ، وإلى لقاء قادم بإذن الله تعالى

الصور العلمية مأخوذة من المراجع التالية:

1- f.Netter

2- Fox Human Physiology

3- Anatomy and Physiology in Health and Illness

والحمد لله رب العالمين

الحلقة 21 – 30 : الكون ومداراته

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

المذيع :

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله و صحبه أجمعين .

أخوة الإيمان والإسلام ؛ السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، لما كانت المعارف مكتسبة في تطور مستمر وجب على أمة الإسلام أن ينفر منها في كل جيل نفر من علماء المسلمين ، الذين تزودوا بالأدوات اللازمة للتعرض لتفسير الآيات الكونية الواردة في كتاب الله ، كالإلمام باللغة العربية ، ودلالات ألفاظها ، وأساليب التعبير بها ، وقواعدها النحوية والبلاغية ، وغير ذلك من علومها المختلفة ، ويجب طبعاً المعرفة بأصول الدين ، وبأسباب النزول ، وبالناسخ والمنسوخ ، والمأثور في التفسير ، وبجهود السابقين من كبار المفسرين ، وبالقدر اللازم من العلوم المتاحة عن الكون ومكوناته ، وغير ذلك مما يحتاجه كل من يتشرف بالقيام بمثل هذه المهمة العظيمة .

مع تفسير هذه الآيات الكونية والآيات القرآنية ، ومع فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، الأستاذ المحاضر في كلية التربية في جامعة دمشق ، والخطيب والأستاذ الديني في جوامع دمشق ، أهلاً و سهلاً بك .

الدكتور راتب :

أهلاً وسهلاً بكم يا سيدي .

المذيع :

الكون عبارة كبيرة جداً ، ودلالتها كبيرة أيضاً ، نريد أن نتعرف أكثر فأكثر على هذه الكلمة ومدلولاتها .

التعريف بالكون :

الدكتور راتب :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين . أستاذ عبد الحليم – جزاك الله خيراً – بادئ ذي بدء الكون ما سوى الله ، في القرآن الكريم يقابله السموات والأرض ، في المصطلح الحديث الكون ، والكون ما سوى الله , وقد تحدثت في لقاء سابق عن أن الله واجب الوجود ، بينما ما سواه وهو الكون ممكن الوجود ، ممكن أن يكون ، أو ألا يكون ، ممكن إذا كان أن يكون على ما هو كائن ، أو على خلاف ما هو كائن .

على كلٍّ في صحيح ابن حبان عن عطاء أن عائشة رضي الله عنها قالت :

((أتاني رسول الله ﷺ في ليلتي ، وقال : يا عائشة ، ذريني أتعبد لربي عز وجل ، فقام إلى القربة ، فتوضأ منها ، ثم قام يصلي ، فبكى حتى بلّ لحيته ، ثم سجد حتى بلّ الأرض ، ثم اضطجع على جنبه حتى أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح ، فقال : يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : ويحك يا بلال ، وما يمنعني أن أبكي ، وقد أنزل الله عليّ هذه الليلة :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾

[سورة آل عمران : الآية 190]

قال عليه الصلاة والسلام : ويل لمن قرأها ، ولم يتفكر فيها))

وقد روي عن النبي عليه الصلاة والسلام :

((أمرني ربي أن يكون صمتي فكراً ، و نطقي ذكراً ، و نظري عبرًا))

[ورد في الأثر]

الإمام الحسن البصري رحمه الله تعالى قال : " من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو، ومن لم يكن سكوته تفكراً فهو سهو ، ومن لم يكن نظره عبرة فهو لهو ".

والله عز وجل الذي خلق السموات والأرض بالحق يقول :

﴿ سَنُرِيهِمْ آَيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾

[سورة فصلت : 53]

والحق هو القرار والثبات والسمو والعلو ، ونقيضه الباطل ، وهو الزوال والزهوق والتردي والعبث ، قال تعالى :

﴿ سَنُرِيهِمْ آَيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ ﴾

[سورة فصلت : 53]

آيات الله في الآفاق :

فأين هي آيات الله في الآفاق ؟ الآن دخلنا إلى الموضوع ، ورد أن عدد النجوم في السماء بعدد ما في الأرض من مدر وحجر ، والعجيب أنه قبل أسبوعين أو ثلاثة صدر تصريحٌ لأحد علماء الفلك الكبار يقول فيه : إن عدد نجوم السماء بعدد رمال الأرض ، وهذا تقريب للعدد ، أي بعدد ذرات التراب والحجارة ، فعلماء الفلك في الماضي كانوا يعدون النجوم بالألوف ، وبعد أن ارتقت كفاءة مراصدهم صاروا يعدونها بالملايين ، ثم وصلوا إلى

المليارات ، أي ألوف الملايين ، أما اليوم فإنهم يقدرون عدد نجوم السماء في مجرتنا درب التبانة من خلال المراصد العملاقة بثلاثين مليار نجم ، علماً أن مجرتنا مجرة متوسطة في حجمها ، وهي واحدة من عشرات ألوف الملايين من المجرات التي لا يعلم عددها إلى الله ، لقد صدق الله العظيم إذ يقول :

﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾

[سورة ق : 6]

المذيع :

هذا عن عدد النجوم ، وذكرنا أنها بالملايين ، فكيف إذا ذكرنا الحجم الكبير لكل نجم ؟

الحجم الكبير للنجوم :

الدكتور راتب :

أستاذ عبد الحليم ، إذا علمنا أن حجم الأرض يساوي مليون مَليون متر مكعب، وأن الشمس تكبر الأرض بمليون وثلاثمئة ألف مرة ، وأن المسافة بينهما مئة وخمسون مليون كيلو متر ، وأن نجماً من النجوم في برج العقرب – كما ذكرت قبل هذا في حلقة سابقة– يتسع للأرض والشمس مع المسافة بينهما ، وأن نجماً اسمه منكب الجوزاء يزيد حجمه على حجم الشمس بمئة مليون مرة ، لقد صدق الله العظيم إذ يقول :

﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾

[سورة الذاريات : 47]

المذيع :

إذاً فضيلة الدكتور الأعداد مهولة ، والحجم كبير كما ذكرت ، طبعاً هناك مسافات بين النجم والأرض ؟

المسافات الفلكية بين النجوم و الأرض :

الدكتور راتب :

مسافات فلكية ، أي نحن في الأرض إن أردنا أن نذكر رقماً غير معقول ، رقماً يفوق حدّ التصور نقول : إنه رقم فلكي .

الحقيقة أن ما بينها من مسافات تقدر بالسنين الضوئية ، فالضوء يقطع في الثانية الواحدة ثلاثمئة ألف كيلو متر، إذاً هو يقطع في السنة عشرة آلاف مليار من الكيلو مترات ، فإذا علمنا أن القمر يبعد عنا ثانية ضوئية واحدة ، وأن الشمس تبعد عنا ثماني دقائق ضوئية ، وأن المجموعة الشمسية لا يزيد قطرها على ثلاث عشرة ساعة ضوئية ، وأن أقرب نجم ملتهب إلى الأرض يبعد عنا أربع سنوات ضوئية ، ولكي نعلم ماذا تعني أربع سنوات ضوئية ، لو اتجهنا إلى هذا النجم بمركبة تساوي سرعتها سرعة مركبة القمر لاستغرقت الرحلة أكثر من مئة ألف عام ، ولو ساوت سرعة هذه المركبة سرعة السيارة في الأرض لاستغرقت الرحلة هذه قريباً من خمسين مليون عام ، هذا ما تعنيه أربع سنوات ضوئية ، أي إن أردنا أن نصل إلى هذا النجم بمركبة أرضية لاحتاج إلى خمسين مليون عام ، فما القول في سديم المرأة المسلسلة التي تبعد عنا مليوني سنة ضوئية ؟ بل ما القول في مجرة اكتشفت حديثاً تبعد عنا عشرين ألف مليون؟ أي عشرين مليار سنة ضوئية ، لقد صدق الله العظيم إذ يقول:

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ *﴾

[سورة الواقعة : 75-76]

هذا ولم نتحدث عن حركات النجوم ، وعن سرعاتها العالية ، ولا عن مداراتها الواسعة ، ولا عن شدتها ، ولا عن قوة إضاءتها ، ولا عن قوى التجاذب التي تربطها ، ولا عن توازنها الحركي ، وعلى كلٍّ فالعجز عن الإدراك إدراك ، قال تعالى :

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

[سورة الزمر : 67]

المذيع :

قال الله تعالى :

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾

[سورة فصلت : 53]

تحدثنا فضيلة الدكتور عن الكون بشكل عام ، وعن النجوم كم لها من الحجم الكبير ، والعدد المهول ، ولكن إن أردنا أن نعطي فكرة صغيرة عن مدارات الكواكب هل ذكر في القرآن الكريم مثلاً ؟

مدارات الكواكب :

الدكتور راتب :

لاشك أن هناك استنباطاً لطيفاً من قوله تعالى :

﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾

[سورة يس : 40]

هذه الآية على ظاهرها تدل على أن للشمس مداراً ، وللقمر مداراً ، ومدار الشمس لا يتصل بمدار القمر ، ولن تصطدم الشمس بالقمر ، بل كل في فلك يسبحون ، والآن الطائرات – أستاذ عبد الحليم – كل طائرة لها مسار ، لو لم يكن هناك مسارات خاصة لكل طائرة ، ولكل رحلة لكان هناك فواجع في الجو ، يؤكد هذا المعنى قوله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾

[سورة فاطر : 41]

أي أن تنحرف عن مسارها الذي رسم لها ، وقوله :

﴿ أَنْ تَزُولَا﴾

أي أن تنحرفا ، والزوال في وقت الظهيرة انحراف الشمس عن كبد السماء .

لقد فهم من هذه الآية الكريمة أن كل كوكب في الفضاء له مدار يدور فيه ، حتى إن بعضهم حينما تلا قوله تعالى :

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾

[سورة الطارق : 11]

رأى أن هذه الآية فيها أدق رسم للسماء ، فما من كوكب أو نجم في السماء إلا وله مدار يدور فيه ، و يعود إلى ما كان بعد حين ، فهذا المذنب الذي يرقبه الناس كل يوم ، طبعاً مضى وقته ، كان هناك إعلان إخباري عن أن هناك مذنبًا سوف يقترب من الأرض ، فهذا المذنب الذي راقبه الناس كل يوم مذنب هالي منذ أن خلق الله السموات والأرض يدور في مدار لا يحيد عنه قيد أنملة ، يصل إلى نقطة تقترب من الأرض ثلاثمئة مليون كيلو

متر ، له ذيل يزيد طوله على ثلاثة وتسعين كيلو مترًا ، ويخاف الناس أن يبقى في سيره مستقيماً فيرتطم بالأرض ، أما الآية الكريمة فتقول :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾

[سورة فاطر : 41]

المذيع :

إذاً للمذنب مدار معين حول الأرض ؟

لكلّ مذنب مدار معين حول الأرض لا يحيد عنه :

الدكتور راتب :

نعم لا يحيد عنه أبداً :

﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾

[سورة يس : 40]

إن بقاء هذا المذنب في مداره ملايين السنين ، وبقاء الأرض في مدارها ملايين السنين ، وبقاء الشمس في مدارها ملايين السنين في حدّ ذاته آية عظيمة جلّت من آية ، قال تعالى :

﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾

[سورة يس : 40]

قد لا نصدق أن هذه الساعة الشهيرة في لندن ساعة بيغ بن ، والتي يقال : إنها قد تزيد أو تنقص في العام ثانية واحدة ، على ماذا تضبط ؟ على حركة نجم ، حركة النجم الذي يقطع ملايين مَلايين ملاَيين مَلايين ملايِين

الكيلو مترات ، يأتي في وقت لا يقصر ولا يسبق ولا ثانية واحدة .

مثلاً : لو أن قطاراً يقطع من الخرطوم إلى القاهرة ، انطلق في الساعة السادسة، وقيل : سوف يصل في الساعة السادسة والدقيقة الواحدة والثلاثين ، أليس من الروعة ومن الإنجاز العلمي أن يصل في وقت يحسب بالدقائق ؟ هذا من صنع إنسان ، كذلك هذا النجم العملاق الذي يقطع مليارات مَليارات مليارَات الكيلو مترات يصل بدقة تضبط عليها ساعة بيغ بن .

فكل كوكب له مدار لا يزيد ولا ينقص ، والكوكب لا يسرع ولا يبطئ ، فالشمس لن ترتطم بالقمر ، ودورة الأرض حول نفسها ثابتة ، وطول الليل لا يتغير ، أي إن التقاويم بعد مئة عام تبقى صحيحة ، بعد ألف عام تبقى صحيحة ، بعد خمسة آلاف عام تبقى صحيحة ، والدليل أن كل بيت فيه تقويم يمكن أن تقول : في عام ألفين وثمانمئة الشمس في يوم ثلاثة وعشرين من شهر شباط تشرق الساعة الخامسة والدقيقتين ، ماذا يعني هذا ؟ ثبات حركة النجوم، ثبات الأزمنة والأمكنة والمسارات والمدارات ، هذا شيء يلفت النظر .

المذيع :

دقة في التصميم والتنظيم لابد أنها قدرة الخالق .

الدقة في خلق الكون :

الدكتور راتب :

وأن تكتشف قبل خمسة آلاف عام أن الشمس في اليوم الثالث والعشرين من شهر شباط سوف تشرق في الساعة الخامسة والدقيقتين ، هذا معنى قوله تعالى :

﴿ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾

[سورة يس : 40]

دورة الأرض حول نفسها ثابتة ، وحول الشمس ثابتة ، وكل في فلك يسبحون ، لكن علماء الذرة دهشوا من هذه الآية ، قوله تعالى :

﴿ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾

[سورة يس : 40]

فعلام تدل كلمة :

﴿ كُلٌّ ﴾

هذه الآية تعود على كل شيء خلقه الله عز وجل ، فالمنبر فيه ذرات ، وفي الذرات نترونات تدور حول نفسها ، ونظام الذرات كنظام المجرات ، وكل شيء تقع عينك عليه مؤلف من جزئيات ، والجزيء مؤلف من ذرات ، والذرة مؤلفة من نواة ، ومن كهارب لها مدارات، ولها سرعة ثابتة ، هذه الآية التي تشير إلى الذرة ، قال تعالى :

﴿ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾

[سورة يس : 40]

أي كل شيء خلقه الله في فلك يسبحون ، ذرات الصخر والحجر والخشب والماء والبلور والطاولة ، وكل شيء تقع عينك عليه إنما هو جسم مؤلف من جزئيات ، والجزيء من ذرات ، والذرة من نواة .

خاتمة و توديع :

المذيع :

في نهاية هذه الحلقة هناك الكثير مما استفدنا منه عن الكون ، وعن النجوم ، والعدد الهائل لهذه النجوم ، وأحجامها ، كما أن مدارات الكواكب بهذه الدقة حتى ذكرت لنا أن ساعة بيغ بن تضبط على حركة نجم . أيها الأخوة والأخوات ، مع هذه الدقة في هذه الحلقات ، ومع إعجاز القرآن الكريم نتابع مع فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي في حلقات أخرى حول هذا الموضوع ، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى و بركاته .

والحمد لله رب العالمين

الحلقة 22 – 30 : الحمام الزاجل

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

المذيع :

اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، لقد اعترف بلغاء العرب بروعة النظم القرآني، وتميزه عن كلام البشر ، فهذا الوليد بن المغيرة يقول في القرآن الكريم رغم كفره : " إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أسفله لمغدق ، وإن أعلاه لمثمر ، وإنه ليعلو ، ولا يعلى عليه "

قد دفع ذلك بنفر من المسلمين إلى تصور الإعجاز القرآني أساساً في جوانب بيانه ونظمه ، وأفاض الأقدمون والمحدثون في ذلك ، فأفصحوا عن جوانب من الإعجاز البياني في القرآن الكريم ملأت العديد من المجلدات ، دون أن يتمكنوا من إيفاء ذلك الجانب حقه كاملاً، نتابع مع : "عجاز العلمي في الكتاب والسنة "ومع كتاب لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي الأستاذ المحاضر في كلية التربية بجامعة دمشق ، والخطيب والمدرس الديني في مساجد دمشق، أهلاً وسهلاً بك .

الدكتور راتب :

أهلاً وسهلاً بكم يا سيدي .

المذيع :

حينما تتفكر ، وتتأمل في خلقه ، وأنت جالس على الشرفة قد يتراءى إليك حمام يطير في السماء ، فهل من الممكن أن تتأمل بأن الام الزاجل هذا كان يستخدم كبريد جوي ؟ هذا هو السؤال المحير ، والذي نراه عنواناً كبيراً في كتابكم ، فحدِّثونا أفادكم الله .

الحمام الزاجل :

الدكتور راتب :

إن شاء الله ، لفت نظري مرة أن مقالة كتب عليها : " الحمام الزاجل أول وكالة أنباء في التاريخ " ، وقد نربط هذا الموضوع العلمي بتاريخنا القريب ، فالأمير نور الدين الشهيد استخدم البريد الجوي حينما كان أميراً على بلاد الشام ومصر معاً ، فكان يرسل بريداً من الشام إلى مصر ، وتأتيه الأجوبة في زمن قصير جداً عن طريق الحمام الزاجل ، ماذا قال العلماء عن الحمام الزاجل ؟ قالوا : الحمام الزاجل – وله اسم آخر – حمام الرسائل ، له ما يزيد على خمسمئة نوع ، وهذا شيء لا يصدق ، هو يمتاز بحدة الذكاء والقدرة الفائقة على الطيران ، ويمتاز بغريزة قوية يهتدي بها إلى هدفه وموطنه ، هو مخلوق مستأنس أَلِفٌ ، قال تعالى :

﴿ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾

[سورة يس : 72]

كلمة ،

﴿ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾

فيها معانٍ كثيرة جداً ، هذا الحيوان الذي يألفه الإنسان، ويألف الإنسان ، ويستخدمه ، ويعينه على أداء مهماته ، لولا أن الله ذلّله لما أمكنه أن ينتفع منه ، لو أن أخلاق هذه الأنعام التي نأكلها كأخلاق الذئاب كيف نتعامل معها؟

المذيع :

دكتور محمد ، بالنسبة لاسم هذا الحمام ذكرت أنه الحمام الزاجل ، هل هناك فرق بين الحمام العادي والحمام الزاجل ؟

الفرق بين الحمام العادي والحمام الزاجل :

الدكتور راتب :

طبعاً هذا كأن الله خلقه لهذه المهمة ، تعلمون أن هناك كلابًا كثيرة ، لكن الكلاب البوليسية قدرة شمّها مليون ضعف عن بقية الأصناف ، معنى ذلك أنها مخلوقة خصيصاً لهذا الهدف ، فيبدو أن الحمام الزاجل في أصل تصميمه ، وفي أصل خلقه قد خلقه الله ليعين الإنسان على نقل المعلومات والأخبار .

هناك سؤال : من ذلّل هذا الطير ؟ من جعله حاد الذكاء ؟ من جعله ذا قدرة فائقة على الطيران ؟ من جعله ذا غريزة قوية يهتدي بها إلى هدفه ؟ من جعله مستأنساً يألف الإنسان ويخدمه وهو مسخر له ؟ إن هذا الطير ، الحمام الزاجل أو حمام الرسائل كما يسمى يقطع مسافة ألف كيلو متر دون توقف ، في طيران مستمر ، يقطعها بسرعة كيلو متر واحد في الدقيقة ، أي يقطع في الساعة ستين كيلو مترًا ، ويعطي الحمام الزاجل هذا سنوياً تسعة أزواج من الزغاليل كل عام ، ما سمعنا أن طائرة دفعنا ثمنها مئات الملايين من الدولارات أنتجت لنا طائرة صغيرة في آخر العام ، فالحمام الزاجل يعطي سنوياً تسعة أزواج من الزغاليل كل عام ، ويعين على نقل الرسائل عبر الآفاق ، ويهتدي إلى إيصالها بسرعة فائقة بالقياس إلى ذلك الزمن.

المذيع :

فضيلة الدكتور ، مَن استخدم هذا الحمام ؟

استخدام السلطان نور الدين الحمام الزاجل لنقل رسائله :

الدكتور راتب :

يروي التاريخ القريب من الحديث أن السلطان نور الدين استخدم الحمام لنقل رسائله بين دمشق والقاهرة ، حيث كان البريد ينقل عن طريق الحمام ، وكان اسم السلطان ينقش على منقار هذا الحمام ، وكان له ورق خاص يحمله لينقل به الرسائل ذات الوزن الخفيف نسبياً، وكان هذا السلطان يستخدم ألفين من الحمام لنقل الرسائل بينه وبين عماله في الأمصار .

إن ثمة لغزاً كبيراً جداً مازال إلى اليوم يحير الباحثين ، كيف يهتدي هذا الحمام الذي خلقه الله سبحانه وتعالى إلى هدفه ؟ وما الطريقة التي يستخدمها ؟ ويسأل العلماء : كيف يستدل الحمام على طريقه الطويل في السفر ؟

اهتداء الطير إلى هدفه يتم مباشرة بتوجيه الله عز وجل :

بالمناسبة ما من نظرية وضعت لتفسير ظاهرة اهتداء الطير إلى هدفه إلا ونقضها العلم ، حتى الآن ليس هناك نظرية تفسر اهتداء هذا الطائر عبر عشرات الآلاف من الكيلو مترات ليلاً أو نهاراً فوق البحر ، أو فوق اليابسة دون أن يضل الطريق إلى هدفه ، والطائر أحياناً ينتقل من شمال الكرة إلى جنوبها ، وقد تكون رحلته تزيد على سبعة عشر ألف كيلو متر ، لو أنه أخطأ في درجة واحدة من زوايا الانطلاق لجاء في مكان آخر ، مثلاً حي من أحياء بيروت فيه بيت فيه عش طائر ، هذا الطائر يهاجر إلى جنوب إفريقيا ، في طريق العودة لو أخطأ في درجة واحدة في زاوية الطيران لجاء في العراق ، ما الذي يجعله يأتي إلى بيروت بالذات ؟ هذا الشيء لا يزال محيراً .

مرة اطلعت على بحث يزيد على ثمانين صفحة في أرقى مجلات الجغرافيا في العالم ، إلى الآن ليس هناك

جواب مقنع وشافٍ ، ويغطي كل حركات الطيران .

مثلاً : لعلهم يفهمون أن هذا الطائر مبرمج على أن يسافر من الشمال إلى الجنوب ، ومن الجنوب إلى الشمال ، فجاؤوا بمئة طائر ، وعلّموهم ، وأخذوهم إلى الهند من بريطانيا ، إذاً هي تطير الآن في اتجاه الغرب ، جاؤوا بعدد من الطيور ، ونقلوها إلى بلاد شرقية كالهند مثلاً ، التي أُخِذت من بريطانيا عادت إلى بريطانيا ، فسّر ذلك مرة بالشمس ، مرة بالساحة المغناطيسية ، فسّر ذلك بالتضاريس ، ما من تفسير إلا وصار عاجزاً عن تغطية هذه القدرة التي أودعها الله في الطائر ، إلا أن بعض علماء المسلمين قال : حينما قال الله تعالى :

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾

[سورة الملك : 19]

استنبط علماء المسلمين أن اهتداء الطير إلى هدفه يتم مباشرة بتوجيه الله عز وجل ، من قوله تعالى :

﴿ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾

[سورة الملك : 19]

على كلّ الحمام يعد – كما قلنا في مطلع هذا اللقاء الطيب – أول وكالة أنباء في التاريخ .

المذيع :

دكتور ، إن أردنا أن نتجاوز عن تفسير رجوع الطير إلى موطنه الأصلي فمن الممكن أن نتجاوز عنه ، ولكن كيف نتجاوز عن تفسير أنه يرسل الطائر إلى مكان آخر غير موطنه ليبعث برسالة فهنا تفسير عجيب ؟

توجيه الله تعالى الطائر توجيهاً مباشراً ليكون آية على عظمته :

الدكتور راتب :

سوف نحاول أن نفسر ذلك ، الحقيقة أن الإغريق واليونان والرومان والعرب، وفي كل العصور كانوا يستخدمون هذا الطائر لنقل الرسائل وإيصال الأنباء ، وقد استخدمته بعض الدول الغربية كهولندا لإبلاغ الأوامر إلى سومطرة ، تصور من هولندا إلى سومطرة ، وجاء إلى جنوب شرق آسيا يقطع مسافات تزيد على سبعة عشر ألف كيلو متر تقريباً ، لكن السؤال الذي يحير العقول كما تفضلت به قبل قليل : كيف يهتدي هذا الطائر عبر هذه المسافات الطويلة التي يعجز عن الاهتداء إليها أذكى طيار على وجه الأرض ؟ الطيار هناك محطات أرضية نظامية كثيرة جداً ترسل له إشارات ، كيف يعرف الطيار أين هو على سطح الأرض ؟ لولا هذه المحطات التي ترشده إلى مكان وجوده لما أمكنه أن يهتدي .

طبعاً هذا واضح جداً في مخلوقات أخرى ، أنا ذكرت مرة أن بعض الأسماك تأتي من ينابيع الأنهار في أمريكا إلى مصباتها إلى الشرق إلى سواحل أوربا في المحيط الأطلسي ، وتعود إلى رؤوس الأنهار فتموت هناك ، لو أنها أخطأت في درجة واحدة أيضاً لكانت قد أتت من نهر الأمازون ، فإذا بها في نهر آخر ، شيء عجيب جداً. على كل الطيار يستخدم إشارات ، وإحداثيات ، وخرائط ، وبث مستمر يحدد له في أي موقع هو على سطح الأرض ، إنها رحلة طويلة من غرب أوربا إلى جنوب شرق آسيا ، فكيف – كما تساءلتم جزاكم الله خيراً – يوصل طائر صغير رسالة إلى أبعد مكان ؟ وكيف تعمل الحاسة التي توجه الطائر نحو طريقه ؟ قال العلماء : إن شيئاً ما يوجه هذه الطيور إلى أهدافها لا نعرفه ، وأروع ما في الموضوع كما قال سيدنا الصديق : " العجز عن الإدراك إدراك "

أحياناً الإنسان يرى لغزاً لا حل له ، أقول لك ، وأنا واثق من هذا الكلام : إنه حتى الآن ليس هناك تفسير علمي واضح لحركة الطيور ، ليس هناك جواب ، إلا أنني فهمت من قوله تعالى كما فهم غيري أن الله سبحانه وتعالى يوجه توجيهاً مباشراً هذا الطير ليكون آية على عظمة الله عز وجل .

قد توقع بعض علماء الأرض أن معالم الأرض تنطبع في ذاكرة هذا الطير ، فهو يعرفها ، ويهتدي بها ، هذه فريضة ، فجاء عالم آخر ونقض هذه الفرضية بأن جاء بحمام زاجل، وعصب عينيه ، وأطلقه فانطلق إلى هدفه، هذه النظرية أصبحت باطلة ، فأين تلك المعالم ؟ وأين الذاكرة على الرغم من أنه قد عصبت عيناه انطلق إلى هدفه ؟

فرضية ثانية : أنه يشكل مع الشمس زاوية يهتدي بها إلى وطنه ، فلما قيل : يطير في الليل فكيف يهتدي إلى هدفه وهو يطير ليلاً ؟ نقضت هذه النظرية .

نظرية ثالثة : إنهم توقعوا وجود جهاز رادار في دماغه يهديه إلى الهدف ، فوضعوا على رأسه جهازاً صغيراً كهربائياً يصدر إشارات كهربائية من أجل أن تشوش عليه ، ومع ذلك وصل إلى هدفه .

ثم توقعوا أنه يهتدي إلى أهدافه عن طريق الساحة المغناطيسية في الأرض ، فوضعوا في أرجله حلقات حديدية ممغنطة من أجل تشويش هذه الساحة فاهتدى إلى هدفه .

لم تبق عندهم من نظرية إلا ونقضت ، فكيف يقطع الطائر عشرات الآلاف من الأميال فوق البحر وفوق الجبال وفي الصحراء وفي الوديان ؟ وكيف يأخذ زاوية باتجاه الهدف ؟ هذا سر لا يزال يحير عقول العلماء ، وقد قال أحد العلماء : إن شيئاً ما يوجه الطيور إلى موطنها ، قال تعالى :

﴿ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾

[سورة طه : 49-50]

وأصح تفسير لهذا الموضوع أن الأمر يتعلق بهداية الله سبحانه وتعالى ، قال تعالى :

﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴾

[سورة الأعلى : 1-3]

الغريزة عمل ذكي و مبرمج يفعله الحيوان بلا تعلم :

لذلك يسمي علماء التوحيد هذه الظاهرة التي تحير العقول هداية الله تعالى ، ويسميها علماء الحياة الغريزة آلية معقدة توجد عند المخلوق دون تعلم ، عمل ذكي على مراحل ومبرمج يفعله الحيوان بلا تعلم .

الإنسان حينما يتعلم يتحرك وفق علمه ، لكن الحيوان أحياناً يقوم بأعمال بالغة التعقيد من دون تعلم ، هذه اصطلح على تسميتها بالغريزة ، والغريزة عمل معقد جداً على مراحل مبرمج ، ولكن بلا تعلم ، مثلاً الإنسان يولد، ولد لتوه كيف يستطيع الأب أن يعلمه كيف يمص ثدي أمه ليشرب من حليبها ؟ هل هناك قوة في الأرض تستطيع أن تعلم المولود لتوه ؟ لو أن الأب قال له : يا بني ، لابد من أن تشرب الحليب من ثدي أمك ، ضع فمك على حلمة ثدي أمك ، وأحكم الإغلاق ، ثم اسحب الهواء ، هل هناك في الأرض قوة تستطيع أن تعلم هذا الوليد؟ أبداً ، قال علماء الطب : إن الطفل الذي يولد لتوه مركوز فيه منعكس اسمه منعكس المص ، دون تعلم ، لمجرد أن يضع الوليد فمه على ثدي أمه يحكم الإغلاق ، ويسحب الهواء ، فيأتيه الحليب ، هذا المنعكس الوحيد الذي خلق مع الإنسان ، ولولاه لما كانت هذه الندوة .

خاتمة و توديع :

المذيع:

إذاً الهداية من الله سبحانه وتعالى كما ذكرتم .

في نهاية هذه الحلقة كنا قد تحدثنا أيها الأخوة و الأخوات في هذه الحلقة عن الحمام الزاجل ، البريد الجوي ، إنه ليس حديثاً ، بل إنه قديم ، إن هذا الطير ، الحمام الزاجل أو حمام الرسائل كان يسمى يقطع المسافات الكبيرة جداً ، ويهتدي بنور الله سبحانه و تعالى .

أيها الأخوة ؛ مع فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، نتابع هذه السلسلة من الحلقات بإذن الله تعالى من الإعجاز العلمي في القرآن والسنة .

والحمد لله رب العالمين

الحلقة 23 – 30 : المشيمة – السائل الأمنوسي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

المذيع:

اللهم صلِّ، وسلم، وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أخوة الإيمان والإسلام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الحديث عن الإعجاز العلمي في القرآن والسنة لاشك أنه محبب لكل الناس، لا يمكنني الحديث عن الانطباعات الكثيرة التي حدثت، لكننا نود أن نؤكد على أن الحقيقة العلمية التي لم تعرف إلا منذ بضع سنين أو حقب قليلة من السنين، وذكرها القرآن إنما تأتي تأكيداً على أن خالق هذه الحقيقة العلمية هو منزل القرآن، وهو باعث هذا النبي الأمي رحمة للعالمين، وبلا شك موصول بالوحي.

معنا فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي، الأستاذ المحاضر في كلية التربية بجامعة دمشق، والخطيب والمدرس الديني في مساجد دمشق، أهلاً وسهلاً بك.

الأستاذ:

أهلاً وسهلاً بكم يا سيدي.

المذيع:

فضيلة الدكتور، كلما فكرت بقضية التكاثر والإنجاب، وكيف يفصل الجنين عن أمه، وكيف يمر بمراحل متعددة قبل الولادة أصاب بالذهول، ففي هذه الحلقة يحدثنا أيها الأخوة والأخوات الدكتور محمد عن المشيمة أو الغشاء العاقل كما وصفه في كتابه؟

المشيمة :

الأستاذ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين. أستاذ عبد الحليم، جزاك الله خيراً على هذا السؤال اللطيف والعميق والدقيق، فحينما يولد الجنين يكون معه في الرحم قرص يسميه علماء الطب المشيمة، ويسميه العوام الخلاص، في هذا القرص من آيات الله الدالة على عظمته الشيء الذي لا يصدق

صورة لجنين بعمر 18 أسبوع متصل بالمشيمة عن طريق الحبل السري هذه الصورة توضح المشيمة و الغشاء الأمنيوسي (السلى)

ذلك لأن الله ﷻ يقول:

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾

[سورة التين: 4]

﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾

[سورة النمل: 88]

﴿ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ ﴾

[سورة الملك: 3]

صورة للرحم في الأسبوع الثامن بعد الإلقاح توضح المشيمة

فهذا القرص الذي يسمى المشيمة تلتقي فيه دورتا دم الأم والجنين، ومعلوم بشكل بديهي أن لكل دم زمرة، وأننا لو أعطينا إنساناً دماً من غير زمرته لانحل دمه، ولمات فوراً.

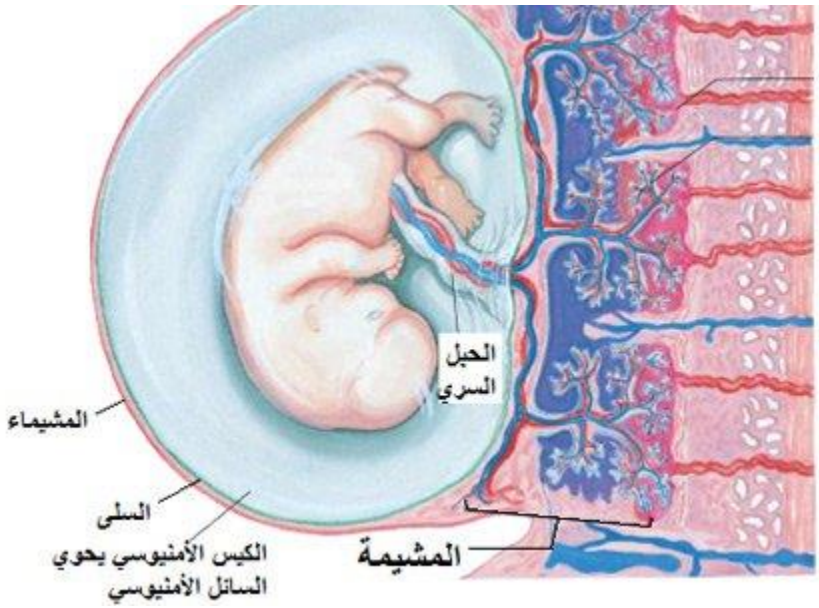

صورة توضح 1- المشيمة 2- الكيس الأمنيوسي و السائل الأمنيوسي و الغشاء الأمنيوسي (السلى)

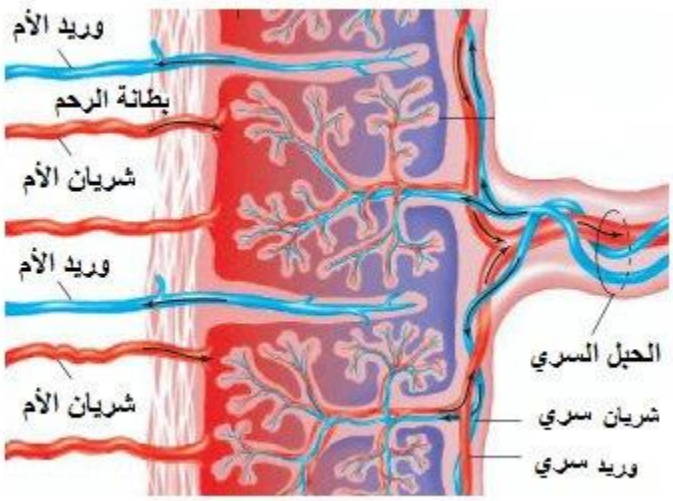

صورة توضح دوران الدم في المشيمة

المذيع:

إذا أردنا أن نعلم أكثر عن الزمرة ما هي؟

تعريف الزمرة الدموية :

الأستاذ:

طبيعة خاصة في الدم تتعلق بكل إنسان، لكن هناك زمراً محددة، ولكن مادام سألت عن الزمرة كفئات الدم تسمى عندنا الزمر، وتسمى في بلد آخر فئات الدم، لكن الشيء الآخر أن لكل إنسان زمرة نسيجية لا يشبهه فيها واحد في الأرض، ثبت الآن أن لكل إنسان زمرة نسيجية، ولكل إنسان خصائص ينفرد بها منها قزحية العين، ومنها

بلازما الدم، ومنها رائحة عرق الجلد، ومنها نبرة الصوت، ومنها بصمة الأصابع، هذه هوية، فكما أن الله ﷻ فرد في ذاته هذه الصفة لكرامة الإنسان عند الله منحها للإنسان، فالإنسان فرد لا شبيه له، هذا الغشاء العاقل الذي بين دورتي دم الأم والجنين، ذكرت قبل قليل أن مع الجنين قرصاً تلتقي فيه دورتا دم الأم ودم الجنين، ولكل دم زمرة، ولا يختلطان.

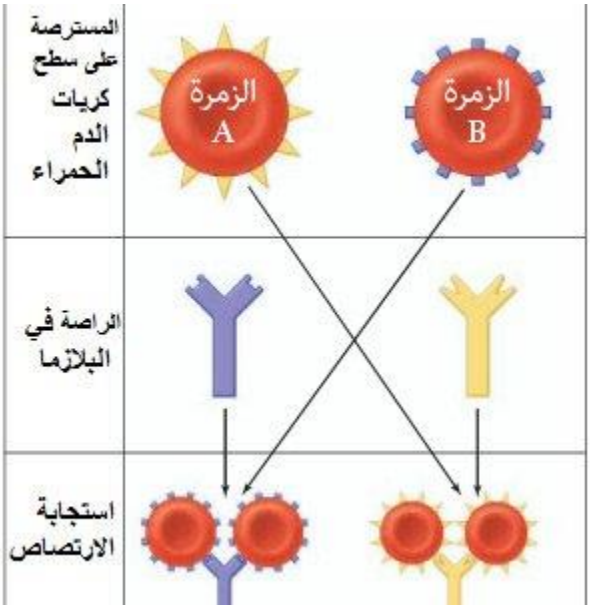

صورة توضح المسترصات على سطح كريات الدم الحمراء و الراصات في البلازما و استجابة الارتصاص التي تحصل عندما تجتمع المسترصة مع الراصة الموافقة لها (مثلاً المسترصة A مع الراصةa

الغشاء العاقل من آيات الله الكبرى :

بين الدورتين غشاء يقوم بأعمال يعجز عنها أعلم علماء الطب، بل إننا لو أوكلنا مهمات هذا الغشاء إلى أعلم علماء الطب لمات الجنين في ساعة واحدة، يقوم بشيء لا يصدق، هذا الغشاء سمي الغشاء العاقل لأنه يقوم بأعمال في أعلى درجة من الحكمة والعقل، مثلاً هو بين دم الأم ودم الجنين، والسائلان الدمويان لا يختلطان،

الغشاء العاقل يأخذ من دم الأم ما يحتاجه الجنين من المعادن، من الفيتامينات، من البروتينات، من الشحوم، من المواد السكرية، وكأن هذا الغشاء العاقل يختار المواد الغذائية التي يحتاجها الجنين كل يوم، وكل يوم تتبدل هذه النسب بحسب نمو الجنين، التعيير متغير يومياً فيختار من دم الأم ما يحتاجه الجنين من مواد موجودة في دم الأم، إذاً هو جهاز هضم للجنين يقدم له الغذاء، ثم إن هذا الغشاء العاقل يختار الأوكسجين من دم الأم وينقله إلى دم الجنين كي يحرق هذا الأوكسجين المواد السكرية فتنشأ الطاقة، ثم إن هذا الغشاء العاقل يأخذ مناعة الأم ويضعها في دم الجنين، فجميع الأمراض التي أصيبت بها الأم، وعوفيت منها، وأصبح عندها مناعة ضد هذا المرض تنقل هذه المناعة إلى دم الجنين كي يحصن من هذه الأمراض التي أصابت أمه، إذاً هو جهاز مناعة مكتسب، لكن هذا الغشاء العاقل يقوم بعملية معاكسة يأخذ من دم الجنين ثاني أكسيد الكربون ونواتج الاحتراق، يأخذ من دم الجنين حمض البول، يأخذ من دم الجنين المواد السامة، ويضعها في دم الأم كي تطرح عن طريق كليتي الأم وجهازها التنفسي.

المذيع:

سبحان الله ! يعطي الجنين الأمور الجيدة.

وظائف الغشاء العاقل :

الأستاذ:

إذاً هو كليتان، فصارت المشيمة جهاز هضم، وجهاز تنفس، وجهاز مناعة مكتسب، وجهاز تصفية للدم– كليتان –، الشيء الغريب أن هذا الغشاء يعطي دم الجنين مواداً تعين على حرق السكر في الدرجات الاعتيادية، إذاً هو بنكرياس للجنين، هذا دور الأنسولين، الأنسولين مادة يفرزها البنكرياس من أجل أن يحترق السكر في درجات متدنية في جسم الإنسان، إذاً هذا الغشاء العاقل يقوم بدور البنكرياس.

ثم إن هناك حقيقة في جسم الإنسان أن كل جسم غريب عن الجسم يرفضه الجسم، والجنين شيء غريب ينبغي أن يرفض، لكن هذا الغشاء العاقل يفرز مواداً تمنع رفض هذا المولود الجديد، هذا الغشاء العاقل سمي عاقلاً لأنه يقوم بأعمال يعجز عنها العقلاء، وكما قلت قبل قليل: لو أوكل أمر الوظائف التي يقوم بها الغشاء العاقل إلى أعلم علماء الطب لمات الجنين في ساعة واحدة.

ثم إن هذا الغشاء العاقل يحث الثديين في الأم على إفراز الحليب قبيل الولادة، والحقيقة أن هذا الغشاء يقوم بأعمال مذهلة، وكلكم يعلم أيها الأخوة المستمعون أن المادة ليست عاقلة، لا تصدق أن سيارة بلا إنسان يمكن أن تنطلق، وأن تقف عند الإشارة الحمراء، وأن تطلق البوق لطفل مرّ أمامها، ثم أن تقف إذا سمعت صوت الشرطي يدعوها للوقوف، هذا شيء غير مقبول إطلاقاً، فالمادة ليست عاقلة، ومادام هذا الغشاء يقوم بأعمال يعجز عنها العقلاء فهذا من تسيير الله ﷻ، وهذا معنى قوله تعالى:

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾

[سورة التين: 4-5]

فإذا عرفنا وارتقت نفسه سعد في الدنيا والآخرة، وإذا غفل عن الله عز وجل، وتفلت من منهجه، وأساء إلى خلقه شقي في الدنيا والآخرة.

المذيع:

فضيلة الدكتور، ذكرت لنا في البداية أن هذا الغشاء يفصل دم الأم عن دم الجنين، أي أن هناك فرقًا بين فئة دم الأم وفئة دم الجنين، فهناك اعتقاد عند البعض أن دم الجنين هو مماثل لدم الأم، وليس مختلفاً، فهل يكون هناك اختلاف؟

لكل من الأم والجنين زمرة دم خاصة :

الأستاذ:

والله أنا الذي أعرفه أن لكل دم زمرة، وهذا شيء يؤكده الأطباء، وهذه الأبحاث راجعها الأطباء، أنا أحترم اختصاص الإنسان، هذه الأبحاث التي أدرجتها في كتابي: الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة راجعها أطباء كبار، ولم يعترضوا على أن لكل من الأم والجنين زمرة دم خاصة.

المذيع:

فضيلة الدكتور، بعد أن عرفنا كيف الجنين يتنفس، ويأخذ الأوكسجين، ويطرح الفضلات إلى ما هنالك، والآن إن أردنا أن نعرف كيف يتقي الصدمات؟

السائل الأمنيوسي :

الأستاذ:

هذا الكلام الطيب، والسؤال اللطيف ينقلنا إلى موضوع آخر، فنحن في هذا اللقاء الطيب تحدثنا عن المشيمة، وعن الغشاء العاقل بين دورتي الأم والجنين، أما سؤالك اللطيف فيقتضي أن نتحدث عن السائل الأمنيوسي.

بادئ ذي بدء يقول الله ﷻ في كتابه العزيز:

﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ﴾

[سورة الزمر: 6]

لقد فسر العلماء هذه الظلمات تفسيرات متباينة، منهم من قال: إنها ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة الأغشية التي تحيط بالجنين، وقال بعضهم: إن الجنين محاط بأغشية ثلاث، وربما كان هذا من إعجاز القرآن العلمي، هناك أغشية ثلاث تحيط بالجنين، سؤالكم يقتضي أن نقف وقفة عند غشاء واحد، هو الغشاء الأمنيوسي، هذا

الغشاء هو الغشاء الباطن من جهة الجنين، أي أول غشاء من جهة الجنين هو الغشاء الأمنيوسي، هذا الغشاء يحيط بالجنين من كل جانب إحاطة كاملة، هو كيس غشائي رقيق مقفل، وفي هذا الغشاء المقفل سائل يزداد مع نمو الجنين اسمه السائل الأمنيوسي، يصل إلى لتر ونصف اللتر في الشهر السابع، ثم يعود إلى لتر قبيل الولادة، وهذا السائل أيضاً يقوم بمهمات يعجز عن فهمها العلماء.

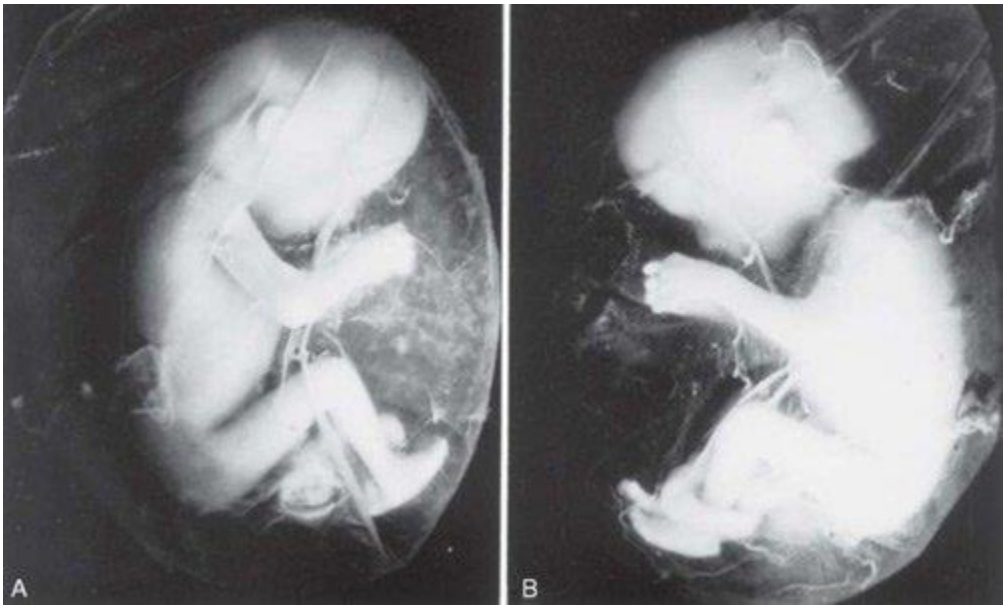

A صورة جنين بعمر 12 أسبوع موجود داخل الكيس الأمنيوسي B لاحظ الحبل السري ملتف (على شكل عروة) حول الكاحل الأيسر للجنين

من منا يصدق أنه لولا هذا السائل لما نجا جنين من موت محقق، هذا السائل يغذي الجنين ففيه مواد زلالية، ومواد سكرية، وأملاح غير عضوية، وهذا السائل يحمي الجنين من الصدمات، وقد طبق هذا المبدأ في مركبات الفضاء حيث أن كبسولة الرواد كان بينها وبين جسم المركبة سائل من أجل امتصاص الصدمات، فحينما تأتي الجنين صدمة من جهة ما قوتها أربعة سنتمترات مثلاً فإن السائل يوزع هذه الصدمة على كل السطح، فيصبح

هذا الضغط نصف ميليمتر.

وإن أحدث طريقة لامتصاص الصدمات أن يكون بين الشيء الذي تخاف عليه والمحيط الخارجي سائل، مثل هذا السائل موجود في الدماغ، حيث إن المخ محاط بسائل يمنع تأذي المخ بالصدمات، بل إن هذا السائل يمتص كل صدمة مهما تكن كبيرة، هذا السائل الأمنيوسي هو الذي يحمي الجنين من الصدمات والسقطات والحركات العنيفة التي تصيب المرأة الحامل، فإن أية ضربة أو أية صدمة يمتصها هذا السائل ويوزعها على سطح الجنين حتى لا يتأثر الجنين هذه المهمة الثانية.

مهمات السائل الأمنيوسي :

المهمة الأولى أنه يغذي الجنين، المهمة الثانية أنه يمتص الصدمات، المهمة الثالثة أن هذا السائل يسمح للجنين بحركة حرة خفيفة، فالأجسام وهي في السوائل تبدو حركتها أسهل بكثير مما لو لم يكن هناك سائل. الوظيفة الرابعة لهذا السائل الأمنيوسي أن هذا السائل جهاز تكييف له حرارة ثابتة لا تزيد ولا تقل إلا في أجزاء الدرجة، فمهما كان الجو الخارجي بارداً أو حاراً، فإن هذا السائل يحقق للجنين حرارة ثابتة تعينه على النمو. الوظيفة الخامسة أن هذا السائل يمنع التصاق الجنين بالغشاء الأمنيوسي، لأن هناك نموًّاً، ويخشى مع النمو أن يكون هناك التصاق بين الغشاء الأمنيوسي وبين الجنين، ولو أن هذا الالتصاق حصل لكان هناك تشوهات في خلق الجنين.

والوظيفة السادسة: أن هذا السائل نفسه يسهل الولادة، وهو الذي يعين على الانزلاق وتوسيع الأماكن التي سوف يمر بها الجنين.

والوظيفة السابعة لهذا السائل أنه حينما يسبق الجنين إلى الخارج يطرح ويعقم المجرى لئلا يصاب الجنين بالتسمم، فمن تطهير المجرى، ومن تسهيل الولادة، ومن منع التصاق الجنين بالغشاء الأمنيوسي، ومن تحقيق الحرارة الثابتة، ومن تحقيق الحركة الحرة الخفيفة، ومن حماية الجنين من الضربات واللكمات، ومن تغذية الجنين، هذه بعض الوظائف الخيرة التي يقوم بها هذا السائل الأمنيوسي الذي هو بين الجنين وبين الغشاء الأول الذي يلي الجنين.

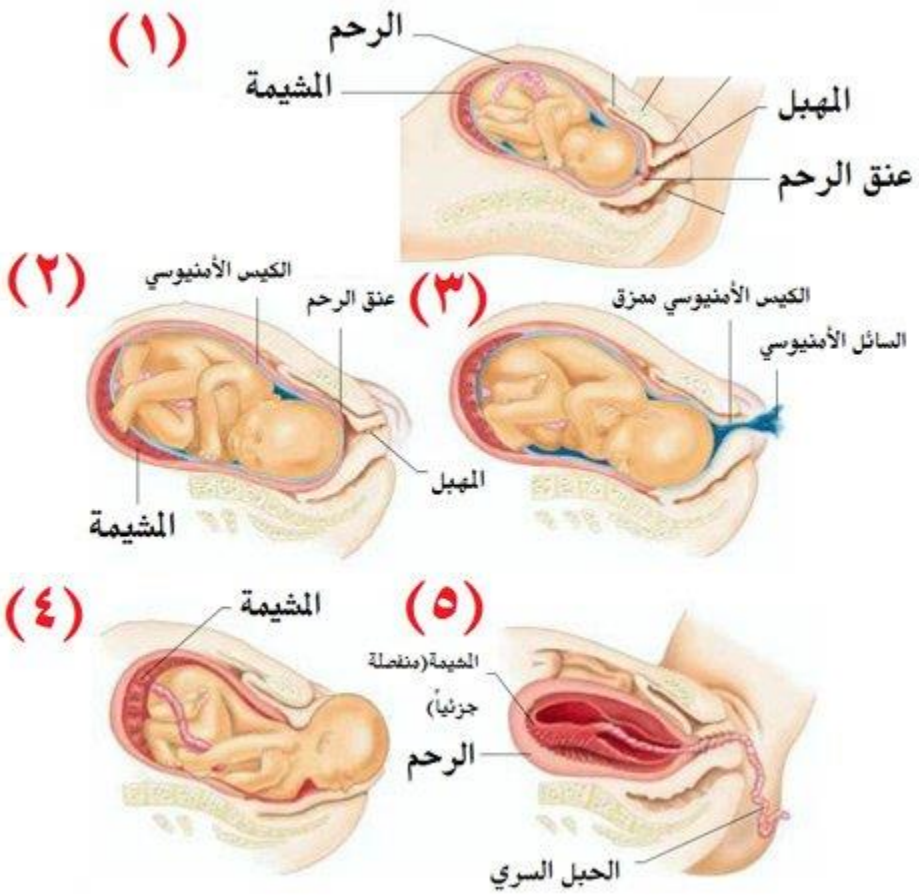

صورة لمراحل الولادة توضح خروج السائل الأمنيوسي قبل الجنين كما توضح الكيس الأمنيوسي و المشيمة

المذيع:

فضيلة الدكتور، إن أردنا أن ندعم بحثنا من خلال الآيات القرآنية فماذا تذكر لنا؟

آيات قرآنية حول السائل الأمنيوسي :

الأستاذ:

يقول الله عز وجل:

﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ﴾

[سورة الزمر: 6]

أي الغشاء يحقق ظلمة، غشاء أول، غشاء ثان، غشاء ثالث، ثلاث ظلمات:

﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴾

[سورة الرعد: 9]

ذلك الخلاق العليم:

﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾

[سورة غافر: 64]

قال تعالى:

﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾

[سورة القيامة: 36-40]

وقال تعالى:

﴿ قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ * كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ * فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾

[سورة عبس: 17-24]

الكتاب الذي نزل على قلب النبي هو الحق المطلق :

ثم يقول الله عز وجل:

﴿ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴾

ماذا ينتظر الإنسان و قد رأى من آيات ربه الكبرى؟

﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴾

[سورة القيامة: 36]

أن يفعل ما يشاء، وأن يعتدي على من يشاء، وأن يستعلي في الأرض، ثم يترك سدًى بغير حساب؟ لأن الله سبحانه وتعالى يبين لهم:

﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ *فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾

[سورة الذاريات:22- 23]

أي هذا الكتاب الذي نزل على قلب النبي عليه الصلاة والسلام هو الحق المطلق.

خاتمة و توديع :

المذيع:

إذاً طبعاً بعد أن عرفنا في هذه الحلقة كيف يحمى الجنين بالسائل الأمنيوسي، وكيف يؤمن له الجهاز التكييفي في الحرارة الثابتة، وكما عرفنا الغشاء العاقل أو المشيمة في هذه الحلقة، إلى حلقات قادمة بإذن الله تعالى مع فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي، يدور بحثنا عن الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، السلام عليكم ورحمة الله تعالى و بركاته.

الصور مأخوذة من المراجع التالية

- Fox Human Physiology - Langman's Medical Embryology the_developing_human_8 moore - Vander Human Physiology The Mechanism of Body Function

والحمد لله رب العالمين

الحلقة 24 – 30 : التمر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

المذيع :

أخوة الإيمان والإسلام ، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

إن موضع الحجة في القرآن الكريم هو إعجازه للخلق أجمعين ، وهذا الإعجاز قد يكون إعجازاً بيانياً ، و لكن لن يكون في متناول إلا الذين يحسنون العربية و يعرفونها ، أما صور الإعجاز العلمي فيمكن أن تصل إلى كل البشر في كل مكان ، طالما استخدموا نعمة العقل التي منحها الله سبحانه وتعالى للإنسان في إنصاف ، وتجرد ، وفي صدق مع النفس ، ليصلوا إلى حقيقة أن الله سبحانه وتعالى إله واحد ، وأن دين الإسلام هو خاتم الرسالات، وأن سيدنا محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين ، لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى .

في حديثنا عن الإعجاز والتفكر ، معنا فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، الأستاذ المحاضر في كلية التربية بجامعة دمشق ، والخطيب والمدرس الديني في مساجد دمشق أهلاً وسهلاً بكم .

الدكتور راتب :

أهلاً وسهلاً بكم سيدي .

المذيع :

في لقاء سابق ولقاءات سابقة قد تناولنا عدداً من الموضوعات التي تتصل بالإعجاز والتفكر في القرآن والسنة ، فضيلة الدكتور إذا ذهبنا إلى الجزيرة العربية نرى أنها غزيرة بالتمور المتنوعة ، وكما أن العرب من قبلنا وفي أحقاب زمنية متعددة تتركز أغذيتهم على التمور ، وخصوصاً زمن النبي عليه الصلاة والسلام ، فلابد أن للتمر من أهمية كبيرة ، السؤال أهمية التمر وتركيباته ؟

أهمية التمر وتركيباته :

الدكتور راتب :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((إِنَّ مِنْ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا ، وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ ؟ فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ ، فَاسْتَحْيَيْتُ ، ثُمَّ قَالُوا : حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : هِيَ النَّخْلَةُ))

[متفق عليه عَنْ ابْنِ عُمَرَ]

ومن ألطف ما قرأت في هذا الموضوع أن مؤتمراً عقد في بلد يصدر التمور ، ألقي فيه بحث تعلَّق بمشابهة النخل للإنسان ، فقيل : جذعها منتصب كالإنسان ، ومنها الذكر والأنثى ، ولا تثمر إلا إذا لقحت ، وإذا قطع رأسها ماتت ، وإذا تعرض قلبها لصدمة هلكت ، وإذا قطع سعفها لا تستطيع تعويضه كالإنسان تماماً ، هي مغشاة بالليف الشبيه بالشعر في الإنسان . أستاذ عبد الحليم ، جزاك الله خيراً ، في العالم ما يزيد على تسعين مليون نخلة ، ومرة قرأت أن النخل من الأشجار المعمرة ، قد تعيش ستة آلاف عام ، ففي العالم الآن ما يزيد

على تسعين مليون نخلة ، تقدم الغذاء لبني البشر ، ولاسيما للصائمين في رمضان ، حيث فائدته أعظم . قال بعض العلماء : إن التمر الذي يتناوله الصائم مع الماء فيه خمسة وسبعون بالمئة من جزئه المأكول مواد سكرية أحادية ، سهلة الهضم ، سريعة التمثل ، إلى درجة أن السكر ينتقل من الفم إلى الدم في أقل من عشر دقائق ، فأسرع مادة غذائية يتمثلها الدم هو سكر الدم الأحادي ، وفي الحال يتنبه مركز الإحساس بالشبع في الجملة العصبية ، فيشعر الصائم بالاكتفاء ، فإذا أقبل على الطعام أقبل عليه باعتدال ، وكأنه في أيام الإفطار ، أما المواد الدسمة فيستغرق هضمها وامتصاصها أكثر من ثلاث ساعات ، لابد من توضيح هذه الفكرة . الإنسان متى يكفّ عن الطعام ؟ إذا وصل تنبيه إلى مركز الشبع في البصلة السيسائية ، أو إذا امتلأت المعدة ، إذا بدأ بالمواد الدسمة ، المواد الدسمة يستغرق هضمها ساعات ثلاث فلا يصل التنبيه إلى مركز الشبع إلا بعد ثلاث ساعات ، أما التمر فينتقل سكره الأحادي من الفم إلى الدم في عشر دقائق ، فالإنسان إذا تناول المواد الدسمة ، وبدأ بها فلا يمكن أن يحس بالشبع إلا بعد ثلاث ساعات ، إذاً متى يتوقف عن الطعام ؟ عند امتلاء المعدة، أما إذا بدأ بالتمر فإن سكر التمر الأحادي يصل إلى مركز تنبه الشبع في عشر دقائق ، فقد كان عليه الصلاة والسلام يفطر على تمرات ثلاث ، ثم يصلي المغرب ، ثم يجلس إلى تناول طعام الإفطار . شيء آخر ؛ أنا أسمي الحقائق العلمية التي تطابقت تطابقاً عفوياً وتاماً مع حديث رسول الله ﷺ أسمي هذه الظاهرة : دلائل نبوة النبي عليه الصلاة والسلام ، فمن هدي النبي أنه كان يفطر على تمرات ، وقد أكد العلم اليوم أن أفضل شيء للصائم أن يبدأ طعامه بالتمر ، لأن سكره الأحادي يصل إلى مركز تنبه الشبع في وقت لا يساوي أكثر من عشر دقائق .

المذيع :

فضيلة الدكتور ، ما هي المواد التي يتركب منها التمر ؟

المواد التي يتركب منها التمر :

الدكتور راتب :

هذا سؤال لطيف ، التمر يمكن أن تقول هو صيدلية ، يمكن أن تقول فيه مواد أساسية لغذاء الإنسان ، فتتركب التمور من المواد البروتينية المرممة للأنسجة ، ومن نسب ضئيلة من الدهن ، ويحوي التمر خمسة أنواع من الفيتامينات الأساسية التي يحتاجها الجسم ، كما يحتوي التمر على ثمانية معادن أساسية ، ومئة غرام من التمر يومياً فيها من نصف إلى خُمس حاجة الجسم من المعادن ، الجسم بحاجة ماسة إلى المعادن ، فإذا أكل الإنسان مئة غرام من التمر يومياً يكون قد حقق من نصف إلى خُمس حاجة الجسم من المعادن .

يحتوي التمر أيضاً على اثني عشر حمضاً أمينياً ، وفيه مواد ملينة ، وفيه مواد مهدئة ، وهناك خمسون مرضاً يسببها الإمساك ، والتمر يقي من الإمساك .

وله آثار إيجابية في الوقاية من فقر الدم ، ومن ارتفاع الضغط ، ويعين على التئام الكسور ، وهو ملين ومهدئ، وقد أثبتت الأبحاث العلمية أن التمر لا يتلوث بالجراثيم إطلاقاً ، لأن تركيز السكر العالي يمتص ماء الجرثوم ، وهذه الخيرات كلها ، وقد عدّها بعض العلماء سبعة وأربعين عنصراً ممثَّلة في تمرة تأكلها ، ولا تدري ماذا ينتفع الجسم بها ، فعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((يَا عَائِشَةُ بَيْتٌ لَا تَمْرَ فِيهِ جِيَاعٌ أَهْلُهُ ، يَا عَائِشَةُ بَيْتٌ لَا تَمْرَ فِيهِ جِيَاعٌ أَهْلُهُ ، أَوْ جَاعَ أَهْلُهُ ، قَالَهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا))

[مسلم عن عائشة]

قال بعض الأطباء : إن أفضل الدواء ما كان غذاء ، وإن أفضل الغذاء ما كان دواء ، ولابن القيم رحمه الله تعالى قول في التمر ، قال : " هو من أكثر الثمار تغذية للبدن بما فيه من الجوهر الحار الرطب ، وأكله على الريق يقتل الدود ، فإنه مع حرارته فيه قوة ترياقية ، فإذا أديم استعماله على الريق خفف مادة الدود ، وأضعفه ، وقلّله ، أو قتله ، وهو فاكهة وغذاء ودواء وشراب وحلوى .

المذيع :

لاشك فضيلة الدكتور أن الأطباء تحدثوا عن التمر وفوائده ، وإن كان يقي من بعض الأمراض ؟

وقاية التمر الإنسان من بعض الأمراض :

الدكتور راتب :

نحن حينما قلّدنا الغربيين في غذائنا وقعنا في مشكلة كبيرة .

هذا الغذاء المصفى أو العصير هو غذاء يعد رقيًّا اجتماعياً ، لكن الحقيقة أن أصل تصميم هذه الفاكهة وهذه الخضراوات ينبغي أن نأكلها كما خلقها الله عز وجل ، والسبب هو أن هذه الفواكه والخضراوات فيها ألياف ، هذه الألياف لها دور كبير جداً في الجهاز الهضمي ، هذه أولاً : مواد مالئة ، وثانياً : مواد تعين على حركة الأمعاء، وثالثاً : هي مواد تمتص الكوليسترول الضار في الإنسان ، ورابعاً : هي مواد لا تعين على زيادة الوزن . فالأطباء في حيرة شديدة من ارتفاع نسب الأمراض الخبيثة والوبيلة والمستعصية في هذه السنوات الأخيرة ، أغلب الظن أن هذا يعزى إلى تغيير في خلق الله عز وجل ، فحينما نعود إلى الحياة الطبيعية التي أمرنا الله بها ، والتي رسمها لنا ، والتي خلقها من أجل أن نعيش حياة تملؤها الصحة والسعادة ينبغي أن نعود إلى أصل التصميم ، تمرات نأكلها أفضل ألف مرة من شراب نشربه ليس فيه مادة طبيعية ، مواد كيميائية صرفة ، لكن نؤخذ نحن

بالإعلانات وبترويج هذه البضائع .

إن هناك أمراضاً وبيلة وخطيرة تعاني منها المجتمعات الغربية ، التي أساس غذائها الغذاء المصفى ، أكبر نسب أمراض سرطان القولون في اليابان ، يعتمدون على الغذاء المصفى .

نحن بحسب بيئتنا نأكل التفاح بينما هناك يشرب عصير التفاح ، الذي يلقى في المهملات هذه المواد السيللوزية التي تحدثت عنها قبل قليل مواد مالئة ، محرضة لحركة الأمعاء، مواد تمتص الكوليسترول الضار ، هذه كلها نضعها نحن في سلة المهملات ، ونشرب المادة المصفاة .

العودة إلى الغذاء الطبيعي الذي خلقه الله لنا :

أستاذ عبد الحليم ، جزاك الله خيراً ، إذا خلا غذاء الإنسان من الألياف فلن يكون طعامه مفيداً ، يجب أن يأكل الإنسان في اليوم ثلاثين غراماً فما فوق من الألياف ، وفي مئة غرام من التمر ثمانية غرامات ونصف من الألياف ، هذه الألياف تقاوم الإمساك ، والإمساك عرضٌ لخمسين مرضاً ، وهذه الألياف تقاوم الدهون التي قد تسد الشريان التاجي ، الذي هو مرض العصر الأول ، فالتمر له فائدة كبيرة في الوقاية من هذه الأمراض ، التمر فقير جداً إلى الصوديوم ، إن مئة غرام فيها خمسة ميليغرامات من الصوديوم ، ولكنه غني بالبوتاسيوم والمغنيزيوم ، وفي المئة غرام من التمر نصف حاجة الجسم من البوتاسيوم ، وثلث حاجة الجسم من المغنيزيوم ، إذاً هو فقير إلى العنصر الذي يسبب ارتفاع ضغط الدم الذي يسبب الخثرة في الدماغ ، والجلطة في الدم ، ومع انخفاض ضغط الدم يتمتع الإنسان بصحة جيدة .

في المئة غرام من التمر واحد إلى ستة ميليغرامات من الحديد ، والإنسان في أمسّ الحاجة إلى هذا العنصر ، وله أثر كبير في الدم ، وفي بعض النشاطات الحيوية في الجسم يحتاج الإنسان إلى هذا الحديد ، وفي المئة غرام من التمر ثلث حاجة الإنسان من الفيتامين ب3 ، وهذا الفيتامين أساسي جداً في بعض المعادلات الحيوية

في الجسم ، والشيء الذي يلفت النظر أن التمر كما قلت قبل قليل : لا يقبل التلوث ، لأنه لا تعيش فيه الجراثيم، وقد ورد في الحديث الشريف في وصف التمر أنه يذهب الداء ولا داء فيه .

أنا أتمنى على الإخوة المستمعين أن يعودوا إلى الغذاء الطبيعي الذي خلقه الله لهم ، وأن نبتعد عن صرعات الإعلانات المتعلقة بالأغذية التي يمكن أن تسبب لنا شعوراً بأننا عصريون ، ولكنها تضر بأجسامنا ، ولا تقدم لنا المادة الأساسية التي نحتاجها .

المذيع :

إذاً فضيلة الدكتور حثّنا النبي عليه الصلاة والسلام على أن نتغذى من التمر ليس فقط لأن الجزيرة العربية كانت غنية بهذا النوع من الغذاء ، بل لأن له فوائد كبيرة .

صيام رمضان دورة وقائية سنوية ودورة علاجية :

الدكتور راتب :

نحن مادام الحديث عن التمر وعن الصيام ، هناك بعض الحكم من الصيام ، وكيف أن التمر له دور في هذا الشهر الكريم .

قال بعض العلماء : إن الصيام يخفف العبء عن جهاز الدوران ، والقلب ، والأوعية ، حيث تهبط نسب الدسم والحموض في الدم إلى أدنى مستوى ، الأمر الذي يقي من تصلب الشرايين ، وآلام المفاصل ، ويريح الصيام الكليتين ، وجهاز الإبراز ، حيث تقلّ نواتج استقلاب الأغذية ، ويتحرك سكر الكبد ، ويحرك معه الدهن المخزون تحت الجلد ، ويحرك معه بروتين العضلات .

إذاً صيام رمضان يعد دورة وقائية سنوية تقي من كثير من الأمراض ، ودورة علاجية أيضاً بالنسبة لبعض الأمراض ، إضافة إلى أنه يقي من أمراض الشيخوخة التي تنجم عن الإفراط في إرهاق العضوية ، وقد ورد عن رسول الله ﷺ أن :

((صوموا تصحوا))

[الطبراني عن أبي هريرة]

لكن هذا لا يعني أن الإنسان ينبغي أن يصوم من أجل الصحة ، الصيام عبادة ينبغي أن يؤدى كعبادة ، ولكن أمر الله عز وجل فيه فوائد كثيرة ، فأنت إذا أديت هذه العبادة أكرمك الله أيضاً بوقاية وعلاج لما يحتاجه الإنسان في هذا الشهر الكريم .

خاتمة و توديع :

المذيع :

إذاً أخوة الإيمان والإسلام في هذه الحلقة حدثنا فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي عن التمر ، وهو الغذاء المحبب للعربي منذ القدم ، وكان النبي عليه الصلاة والسلام قد حثنا على أن نفطر على هذا الغذاء ، و هو التمر ، فعَنْ الرَّبَابِ عَنْ عَمِّهَا سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((إِذَا أَفْطَرَ أَحَدُكُمْ فَلْيُفْطِرْ عَلَى تَمْرٍ فَإِنَّهُ بَرَكَةٌ))

[الترمذي فعَنْ الرَّبَابِ عَنْ عَمِّهَا سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ]

إذاً يكفينا أن النبي ﷺ حدثنا عن هذا الغذاء ، وذكر بأنه بركة ، وقال للسيدة عائشة :

((يَا عَائِشَةُ بَيْتٌ لَا تَمْرَ فِيهِ جِيَاعٌ أَهْلُهُ ، يَا عَائِشَةُ بَيْتٌ لَا تَمْرَ فِيهِ جِيَاعٌ أَهْلُهُ ، أَوْ جَاعَ أَهْلُهُ ، قَالَهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا))

[مسلم عن عائشة]

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

نتابع الحديث عن آيات الله في هذا الكون ، وفي القرآن الكريم ، فقد ذكر القرآن الكريم الآيات الكثيرة الدالة على عظيم خلقه ، ونتحدث مع فضيلة الدكتور عن هذه الآيات في حلقات قادمة ، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

والحمد لله رب العالمين

الحلقة 25 – 30 : الخيل – الزرافة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (21)﴾

(سورة الذاريات)

السماء ، البرزخ ، النحل ، الأرض ، ظلمات الفضاء ، الكون ، النمل ، الكواكب ، دقة الإنسان.

التفكر في الخلق والكون

التفكر في الخلق والكون ، حوارات مع الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي ، أحد علماء دمشق ، يجريها عبد الحليم قباني.

المذيع:

اللهم صلِّ ، وسلم ، وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

لقد دعانا القرآن الكريم في كثير من المواطن والمواضع إلى التفكر والتدبر في آياته ، ليصل الفكر بإمعان إلى الحقائق الكبرى ، فإعجاز ما هو إلى وسيلة لتتأكد ألوهية الله سبحانه وتعالى ووحدانيته ، ورسالة الإسلام رسالة السلام ، ونبوة محمد ﷺ ، فمن خلال الفكر نصل إلى وجدان كل شخص يتأمل في آيات الله الذي خلق هذا الكون، ونزل هذا القرآن ، وقلنا: إنه عندما نجد فيما وصل إليه الإنسان من تطور علمي وحقائق مذهلة توصل إليها العلم ، ثم نجدها مسجلة في القرآن الكريم فإن ذلك يؤنس إيمان كل فرد.

إخوة الإيمان والإسلام ، في هذه الحلقة ، ومع فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، الأستاذ المحاضر في كلية التربية في جامعة دمشق ، والخطيب والأستاذ الديني في جوامع دمشق ، نرحب به أهلاً وسهلاً.

إذاً في هذه الحلقة نتحدث عن أمر يهتم إليه العربي ، فالعلاقة قديمة بين الخيل والرجل العربي ، ولكن لابد من حكة لهذه العلاقة ، فكما ذكرتم فضيلة الدكتور في كتابكم أن الله جعل لحكمة أرادها في كل صفة مادية للإنسان حيواناً يفوقه بها ، فلننظرْ ما هي الأمور التي يفوق بها الخيل الإنسان ؟

الأستاذ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد.

قبل أن نتحدث عن الخيل التي قال عنها النبي ﷺ في الحديث الصحيح ، بل في صحيح البخاري ، من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((الْخَيْلُ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ))

[متفق عليه]

فالخيل حيوان أكرمنا الله به ، ولكن من ذلَّله لنا ؟ من جعله مذلَّلاً ؟ من جعله قريباً منا ؟ من جعلنا نألفه ونحبه ؟ إنه الله ، ففي كلمة:

﴿ وَذَلَّلْنَاهَا لَهمْ ﴾

لولا أن الله طوّع هذه الحيوانات كالخيل والإبل ، وما إلى ذلك ، والبقرة ، والخروف ، لولا أنها مذلَّلة كيف ننتفع بها .

تعلمون أن بمرض جنون البقر اضطرت بريطانيا إلى إعدام 11 مليون بقرة ، قيمتها 33 مليار جنيه إسترليني ، لأنها توحشت ، فالتذليل من نعمِ الله الكبرى.

إنك تشعر أن الخيل مصممة لهذا الإنسان ، مسخرة له ، مذلّلة له ، فحينما قال الله عز وجل:

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾

(سورة الأحزاب الآية: 72)

لأنه قَبِل حمل الأمانة كان المخلوق الأول رتبةً ، ولأنه المخلوق الأول سخِّر له:

﴿ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ﴾

(سورة الجاثية الآية: 13)

فالخيل من المخلوقات التي سخرها الله للإنسان وذلّلها ، من عجيب خصائص هذا الحيوان الذي سخره الله للإنسان تكريماً له أنه قوي السمع ، فالخيل تسمع وقْع الخُطى قبل أن ترى الذي يمشي ، وتسمع وقع حوافر خيل أخرى قبل أن تتبدى لها في الأفق ، وتنبّه صاحبها ، هذه خاصة تفوق ما عند الإنسان من خصائص ، والخيل لا تفقد قدرتها على التناسل إن تقدمت في السن ، لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((الْخَيْلُ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ))

الخيل سريعة الشفاء من جروحها.

الشاعر الجاهلي عنترة وصف فرسه فقال:

فازورّ من وقع القنا بلبــانه وشكا إلي بعبرة وتحمحمِ

لو كان يدري ما المحاورة اشكتا و لكان لو علم الكلام مكلمِ

يبدو أن هناك مشاركة وجدانية بين صاحب الخيل والخيل ، كائن له شعور أحياناً.

إذاً هي سريعة الشفاء من جروحها وأمراضها سرعة غير معقولة ، فشفاؤها أسرع من شفاء الإنسان ، وتلتئم كسور عظامها بسرعة عجيبة جداً ، ويكفي الحصان علف قليل ليقوم بجري كثير ، يضاف إلى هذه الخصائص أن جهاز الحصان التنفسي قوي جداً ، فهو ذو قصبة هوائية واسعة جداًَ ، وقفص صدري واسع جداً يعينه على استنشاق أكبر كمية من الأوكسجين ، لتعينه هذه الكمية على الجري الطويل ، لأنه مهيؤٌ ليكون أداة نقل للإنسان.

من ألطف ما قرأت أن هذا الحصان أنه يقي أمراض القلب والكليتين والكبد ، وفي بحوث حديثة جداً تؤكد أن الإدمان على ركوب السيارة يجلب للإنسان أمراض القلب والكبد والكليتين.

الحصان له قدرة عجيبة على تحمل المصاعب والمشاق ، يستطيع أن يحمل ربع وزنه ، فإذا كان وزنه 400 كغ فإنه يحمل 100 ويستطيع أن يعدو مسافات طويلة ، ولأمد طويل جداً من دون طعام ولا ماء ، ويتميز الحصان بذاكرة حادة جداً ، هذه الذاكرة تنصب على الأماكن التي يعيش فيها ، فبإمكانه إذا أصاب صاحبه مكروه أن يعيده إلى البيت بذاكرته ، بل إنه يستطيع أن يحفظ أدق الأماكن ، وأدق التفاصيل ، يعرف صوت صاحبه ، ولو لم يره ، بل إنه ليعرف صاحبه من طريقة ركوبه الفرس ، فيعرفه إما من صوته أو رائحته ، أو من طريقة ركوبه الفرس ، ويستجيب الحصان بردود فعل سريعة جداً لحركات فارسه ، وهو من أذكى الحيوانات ، ومن أشدها وفاء، والشيء الذي يأخذ بالألباب كما ذكر في بعض البحوث العلمية أن ركوب الخيل يقي من أمراض القلب وأمراض والكبد والكليتين ، وأمراض جهاز الهضم ، بخلاف الإدمان على ركوب السيارة ، فإنه يجلب أمراض القلب وأمراض الكليتين وأمراض الكبد ، لذلك صدق رسول الله ﷺ حينما قال:

((الْخَيْلُ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ))

المذيع:

إذاً ذكر النبي ﷺ الخيل ، وأن في نواصيها ، أي في مقدمة رأسها الخير إلى يوم القيامة ، وكما ذكرتم فضيلة الدكتور من بعض البحوث العلمية أن ركوب الخيل يقي من أمراض كثيرة ، كأمراض القلب وأمراض الكبد والكليتين.

الآن نريد أن نتحدث أيضاً عن حيوان آخر في هذه الحلقة ، فإن رأيناه رأيناه طويلاً جداً ، ألا وهو الزرافة.

الأستاذ:

أستاذ عبد الحليم ، حينما قال الله عز وجل:

﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾

(سورة النمل الآية: 88)

هذا يرشدنا إلى أن الإنسان أحياناً يصنع صنعة متقنة تسمى صناعيّة ، وقد يصنع صنعة أقلّ جودة تسمى تجارية ، لكن عند الله عز وجل :

﴿ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ ﴾

(سورة الملك الآية: 3)

فأيّ شيء صنعه الله عز وجل بدقة بالغةٍ بالغة ، وبحكمةٍ بالغةٍ بالغة ، إذاً معنى قول الله تعالى:

﴿ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ ﴾

لا تجد صنعة لله عز وجل في مستوى من الإتقان أقلّ من غيرها.

الزرافة: هذا الحيوان الذي يعد من أطول قاطبة ، فطول الزرافة يزيد على ستة أمتار ، أي ارتفاع طابقين من الطوابق العالية ، الطابق في بعض بلادنا ثلاثة أمتار ، أما في بلاد أخرى فمتران ، فهذه الزرافة تعلو على

طابقين من الطوابق العالية في بلادنا ، هذا الحيوان من أشد المخلوقات تيقظاً وخفة ، زودها الله بعينين جاحظتين تستطيعان أن تريا 360 درجة ، فعينها تغطي كل الجهات ، وهي واقفة رأسها كالبرج ، وعيناها تجوسان الأفق كله من كل الزوايا ، وتزن طناً واحداً ، وإذا عَدَتْ تجاوزت سرعتها 60 كم في الساعة. ذكرت لكم سابقاً أنه ما من صفة في الإنسان على الإطلاق مادية إلا وفي الحيوان صفة أعلى منها ، لكن الإنسان ميزه الله بالعقل وبالإيمان ، وبمعرفة الله عز وجل ، وبالإقبال عليه ، فإذا تخلى الإنسان ما خلق له من معرفة بالله وطاعة له فأي حيوان يفوقه في مناح الحياة.

المذيع:

فضيلة الدكتور ، ولكن لا بد من حكمة من خلق الزرافة على هذا الطول والارتفاع.

الأستاذ:

سنراها بعد قليل ، لها رغامى تعد من أطول رغامى في الكائنات التي خلقها الله عز وجل ، رغامتها تزيد على متر ونصف . أي الرقبة ؟ . القصبة الهوائية ، رأسها ضخم جداً ، هذا الموضوع أريد منه شيئاً واحداً ، هو أن هذا الرأس الضخم ، وهذه والرقبة الطويلة التي تزيد على مترين إذا أرادت أن تضع رأسها في الأرض لتأكل مما عليها ما الذي يحصل ؟ ينهمر الدم كله إلى رأسها ، فإذا تدفق الدم إلى رأسها احتقنت شرايين الدماغ ، فإذا رفعت رأسها فجأة فلابد من أن تصاب بالدوار.

الإنسان . أستاذ عبد الحليم . قد يكون نائمًا ، فإذا وقف فجأة بالمنطق ينبغي أن يصاب بالدوار ، لأن الدم بحسب الجاذبية هبط ، ولكن الشيء الذي لا يصدق أن في الإنسان خصائص ، أن هذا الدم لا يرجع إذا وقف الإنسان فجأة ، مزود بآلية معقدة جداً تحميه من هبوط الدم إذا وقف فجأة ، لكن هذه المادة التي أودعا الله في الإنسان مع تقدمه تضعف ، لذلك المتقدمون في السن لا يستطيعون أن يقفوا فجأة ، يصابون بالدوار ،هذه الزرافة لو أنها وضعت رأسها على الأرض لتأكل ما على الأرض ، وارتفعت فجأة يجب أن تصاب بالدوار ، فلذلك جهز جسمها

بآلية بالغة التعقيد تحميها من هذه الحالة التي قد يعيق حركتها ، إذا تدفق الدم إلى رأسها احتقن شرايين الدماغ ، فإذا رفعت رأسها فجأة فلابد من أن تصاب بالدوار والإغماء قطعاً ، لذلك جهزها الله بآيلة عجيبة حيرت العلماء. شرايين الرأس في الزرافة من طبيعة خاصة ، لهذه الشرايين عضلات ، إذا جاءها الدم تتسع بفعل ابنساطها حتى تستوعب جميع الدم الذي جاء إلى الرأس بفعل الجاذبية ، ولكن هذه الشرايين لها صمامات ، فحينما ترفع رأسها فجأة تغلق الصمامات كلها فتبقى هذه الكمية من الدم في رأسها ، ثم تفتح شيئاً فشيئاً ، عندها يعود الدم تدريجياً إلى بقية شرايين الجسم ، وآلية هذه الشرايين تلفت النظر ، إذا جاءها الدم كثيفاً توسعت ، واستوعبت ، فإذا رفعت الزرافة رأسها فجأة أغلقت الشرايين صماماتها محتبسة الدم فيها كي لا تصاب بالدوار والإغماء ، من جهزها بهذا الجهاز ؟ من جعل لها هذه الشرايين وهذه العضلات ؟ إنه الله ﷻ ،

﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾

(سورة النمل الآية: 88)

أستاذ عبد الحليم ، هذا ينقلنا إلى أن الإنسان حينما يكون البرد قارصاً ، ويستنشق الهواء الذي تصل درجته إلى الصفر كيف يصبح هذا الهواء في درجة 37 بعد وصوله إلى الرئتين ؟ بآلية بالغة التعقيد ، أن الأنف فيه سطوح متداخلة ، وهذا الأنف مزود بأوعية دموية تتسع في البرد ، فتأتي كمية من الدم كبيرة تسخن الهواء بين هذه السطوح ، فإذا استنشق الإنسان هذا الهواء البارد إلى أن يصل إلى مقدمة الرغامى أو القصبة الهوائية تعود حرارته لتصل إلى 37 الطبيعية ، فأيضاً هذه آلية بالغة التعقيد ، لذلك تجد الإنسان يحمر أنفه في البرد الشديد ، لأن كمية الدم تأتي كبيرة جداً ، وهذه تسهم في رفع الحرارة فيما بين السطوح التي في الأنف ، وقد زودت هذه السطوح بمادة لزجة تعلق عليها المواد التي يحملها الهواء ، ثم إنه لو تصورنا أن ذرةً من هذه الذرات نجت من أن تلتصق بالسطوح ، وسارت في هذه التجاويف تأخذها الشعيرات التي في الأنف ، فهو جهاز تصفية وتسخين رائع جداً.

كذلك الزرافة ، قد نتساءل: من زود هذه الزرافة بهذه الشرايين ، وتلك الصمامات ؟ إنه الله العليم الحكيم ، ما من مخلوق على وجه الأرض ، وما من مخلوق تحت الأرض ، وما من مخلوق إلا وخلقه الله أبدع خلق ، وصنعه أتقن صنعة ، إن قلب الزرافة يدفع في الدقيقة الواحدة 55 لتراً من الدم ، في الدقيقة الواحدة ، فأي شيء وقعت عينك عليه هو آية دالة على عظمة الله ، أي شيء تفحصته ، أي شيء درسته ، أي شيء دققت فيه إنما هو آية تدل على أنه الواحد الديان ، الواحد الأحد الفرد الصمد.

المذيع:

في حديثنا ، وفي هذه الحلقة فضيلة الدكتور نذكر الإخوة والأخوات أننا تحدثنا عن الخيل ، وذكرنا حديثاً للنبي ﷺ:

((الْخَيْلُ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ))

كما تحدثنا عن الحكمة من طول الزرافة ، وهذا الصنع الذي أتقن بقدرة الله وعظمته.

إخوة الإيمان والإسلام ، إلى حلقة قادمة من هذا البرنامج مع فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي نستودعكم الله ، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

والحمد لله رب العالمين

الحلقة 26 – 30 : دودة القز – العنكبوت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (21)﴾

(سورة الذاريات)

السماء، البرزخ، النحل، الأرض، ظلمات الفضاء، الكون، النمل، الكواكب، دقة الإنسان.

التفكر في الخلق والكون

التفكر في الخلق والكون، حوارات مع الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي أحد علماء دمشق، يجريها عبد الحليم قباني.

المذيع:

اللهم صلّ، وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها الإخوة، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

إن الزمان الذي نحيا فيه، والذي يعرف باسم زمن العلوم والتقنية قد وفّر فيه للإنسان من المعرفة بالكون ومكوناته ما لم يتحقق لجيل من البشر من قبل، لذلك النظر الآن في هذه الآية الكونية الواردة في كتاب الله عز وجل على ضوء الحقائق العلمية المتوفرة يعتبر من أوضح البراهين على هذا الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، وقد جاءت الآيات القرآنية في القرآن الكريم كلها مقام الشهادة لله سبحانه وتعالى بطلاقة القدرة وبديع الصنعة. معنا اليوم فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي في هذه الحلقات، يحدثنا عن الإعجاز العلمي في القرآن والسنة،

أهلاً وسهلاً بكم.

فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي الأستاذ المحاضر في كلية التربية في جامعة دمشق، والخطيب والأستاذ الديني في جوامع دمشق، إن أردنا أن نفكر في شيء معين، وإن أخذنا مثلاً ما نلبس من سترة لوجدنا أنها مرت بمراحل كثيرة كي تصبح على هذا الشكل، فلنتفكر في هذه الحلقة مع فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي، ومع دودة القز والحرير لنرى عجائب قدرة الله سبحانه وتعالى، وهو أول مرحلة من مراحل صنع اللباس.

الأستاذ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين. أستاذ عبد الحليم . جزاك الله خيراً . لا بد من توضيح دقيق، أن هذه الأرض فيها آيات للموقنين، إن أردت اليقين:

﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (20)﴾

(سورة الذاريات)

إن كل شيء في الأرض وفي السماء ينطق بوجود الله، وبكماله، وبوحدانيته، والصنعة تدل على الصانع، والحكمة تدل على الحكيم، والقدرة تدل على القدير، وقد قال أعرابي مرة: " البعرة تدل على البعير، والماء يدل على الغدير، والأقدام تدل على المسير، أفسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج ألا تدلان على الحكيم الخبير ؟!".

بالتأكيد أن الله سبحانه وتعالى حينما قال :

﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾

(سورة الأنعام الآية: 103)

حواسنا الخمس لا تستطيع أن تدرك، أو أن ترى الإله العظيم.

﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً﴾

(سورة الأعراف الآية: 143)

معنى ذلك أن حواسنا الخمس لا يمكن أن ترى الله عز وجل، إلا أن عقولنا التي أكرمنا الله بها يمكن من خلال الآثار أن تعرف المؤثر، من خلال النظام أن تعرف المنظِّم، من خلال الخلق أن تعرف الخالق، فنحن نملك وسائل معرفة الله عز وجل، إنها الآثار التي تدل عليه،

في كل شيء له آية تدل على أنه واحد .

هذه الدودة، دودة القز والحرير من آيات الله الدالة على عظمته، يسميها العلماء ملكة الأنسجة بلا منازع، مهما تفنن الإنسان في صنع قماش لطيف ليّن خفيف الوزن، لا يمكن أن يرقى إلى مستوى صناعة دودة القز لهذا الحرير.

الحقيقة أن خيط الحرير لعاب هذه الدودة، فإذا لامس لعاب هذه الدودة الهواء أصبح خيطاً، هذا اللعاب مطلي بمادة بروتينية، يعطيه لمعاناً لؤلئيًّا، خيط أساسه، لعاب جفّ في الهواء، مطلية بمادة بروتينية تجعله لامعاً، ودودة القز تستطيع أن تنسج ست بوصات في الدقيقة الواحدة، وطول خيطها 300 متر، كل 360 شرنقة تساوي قميصاً حريراً واحداً، كم وزن هذا القميص ؟ هذا القميص خفيف جداً لا يزيد وزنه على عشرة غرامات. إن عشر آلاف شرنقة تساوي كيلوًا واحدًا من الحرير، إذاً الحرير خيط متين أمتن من الفولاذ، فلو أمكننا أن نسحب الفولاذ بقطر خيط الحرير لكان خيط الحرير أمتن من الفولاذ، هذه حقيقة قد لا تصدق، فهو متين، وخفيف، ولامع، وهو في الأصل لعاب يجفّ إذا لامس الهواء، وهو مستمر، 360 مترًا تقريباً طول خيط دودة

القز، نعيد ونؤكد أن

﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾

ما العلاقة بين صنع الله الذي أتقن كل شيء وبين قوله:

﴿ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾

يتمتع الحرير بألوان زاهية، فهناك دود يصنع الحرير الذهبي، وهناك دود يصنع الحرير الفضي، كالؤلؤ تماماً، والحرير الذهبي بلون طبيعي لا يتأثر بالشمس، ولا يحتاج إلى تثبيت، فهو لون ثابت كالذهب، ولون ثابت كالؤلؤ.

مرة أمسكت عباءة مصنوعة من الحرير الطبيعي، لمعانها ووزنها الخفيف شيء لا يكاد يصدق، لذلك الحرير من أرقى أنواع الأنسجة، وهو من صنع هذا المخلوق الصغير الذي يسمى دود القز.

أنا ألاحظ أن الإنسان كلما أراد أن يبلغ الكمال في صنعته يقترب من صنعة الله، فالصوف الطبيعي غالٍ جداً، السبب أن خيط الصوف مفرغ، خيط الصوف الذي تصنع منه الألبسة الشتوية مفرغ في داخله، وهذا سرّ الخاصة التي يتمتع بها الصوف، أما الإنسان حتى الآن فلم يستطع أن يصنع خيطاً مفرغاً من داخله بدقة خيط الصوف، الآية الكريمة:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191)﴾

(سورة آل عمران)

أنا حينما أستخدم عبارة " متين "، فهذه عبارة فيزيائية دقيقة، المتانة صفة تقاوم قوى الشدّ، والقساوة صفة تقاوم قوى الضغط، فأنا حينما أضغط، أو أشد قوى الضغط تقابلها قوة القساوة، وقوى الشد تقابلها قوة المتانة، فالفولاذ المضفور أمتن العناصر على الإطلاق ، لذلك تصنع منه الحبال الفولاذية التي تحمل المصاعد، وتحمل التلفريك، فأمتن عنصر على وجه الأرض هو الفولاذ المضفور، إن خيط دودة القز أمتن من الفولاذ، ولكن لا يستخدم في الصناعة، بينما أقسى المواد على الإطلاق الماس، وميناء الأسنان يأتي بعد الماس في درجة القساوة، الآن لو فكرنا في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (183)﴾

(سورة الأعراف)

ما علاقة المتانة هنا مع كيد الله عز وجل، كيد الله هو تدبيره، ومعنى: } إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ {، أي إن الإنسان مهما بدا كبيراً، مهما بدا قوياً، مهما بدا متألهاً، فهو مربوط بحبل متين لا يستطيع التفلت من أمر الله، ومعنى قوله تعالى:

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا﴾

(سورة الأنفال الآية: 59)

معنى

﴿ سَبَقُوا ﴾

أن الذي كفروا بالله عز وجل لا يستطيعون أن يفعلوا شيئاً ما أراده الله، وأن الذين كفروا بالله عز وجل لا يستطيعون أن يتفلوا من منهج الله، إذاً المتانة تعني مقاومة قوى الشد، والقساوة تعني مقاومة قوى الضغط، ما دام الحديث قد وصل إلى هذا أذكر أن الاسمنت السم المكعب منه يتحمل من قوى الضغط ما يزيد عن 550 كيلو، لكن هذا السم المكعب من الاسمنت لا يتحمل من قوى الشد إلا خمسة كيلو، خمسة كيلو تكسره شداً، و550 كيلو يتحملها ضغطاً، لذلك لا بد في الإسمنت من تسليحه بالحديد.

أما الذي ذكرته قبل قليل:

﴿ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾

أي إن الإنسان في قبضة الله، قد يتوهم أنه طليق، هو ليس طليقاً، ولكنه مربوط بحبل مرخى إلى أن يحين الحين.

إذاً يمكن أن تكون هذه الدودة بخيطها الذهبي أو الؤلؤي، بخيطها المتين البراق الذي يفوق في متانته الفولاذ، وبهذا الطول المديد 300 متر، وبهذا الوزن الخفيف آية من آيات الله الدالة على عظمته.

المذيع:

حكمة أودع الله سبحانه وتعالى في خلقه، كما تحدثنا عن دودة القز، والحرير، وهذا الصنع من لعاب دودة القز، وهذا النسيج الذي يخرج منها، وهو من أجمل ما رأينا من نسيج، إن خرج ذهبياً أو لؤلئياً. حكمة أخرى ذكرها الله سبحانه وتعالى في آية كريمة تحدثت عن بيت العنكبوت، وهذا ما ذكرتم في كتابكم، فحبذا لو تحدثونا عن هذه الآية الكريمة.

الأستاذ:

إن بيت العنكبوت ذكره الله في القرآن الكريم فقال:

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (41)﴾

(سورة العنكبوت)

الوهن هو الضعف، بيت العنكبوت أوهن بيت بنص هذه الآية، فقال العلماء: " إن هي حرف مشبه بالفعل يفيد التوكيد،

﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ ﴾ اللام في قوله:

﴿ لَبَيْتُ ﴾

هي في إعراب النحاة لام المزحلقة، هي أساسها لام التوكيد، زحلقت من اسم إن إلى خبرها، إذاً هناك توكيدان في الآية:

﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ ﴾

فإن تفيد التوكيد، واللام المزحلقة تفيد التوكيد أيضاً، يقول الله عز وجل:

﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ (43)﴾

(سورة العنكبوت)

إذا ذكر الله شيئاً من خلقه فليلفت نظرنا إليه، وبعضهم قالوا: إذا أقسم الله بشيء فالنسبة إلينا، إنه عظيم بالنسبة إلينا لا بالنسبة إليه، وإذا لم يقسم فمعنى ذلك بالنسبة إليه هذا توجيه للقسم، لقوله تعالى:

﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (1)﴾

(سورة الشمس)

وفي قوله تعالى:

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (75)﴾

(سورة الواقعة)

فإذا أقسم فبالنسبة إلينا، وإذا لم يقسم فالنسبة إلى ذاته، هذا بعض توجيهات الآيتين الكريمتين، الله عز وجل هنا يؤكد مرتين بإن وباللام المزحلقة:

﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ ﴾

جاء في بعض التفاسير: أن بيت العنكبوت ضعيف، لأنه لا يغني عنها من حر ولا من قر، ولا من مطر، ولا من رياح، وهو ضعيف لتفاهته وحقارته، هكذا ورد في بعض التفاسير.

لكن أستاذاً في علم الحشرات في كلية العلوم في إحدى الجامعات العربية يقول في بعض كتبه العلمية: إن في قوله تعالى:

﴿ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً﴾

(سورة العنكبوت الآية: 41)

في هذه الآية إعجاز علمي حيث إن التي تبني البيت هي الأنثى، فجات تاء التأنيث في قوله تعالى:

﴿ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ﴾

يعني هل يستطيع واحد في عهد النبي e أن يفرق بين ذكر العنكبوت وأنثاها ؟ مستحيل، الآن ثبت أن التي تبني البيت هي الأنثى.

هناك ملمح آخر في قوله تعالى:

﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي﴾

(سورة النحل الآية: 68)

فالنحلة التي تبني بيت الشمع أيضاً أنثى، بعض العلماء استنبط، ولعل هذا قريب من الصحة، أنه في عالم الحيوان أن الأنثى هي المسيطرة، وهي التي توجّه، وأن دور الذكر محدود جداً أمام مهمات الأنثى. فلذلك حينما يتخلى الإنسان عن قوامته التي كرمه الله بها، ويعطي دفة القيادة إلى زوجته، فكأنه ابتعد عن إنسانيته التي شرفه الله بها حينما قال:

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾

(سورة النساء الآية: 34)

لكن أنا اطلعت على بحث جديد في العنكبوت هو أمتن من الفولاذ بخمسة أمثال، بل إن بعض الأنسجة التي تصنع منها القمصان التي تقوم الرصاص مصنوعة من مواد تشبه المواد التي صنعت منها خيوط العنكبوت، فهو الوهن هنا أنه لا يقيها لا من حر، ولا من برد، ولا من رياح، ومن مطر، أما خيط العنكبوت كخيط دودة القز أمتن من الفولاذ، وهذا من آيات الله الدالة على عظمته.

الأنثى في العنكبوت هي التي تغزل البيت، وهي التي ترغب الذكر في الدخول إلى البيت، حيث تقوم أمامه بحركات مغرية، وتسمعه بعض الألحان الطنانة، فيأوي إلى بيتها، وبعد التلقيح تأكله، وتفترسه، وتأكل أولادها من بعده، ويأكل بعض أولادها بعضهم الآخر، فضعف البيت هنا إضافة إلى أنه يقيها لا من حر، ولا من قر، ومن رياح، ولا من مطر، فضعف هذا البيت يتأتى من ضعف علاقاته الداخلية، وقد يجمع الضعفان في ضعف واحد.

المذيع:

الحمد لله أن الإنسان بعيد عن هذا الأمر.

الأستاذ:

هذه من آيات الله الدالة على عظمته، هذه الرحمة التي أودعها الله في الإنسان هي من الله عز وجل، بدليل أنه لم يدعها في بعض الحيوانات، يلقحها ثم تفترسه، ثم تأكل أولادها، بل إن بعض أولادها يأكل بعضهم الآخر، فالوهن هنا التمزق الداخلي، وفي هذه الآية ملمح كبير لنا، فكلما اختلفنا، وكلما تنازعنا ضعفنا، قال تعالى:

﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾

(سورة الأنفال الآية: 46)

ومعنى تفشلوا ؛ تضعفوا، نستخدمها محن خطأ في الإخفاق، الفشل هو الضعف، } وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ {، طبعاً هذا درس لنا في مواجهة أعدائنا أعداء الأمة ، لابد من التماسك الداخلي حتى نكون أقوى على مواجهة الأخطار الخارجية.

المذيع:

إذاً أيها الإخوة والأخوات، فكما شاهدنا، وسمعنا أن لكل خلق الله، أو لكل حيوان من الحيوانات التي خلقها الله سبحانه وتعالى، وكل حشرة من الحشرات هناك حكمة من وراء صنعها وخلقها، فدودة القز وهي التي تعطي الحرير، وهو الحرير المتين جداً، وصاحب هذه الألوان البهية، وبيت العنكبوت والذي ضرب مثلاً الله سبحانه وتعالى في آياته:

﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ ﴾

وذلك يدل على هذا الوهن الداخلي والخارجي.

نتابع مع الدكتور محمد راتب النابلسي هذه السلسلة من الحلقات، وإلى حلقة قادمة بإذن الله تعالى، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

والحمد لله رب العالمين

الحلقة 27 – 30 : السمكة الطبية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة :

المذيع :

﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾

[سورة الذاريات : 21]

السماء ، البرزخ ، النحل ، الأرض ، ظلمات الفضاء ، الكون ، النمل ، الكواكب، دقة الإنسان . التفكر في الخلق والكون ، التفكر في الخلق والكون حوارات مع الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي أحد علماء دمشق ، يجريها عبد الحليم قباني .

المذيع :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسولنا الكريم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم . أخوة الإيمان والإسلام ، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، الحمد لله الذي منّ علينا بنعمة الإيمان والعافية، ويسر لنا دراسة العديد من آياته ، فكانت هذه الحلقات التي خصصناها بعلوم الكون التي تطرقت إليها عشرات الآيات القرآنية قبل أن تعرف الإنسانية شيئاً يذكر عن تلك العلوم .

الرسول الكريم ﷺ لم يفسر لنا إلا آيات العقيدة والأحكام ، وبعضاً من الآيات العلمية في حقل العلوم المادية ربما – والله أعلم– التزاماً منه بقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾

[سورة القيامة : 19]

شغلني فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي الأستاذ المحاضر في كلية التربية في جامعة دمشق ، والخطيب والمدرس الديني في جوامع دمشق ، شغلني منذ فترة موضوع أن للإنسان طبيباً وأدوية تداويه من أمراضه ، ولكن من هو الطبيب للحيوانات ؟ مَن صنّفها ونوّعها كالأسماك مثلاً ؟ إلا أنني وجدت في كتابكم موضوعاً لفت نظري، تحت عنوان " السمكة الطبيبة " ، نتمنى أن تحدثنا عن هذا الموضوع .

السمكة الطبيبة :

الدكتور راتب :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين . أستاذ عبد الحليم ، اكتشاف السمكة الطبيبة له قصة ، فقد كان أحد علماء البحار يركب غواصة أبحاثٍ تحت سطح البحر ، من النافذة لفت نظره سمكة كبيرة خرجت من سربها ، واتجهت إلى سمكة صغيرة ، فتصوّر كما هي العادة أن هذه السمكة الكبيرة توجهت إلى الصغيرة لتأكلها ، ولكنه وجد أنها وقفت إلى جانبها ، وبدأت السمكة الصغيرة تأكل من حراشف الكبيرة ، سجل هذه الظاهرة ، وهنا بداية هذا البحث ، بعد عشرة أعوام تقريباً اكتشفت حقيقة رائعة ، هي أن هذه السمكة الصغيرة متخصصة في علاج أمراض الأسماك كلها ، وكأن عهداً وميثاقاً غير مكتوب بين أسماك البحر يقرر أن هذه السمكة الصغيرة المتخصصة في مداواة أمراض السمك الخارجية لا ينبغي أن تؤكل ، لذلك أجريت بحوث كثيرة ، وتتبع العلماء مواطن هذا السمك الذي أعطوه اسماً خاصاً ، هذا السمك جعل الله عز وجل غذاءه على التقرحات والإنتانات والطفيليات والفطريات التي تتوضع على حراشف الأسماك الكبيرة ، فالأسماك الكبيرة تتجه إليها لتعالجها من أمراضها ، وكأن هناك عرفاً وامتناناً ، كيف

أن سيارات الإسعاف إذا رسم على سقفها الهلال الأحمر ، معنى ذلك أن تكون هذه السيارة في مأمن من القصف الجوي ، لأنها تقوم بمهمة إنسانية ، تماماً في عالم البحار ، هذه السمكة الصغيرة جعل الله غذاءها على تقرحات الأسماك وإنتانات حراشفها والطفيليات والفطريات ، وكأن هناك عرفاً في هذه البحار أن هذه السمكة الصغيرة لا تؤكل لأنها طبيبة وتقوم بمهمة إنسانية .

إن في بعض الحالات الغريبة التي سجلت وصوِّرت أن سمكة كبيرة كانت تشكو قرحة في فمها ، فإذا بها قد فتحت فمها ودخلت هذه السمكة الممرضة الطبيبة آمنة مطمئنة لتعالجها من هذه القروح ، وفي الوقت نفسه هاجمت هذه السمكة التي تعالج ، هاجمتها سمكة أكبر منها لتأكلها ، فما كان من السمكة المعالجة ، وفي فمها سمكة طبيبة ، إلا أن تخرج هذه السمكة التي تعالجها وولّت هاربة .

﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾

[سورة طه : 49-50]

ما هذا العرف ؟ ما هذا العقد الذي بين الأسماك ؟ ما هذا الميثاق ؟ ما هذا القانون المتبع في كل أنحاء البحار ؟ إن هذه السمكة التي خلقها الله مزودة بمنقار دقيقٍ دقيق يصل إلى أدق الثنايا ، وإن جهازها الهضمي يتقبل الفطريات والتقرحات والإنتانات ، وما شاكل ذلك ، وهو غذاء لها ، وإن هذه الأسماك الكبيرة تتجه إليها حينما تشكو من تقرحات بسبب ما يحدث بين الأسماك من احتكاك ، أو من معارك أحياناً .

السمكة الطبيبة آية من آيات الله الدالة على عظمته :

أستاذ عبد الحليم – جزاك الله خيراً – الشيء الذي يلفت النظر أنه إذا كثرت هذه الأسماك أمام السمكة الصغيرة صفت بعضها وراء بعض ، وكأنها في نسق فيه نظام ، وفيه تحضر ، ليس هناك ازدحام ، ولا تزاحم ، ولا تدافع، ولا سباب ، وقفت هذه الأسماك الكبيرة وقد سجلت هذه الصورة ، بضع عشرات من الأسماك تقف وراء بعضها بعضاً تنتظر دورها في المعالجة ، وقد تستغرق المعالجة دقيقة أو أكثر ، وتنصرف إلى سبيلها .

﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾

[سورة لقمان : 11]

مليون نوع من السمك من أعلمهم جميعاً أن هذه السمكة الطبيبة لا تؤكل ، ولا يعتدى عليها ، لأنها تقوم بمهمة نبيلة ؟ من أعلمها ؟ هل هذه الأسماك عاقلة ؟ إذاً هذه آية من آيات الله الدالة على عظمته .

نحن مكلفون بأمر تكليفي أن نتعاون ، لكن الأسماك بأمر تكويني تتعاون ، الإنسان مخير هو والجنّ .

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

[سورة الذاريات : 56]

فنحن إذا كان هناك خلل في حياتنا لأن أمر اللهِ لنا أمر تكليفي ، أما بقية المخلوقات فمسيَّرون بأمر تكويني ، وهذا من عظمة المنهج الإلهي الذي بينه لنا النبي عليه الصلاة والسلام .

المذيع :

ﷺ ، فضيلة الدكتور محمد ، ما دمنا قد بدأنا في حديثنا ، وفي هذه الحلقة بالذات عن السمك ، وبدأناها بالسمكة الطبيبة ، أيضاً رأينا من المواضيع الهامة التي تكلمنا عنها ، وكتبتم فيها عن سمك السلمون ، وحركة هذا السمك.

سمك السلمون :

الدكتور راتب :

لعلنا في حلقة سابقة تحدثنا أنه حتى هذا التاريخ لم يستطع العلم أن يقدم تفسيراً لهجرة الطيور ، فهي تنتقل من شمال الأرض إلى جنوبها لمسافات تزيد على سبعة عشر ألف كيلومتر ، ولا أحد يعلم حتى الآن كيف تهتدي هذه الطيور إلى أهدافها ، كل النظريات التي وضعت تفسيراً لاهتدائها لم تؤيد إطلاقاً بالدليل القوي ، فكل هذه الفرضيات ليست كافية لتفسير حركة الطيور ، واليوم نتحدث عن سمك السلمون ، و هذا النوع يدل على عظمة الله عز وجل ، هذا السمك ، سمك السلمون له اسم آخر ، هو حوت سليمان ، هذه الأسماك حيرت العلماء ، بل عدُّوا هذا من المعجزات ، ولا تفسير لها إلا في ضوء القرآن ، لا تفسير لحركتها بين أقاصي الدنيا وبين أطرفها إلا بما قال الله عز وجل :

﴿ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾

[سورة طه : 50]

هذه الأسماك أسماك السلمون تولد في رؤوس الأنهار في أمريكا ، وأعني برؤوس الأنهار منابع الأنهار ، وتهاجر من هذه المنابع إلى مصباتها ، بعض هذه الأنهار كالأمازون كثافته في الثانية الواحدة ثلاثمئة ألف متر مكعب ، بعض هذه الأنهار طويلة جداً ، مثل المسيسبي ، بعض هذه الأنهار غزيرة جداً كالأمازون ، فهذه أسماك

السلمون تولد في رؤوس الأنهار ، أي في ينابيع الأنهار ، وتهاجر من هذه المنابع إلى مصبات الأنهار ، ومن مصباتها إلى نهاية المحيط الأصلي ، إلى شواطئ أوربا الغربية ، أي إلى سواحل فرنسا مثلاً ، ثم تعود هذه الأسماك من سواحل فرنسا إلى مصبات هذه الأنهار ، ثم إلى مكان ولادتها .

أستاذ عبد الحليم ، رُبان يحمل دكتوراه في قيادة السفن ، معه أجهزة ، ومعه وسائل ، ومعه اتصالات ، ومعه بوصلة ، ومعه كل وسائل الإرشاد ، ومع ذلك قد يضل الطريق ، هذه سمكة في أعماق البحار تتجه من فرنسا إلى الغرب إلى أمريكا ، لو أخطأت في حركتها بزاوية واحدة لكانت في نهر ، وانتقلت إلى نهر آخر ، لو أخطأت في ثلاث درجات لجاء هدفها من شمال أمريكا إلى جنوب أمريكا ، هنا الآية المعجزة ، فهذه الأسماك تعود من سواحل فرنسا مثلاً إلى مصبات هذه الأنهار ، ثم إلى مكان ولادتها ، ولا يظن أن هذا كلام ، إن في هذا بحوثاً استغرقت عشرات السنين ، وهناك مركز بحوث وضع في الأنهار ، أحصى مليوني سمكة من نوع السلمون تعود إلى مسقط رأسها كل يوم ، من أين أتت ؟ من سواحل الأطلسي من سواحل فرنسا ، تعود إلى مسقط رأسها كل يوم ولمدة شهرين ، وكان بعض العلماء قد وضع عليه قطعة معدنية فيها تاريخ هجرته ، فلما عاد عرفوا مدة الرحلة .

أما السؤال الكبير الذي يحير العقول : كيف يستطيع هذا السمك أن يرجع من المحيط الأطلسي إلى مصب النهر ومنبعه ؟ مثلاً من باب الموازنة : طير في بيروت ، في أحد أحيائها ، في بيت عربي ، له عش في سقف هذا البيت ، يتجه من بيروت إلى جنوب إفريقيا ، في طريق العودة يعود إلى البيت الذي خرج منه ، لو أخطأ في الزاوية درجة واحدة لأتى في بغداد .

السلمون هذا السمك فيه دقة بالغة جداً كالدقة البالغة التي عند الطيور ، لو أتينا بأحد علماء البحار ، وأركبناه قارباً ، وله عينان مبصرتان ، وقلنا له : اتجه ، وأنت على هذا القارب إلى مصب الأمازون ، هذا الإنسان العاقل المفكر لو كان عالماً كبيراً في علم البحار لا يستطيع أن يصل إلا بالخرائط ، والإحداثيات ، والاتصالات اللاسلكية ، وبعناء كبير ، وبأشياء كثيرة ، أما السمكة في باطن البحر وفي أعماقه ، لو أنها أخطأت في زاوية انطلاقها درجة واحدة لجاءت في نهر آخر ، لو أنها أخطأت ثلاث درجات لتغير مكان اتجاهها من أمريكا الشمالية إلى الجنوبية ، فكيف تستطيع هذه السمكة – وهي لم تؤتَ ما أوتي الإنسان – أن تعود من سواحل فرنسا إلى مصب النهر التي خرجت منه ثم تتابع سيرها في النهر نفسه ؟ وقد تصعد الشلال ، وهناك صور دقيقة أخذت لسمك السلمون وهو يصعد الشلال ليعود إلى مسقط رأسه ، فتولد وتموت هناك ، يجب أن تموت في مسقط رأسها ، قال تعالى :

﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾

[سورة طه : 49-50]

وقوله تعالى :

﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴾

[سورة الأعلى : 1-3]

هذا يذكرني بآلية بالغة التعقيد تولد مع الغلام الصغير ، سماها العلماء منعكس المص ، لا يستطيع أب في الأرض أن يعلم ابنه الذي ولد لتوه كيف يمص الحليب من ثدي أمه، طبعاً مستحيل وألف ألف مستحيل أن يستطيع أب أن يعلم ابنه كيف يلتقم ثدي أمه ، وكيف يسحب الحليب منه ، ينبغي أن يقول له لو أنه كبير وعاقل : ينبغي أن تحكم وضع شفتيك على حلمة ثدي أمك ، أن تحكم الإغلاق ، ثم أن تسحب الهواء ، فيأتي معه الحليب ، لولا أن هذا المنعكس مع كل طفل يولد لتوه لا تجد إنساناً على سطح الأرض ، هذا المنعكس آلية

بالغة التعقيد تولد مع الإنسان :

﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾

[سورة لقمان: 11]

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾

[سورة الإسراء: 70]

الوحي نوعان ؛ وحي أمر ووحي غريزة :

لذلك بعضهم قال في قوله تعالى :

﴿ أَوْحَى لَهَا ﴾

معانٍ كثيرة ، قال تعالى :

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴾

[سورة الزلزلة : 1-5]

بمعنى أمرها ، فالوحي الذي يوجه إلى المادة وحي أمر ، لكن في قوله تعالى :

﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾

[سورة النحل : 68]

النحل يقوم بأعمال بالغة الدقة والتعقيد ، وبالغة الحكمة ، من ألهمها ذلك ؟ إنه الله هذا وحي الغريزة ، وهذا موضوع حديثنا اليوم وحي الغريزة ، فهذا السمك يتحرك من سواحل فرنسا إلى مصبات الأنهار في أمريكا ، إلى رؤوس الأنهار ، بوحي الغريزة ، فالغريزة آلية معقدة جداً ، إذاً هناك وحي أمر ، ووحي غريزة ، وحينما الله عز وجل :

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى﴾

[سورة القصص : 7]

هذا وحي إلهام . وحينما قال الله عز وجل :

﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ﴾

[سورة الأنعام : 19]

فهذا من وحي جبريل ، فالوحي إذا ارتبط بمخلوق غير الإنسان يعني الغريزة التي يتمتع بها الحيوان ، وهي آليات بالغة التعقيد لا يمكن إلا أن تكون خلقاً من خلق الله عز وجل ، والحيوانات كلها تتحرك بآلية بالغة التعقيد ، إنها الغرائز ، أما الإنسان فكلف أن يتعرف إلى الله ، أعطي فكراً ، وبهذا الفكر تفوق على بقية الحيوانات .

خاتمة و توديع :

المذيع :

نشكركم طبعاً فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي في نهاية هذه الحلقة لهذا الشرح المستفيض ، والمفيد في آنٍ واحد معاً في هذه المواضيع التي كتبتموها في كتابكم ، وضمنتموها في هذا الكتاب الذي سميتموه : "الإعجاز العلمي في القرآن والسنة" .

أيها الأخوة والأخوات إلى حلقة قادمة بإذن الله مع موضوع جديد ، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

والحمد لله رب العالمين

الحلقة 28 – 30 : قرحة السرير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (21)﴾

(سورة الذاريات)

السماء، البرزخ، النحل، الأرض، ظلمات الفضاء، الكون، النمل، الكواكب، دقة الإنسان.

التفكر في الخلق والكون

التفكر في الخلق والكون، حوارات مع الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي، أحد علماء دمشق، يجريها عبد الحليم قباني.

المذيع:

الحمد لله رب العالمين، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها الإخوة، نجدد التحية، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

العلم علمان، علم مادي يخضع للتجربة، ويقع تحت سلطان الحواس، وعلم إنسان عقلي وشعوري، والباحث في آيات الله الكريمة يجد أنها تطرقت إلى مختلف فروع العلم التي عرفها، أو سيعرفها الإنسان، فهناك آيات كريمة رسمت الخطوط الرئيسية للعلوم المادية، كعلم الأجنة، الوراثة، وغيرها، فهي وجه من وجه إعجاز القرآن الكريم لم يفصلها التنزيل، لكن المولى عز وجل أمر الإنسان، وأهّله بما أودعه فيه من عقل وفكر لاستكشاف تفاصيلها.

﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4)﴾

(سورة الرحمن)

أما حقل العلوم الإنسان كعلم النفس والقانون والاجتماع والأخلاق وغير ذلك فالباحث في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة يجد تفصيل ذلك.

معنا اليوم فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي، ومع هذه السلسلة من الحلقات حول الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، أهلاً وسهلاً بكم.

الأستاذ:

أهلاً وسهلاً بكم يا سيدي.

المذيع:

لقد ذُكر في القرآن الكريم توجيهات للإنسان في حياته إلى حين وفاته، فهناك أمور دقيقة تكلم عنها الشارع الحكيم، لن أسألك فضيلة الدكتور في هذه الحلقة عن موضوع محدد، إلا أنني أتمنى أن تعطينا أمراً واحداً، أو مثالاً عن هذه التوجيهات من الله سبحانه وتعالى للإنسان فيها إعجاز في القرآن والسنة.

الأستاذ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين. الإعجاز العلمي في القرآن الكريم فيه صور كثيرة، من هذه الصور أن الله سبحانه وتعالى حينما حدثنا عن أهل الكهف، فقال في ثنيات قصتهم:

﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾

(سورة الكهف الآية: 18)

قد لا ننتبه إلى أن في هذه الكلمات الخمس إعجازاً علمياً يفوق حد الخيال، قال بعض الأطباء: إن من الأمراض الخطيرة التي يعاني منها المرضى في المشافي قرحة السرير اسم المرض قرحة السرير، فالمرضى الذين تضطرهم أمراضهم إلى البقاء طويلاً على السرير ككسر في الحوض مثلاً، وككسر في العمود الفقري، وكالشلل، وفي حالات السبات الطويلة، هذه الحالات المرضية تستوجب أن يبقى المريض مستلقياً على ظهره أياماً، بل شهوراً، إن من مضاعفات هذا الاستلقاء مرضاً خطيراً اسمه قرحة السرير، الآن لا بد من دقة في الشرح: الإنسان له وزن كلي، لكن إذا استلقى على السرير هيكله العظمي مع ما فوقه من عضلات وأنسجة لها وزن، يضغط على القسم الذي تحت الهيكل العظمي، وإذا ضغطت العضلات والنسج ما الذي يحصل ؟ الأوعية الدموية التي في هذه العضلات، والنسج تضيق لمعتها، فإذا ضاقت لمعتها قل الدم الذي يجري فيها، فالإنسان مثلاً إذا جلس على ركبتيه لمدة طويلة يشعر أن هناك خدراً في أرجله، يسميه العامة اخضرارا، أو تنميلا، هذا الخدر الذي في رجله، بسبب ضيق لمعة الأوعية الدموية التي بسبب وزنه على رجليه إذا قعد عليهما مدة طويلة، إذاً الهيكل العظمي مع ما فوقه من عضلات ونسج يتغط على ما تحت الهيكل العظمي من عضلات ونسج، فإذا بالأوعية الدموية التي في القسم السفلي تنضغط، وتضيق لمعتها، ويصاب الإنسان بما يشبه الخدر، فيأتي تنبيه إلى الدماغ.

الآن هنا الدقة، الله ﷻ لحكمة بالغةٍ بالغة جعل في كل أنحاء الجسم مراكز ضغط، هذه المراكز تتحسس الضغط، فإذا ضغط الجسم الذي تحت الهيكل العظمي أعطى إشارات إلى الدماغ، الدماغ ماذا يفعل ؟ وأنت نائم، وأنت غارق في النوم، يعطي أمراً لهذا الجسم كي يتقلب على طرفه الآخر، بهذا التقلب يستريح قسم من الضغط، ومن ضيق لمعة الأوعية وينشط جسم آخر، قال تعالى:

﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ﴾

فيما قرأت مرةً وضعوا آلة تصوير أمام إنسان نائم فصورت تقلباته في الليل، فكانت تقلباته تقترب من 38 مرة، فكل إنسان نام تقلب من جنب إلى جنب، لأن هذا التقلب يريح قسماً من عضلاته التي ضغطت بفعل وزنه وينشط قسماً آخر، لكن اللطيف في الموضوع أن الله عز وجل كما قال: } وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ {، لو قلبهم في جهة واحدة لوقعنا من على السرير، نبقى على السرير، لأن التقلب ذات اليمين وذات الشمال. الآن المرضى الذين لا بد من أن يبقوا على السرير مدةً طويلة تزيد على بضعة أشهر لا بد من تقليبهم باليد، وإلا تقرحت أجسامهم، وأنا أسمع من حين إلى آخر أن المريض إذا أهمل، وكان مستلقياً لمدة طويلة يكاد لحمه يتسلخ، ويتقرح، وقد يموت الإنسان بسبب هذا المرض.

فلولا أن الله قلب أهل الكهف، قلبهم ذات اليمين وذات الشمال لما بقوا 300 عام، إذاً هذه آية من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، لولا هذا التقليب لما بقي هذا الجسم يتلقى إمداداته من الدم بأوعية واسعة، بل لمات من مرض خطير اسمه قرحة السرير.

سمعت أن هناك أَسِرّة تهتز بشكل دائم بفعل محرك كهربائي من أجل أن تقي المريض قرحة السرير، إذاً في قوله تعالى:

﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ﴾

إعجاز علمي، لولا تقلب أهل الكهف ذات اليمين وذات الشمال لما كان لهذا الجسم أن يبقى 300 عام. أستاذ عبد الحليم، هذا الموضوع يذكرني بموضوع آخر، الإنسان نائم، غارق في النوم، غدده اللعابية تفرز اللعاب، فإذا كثر اللعاب في الفم ما الذي يحصل ؟ تذهب إشارة إلى الدماغ أن هذا اللعاب قد كثر، فيأتي أمر فيغلق القصبة الهوائية عن طريق لسان المزمار، ويفتح المريء إلى المعدة، ويبلع هذا النائم لعابه إلى معدته، ويعود الطريق مغلقاً إلى المعدة مفتوحاً إلى الرئتين، هذا كله يتم وأنت نائم، فعناية الله عز وجل تصحب الإنسان

في نومه ودون أن يشعر، بل إن هذا الموضوع يذكرني بموضوع ثالث، هو أن الله سبحانه وتعالى جعل بعض الأجهزة النبيلة الخطيرة تعمل آلياً من دون إرادة الإنسان، منها نبض القلب، لو أن نبض القلب بيد الإنسان فأيّ إنسان يستطيع أن يميت نفسه في ثانية، أو في ثوانٍ عدة، لكن هذا التنفس الذي يتم آلياً عن طريق مركز تنبه في البصلة السيسائية، يعطي الرئتين أمراً بالوجيب، هذا المركز لولا أن هناك مركزًا آليًّا فالإنسان أمام خيار صعب، إما أن ينام فيموت، وإما أن يبقى طوال الليل ساعياً لإجراء التنفس الإرادي، فهذا من نعمة الله الكبرى، أن بعض الأجهزة النبيلة والأعضاء النبيلة تتحرك آلياً، وأنت نائم، ودون أن تشعر.

المذيع:

إذاً، رأينا فضيلة الدكتور تفسير هذه الآية الكريمة: } وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ {، وما لها من إعجاز علمي في تفسيرها.

الآن ننتقل إلى سؤال آخر، وتفسير آية كريمة أخرى، التي حددت في هذه الآية رقمًا محدَّدًا:

﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً﴾

(سورة البقرة الآية: 234)

إذاً، نتمنى لو تفسرون هذه الآية الكريمة، والتي حملت أيضاً موضوعاً في كتابكم.

الأستاذ:

الحقيقة أن هذا الرقم الدقيق،

﴿ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾

هذا الرقم يتوافق مع أحدث البحوث العلمية، قد يعجب الإنسان لهذا الرقم المحدد، لمَ لمْ يقل الله مثلاً: أربعة أشهر، أو خمسة أشهر، أو ستة أشهر، أو شهرين، أو ثلاثة أشهر، قال علماء الطب: تمرّ المرأة الحامل بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة الشك، وفيها ينقطع دم الحيض، وانقطاعه علامة على حمل المرأة، ولكن هل هي علامة قاطعة ؟ الجواب لا، قد تتوقف هذه الدورة بسبب آخر غير الحمل كالضطرابات النفسية، أو الهرمونية، أو الاختلال في بنية الجهاز التناسلي عند المرأة، كل هذا يستدعي أن تنقطع الدورة الشهرية، إذاً فانقطاع الدورة الشهرية لا يعد دليلاً يقينياً على الحمل، هذه مرحلة سماها علماء الطب مرحلة الشك، تنقطع الدورة الدموية عند المرأة، وليس هناك حمل إطلاقاً، فلا يمكن أن يعد انقطاع الدورة الشهرية عند المرأة علامة يقينية على الحمل. الآن هناك مرحلة أخرى هي مرحلة الظن، حيث تأتي المرأة أعراض نفسية، كالشعور بالكآبة، وأعراض هضمية كالإقياء والغثيان، والميل إلى العزلة، هذه الأعراض الهضمية والنفسية، اصطلح الناس على تسميتها الوحمَ، حيث أغلب الظن أنها في هذه المرحلة حامل، ولكن هل تعد هذه المرحلة دليلاً قاطعاً على الحمل ؟ أيضاً الجواب لا، الأولى مرحلة الشك، أما الثانية مرحلة الظن، هناك اضطرابات نفسية، شعور بالكآبة، أعراض هضمية، إقياء، غثيان، ميل إلى العزلة، هذه الأعراض ترافق المرأة الحامل، ومع ذلك لا تعد دليلاً قطعياً على حمل المرأة، إذاً لا زالت المرأة في مرحلة ليست يقينية في الحمل، لذلك هذه الأعراض التي قد تكون في المرأة، ولا حمل معها، يسميها الأطباء أعراض الحمل الكاذب، وقد تفاجئ المرأة بأن الدورة قد جاءتها، وألغي الحمل.

المذيع:

لا بد فضيلة الدكتور من ذكر هذا الرقم بالذات من حدوث أمر معيّن في هذه اللحظة.

الأستاذ:

إجابة عن سؤالك اللطيف: في اليوم السادس والعشرين بعد المئة، أي في اليوم العاشر بعد الأشهر الأربعة التي ذكرها القرآن الكريم حينما قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾

هذا اليوم السادس والعشرين بعد المئة، أي اليوم العاشر بعد الأشهر الأربعة التي ذكرها القرآن الكريم ينبض قلب الجنين، ومع نبض قلب الجنين يتحرك، ومع الحركة تشعر المرأة بحركته تلك، إذاً عندها تدخل المرأة مرحلة ثالثة هي مرحلة اليقين، فحركة الطفل في أحشاء أمه دليل قطعي على الحمل، لذلك قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾

هذه الحقائق الطبية تنطبق مع القرآن الكريم انطباقاً تاماً وعفوياً وعجيباً، ففي اليوم السادس والعشرين بعد المئة ينبض قلب الجنين، ومع نبض قلب الجنين يتحرك، ومع حركة الجنين تشعر المرأة يقيناً بالحمل، وهذه المرحلة الثالثة سماها العلماء مرحلة اليقين.

المذيع:

فضيلة الدكتور، ما دمنا نتحدث في نفس الموضوع، وهو مرحلة الحمل، وذكرنا في الآية الكريمة:

﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾

هنا التي يتوفى زوجها تتربص في بيتها هذه الفترة، ولكن إن أردنا أن نعطي الفترة لبراءة الرحم، فما هي الفترة، هل ذكرها القرآن الكريم في الكتاب ؟

الأستاذ:

نعم، لقد قال عز وجل:

﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾

(سورة البقرة الآية: 228)

قد يعجب الإنسان، ألا يكفي دورة واحدة لتأكد براءة الرحم من الحمل !؟ في القرآن الكريم يقول الله عز وجل:

﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾

أستاذ عبد الحليم، من المسلَّم به أنه لا حمل مع الحيض، ولا حيض مع الحمل، فلماذا أمر الله النساء أي يتربصن ثلاثة قروء، أفما كان يكفيهن قرء واحد تحيض فيهن ؟ فإذا هي ليست بحامل ؟ الجواب العلمي: قيل: لا، لا يعد وجود الحيض وانقطاع الدم لمرة واحدة دليلاً على عدم وجود الحمل، فإن هناك حالات نادرة تحيض فيها المرأة في بداية الحمل مرةً أو مرتين، أو ثلاثاً، لأسباب كثيرة، فجات الآية الكريمة لتعطي براءة الرحم على نحو قطعي، لا لُبس فيه، لذلك قال تعالى:

﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾

الحقيقة أن ملخص هذا الكلام أن الذي خلق الأكوان هو الذي أنزل هذا القرآن، وأن الذي خلق الأرحام هو الذي أنزل هذا القرآن، وأن مواءمة عجيبة وتوافقاً مذهلاً بين آيات القرآن الكريم وقوانين الكون، وهذا يؤكد أن هذا القرآن كلام الله، وهذا يؤكد أيضاً أن الله سبحانه وتعالى هو الذي خلقنا، وهو الذي أنزل على نبيه الكريم هذا الكتاب العظيم الذي هو منهج لنا، وهذا هو محور الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة من أجل أن نعلم أن النبي

عليه الصلاة والسلام جاء بمعجزة مستمرةٍ، لأنه آخر الأنبياء وخاتم الرسل، وأن معجزته ليست حسية كباقي الأنبياء، بل هي معجزة عقلية علمية مستمرة إلى يوم القيامة.

المذيع:

إذاً في نهاية هذه الحلقة محمد راتب النابلسي، نتذكر بأن القرآن الكريم دعانا، وحثنا على التفكر والتأمل في آياته، وفي هذه الحلقة بالذات تأملنا في عدة آيات في كتاب الله عز وجل.

إخوة الإيمان والإسلام، إلى حلقة قادمة بإذن الله تعالى، ومع هذا التفكر والتأمل في آيات الله سبحانه وتعالى نستودعكم الله، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

والحمد لله رب العالمين

الحلقة 29 – 30 : الطب في الإسلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة :

المذيع:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسولنا الكريم .

إخوة الإيمان والإسلام ؛ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، لقد عالج كثير من العلماء عدداً من جوانب الإعجاز القرآني ، لكن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم لم تتضح لنا جوانبه الكثيرة كما اتضحت في زمن التقدم العلمي والتقني الذي نعيشه في هذه الأيام ، فأصبح أسلوباً فريداً في الدعوة إلى دين الله ، في زمن فتح الله على الإنسان في العديد من أبواب العلم بالكون ومكوناته ، وفتن الناس فيه بالعلوم الكونية ومعطياتها فتنةً كبيرة .

إخوة الإيمان والإسلام ؛ نستمر مع هذه الحلقات ، ومع فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، الأستاذ المدرس في جامعة دمشق وبكلية أصول الدين ، والمدرس الديني في مساجد دمشق ، أهلاً وسهلاً بكم .

الأستاذ :

أهلاً وسهلاً بكم سيدي .

المذيع :

فضيلة الدكتور ، نتحدث في هذه الحلقة عن الطب في الإسلام ، لقد سمعنا الكثير عن ابن النفيس ، وابن سينا ، والرازي كأطباء ، ولكن هل كان هناك من يقوم مقام الطب في صدر الإسلام ، وكيف كان ذلك ؟

الطب في الإسلام :

الأستاذ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، و على آله و صحبه أجمعين ، حينما قال الله عز وجل :

﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾

[سورة الشعراء : 78-80]

هناك ملمح لطيف في هذه الآيات .

أولاً :

﴿ الَّذِي خَلَقَنِي ﴾

فَنَسَبَ الخلق إلى الله عز وجل .

ثانياً :

﴿ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴾

نسب الإطعام والسقيا إلى الله عز وجل .

ثالثاً :

﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾

نسب المرض إلى الإنسان ، لأن أصل المرض خروج عن منهج الله عز وجل ، وكأن الإنسان مصمم ألا يمرض، فإذا خالف منهج الله في طريقة حياته ، وفي طعامه وشرابه ، وفي وضعه النفسي ربما كانت هذه المخالفات في مجموعها تسوق الإنسان إلى خلل في صحته .

الصحة الجسدية : المؤمن القوي .

فالإنسان دين الفطرة ، يحرص في تعاليمه على صحة الجسد ، وطهر النفس ، ويوازن بين المادة والروح ، وبين الحاجات والقيم ، ويهدف إلى إصلاح الدنيا وإصلاح الآخرة ، وأن الأُولى مطية الثانية ، إن صحة الجسد مرتكز لسلامة النفس وسموها ، ومنطلق لصحة العقل ، وتفوقه فالله سبحانه وتعالى جعل صحة الجسد وقوته ورجاحة العقل واستنارته علة الاصطفاء ، فقال تعالى :

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾

[سورة البقرة : 247]

في قصة سيدنا موسى مع سيدنا شعيب قال تعالى :

﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾

[سورة القصص : 26]وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ ، وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ ، وَلَا تَعْجَزْ ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ : لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا ، وَلَكِنْ قُلْ : قَدَرُ اللَّهِ ، وَمَا شَاءَ فَعَلَ ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ))

[مسلم ، ابن ماجه ، أحمد]

المذيع :

ولكن هناك البعض من يفسر هذا الحديث النبوي الشريف على أن الله هو الذي خلق هذا القوي ، فلماذا يميز الله القوي عن الضعيف ؟

الأستاذ :

نحن نفرق بين قوة مكتسبة ، وبين قوة من قضاء الله وقدره ، وبين ضعف مكتسب و ضعف من قضاء الله وقدره .

الغنى قوة ، والعلم قوة ، وأن تكون في مركز دقيق قوة ، فهذه الأشياء قد تكتسب بالسعي والجد ، وقد لا تكتسب ، فإذا تحدثنا عن فضل المؤمن القوي على المؤمن الضعيف فالمقصود بالقوة التي هي من كسب المؤمن ، لكن هناك ملمح دقيق جداً ، هو أن طريق القوة إذا كان سالكاً وفق منهج الله يجب أن تكون قوياً ، لأن القوي أمامه خيارات في العمل الصالح لا تعد ولا تحصى، وبأن العمل الصالح هو قوام الحياة الدنيا ، بل هو ثمن الآخرة ، أما إذا كان طريق القوة محفوفاً بالمعاصي والآثام ، والكذب والنفاق ، والشرك فمرحباً بالضعف ، فهو وسام شرف في صدر الإنسان ، أضيف

على ذلك إذا كان طريق الغنى سالكاً وفق منهج الله يجب أن تكون غنياً ، لأن خيارات الغني في العمل الصالح لا تعد ولا تحصى ، أما إذا كان طريق الغنى محفوفاً بالمعاصي والآثام ، والنفاق والكذب ، والدجل فمرحباً بالفقر، فهو وسام شرف في صدر الإنسان .

الطب الطبيعي :

الطبّ . أستاذ عبد الحليم . أنواع عديدة ، منه الطب الطبيعي ، فشخصية المسلم مرتكزة على العطاء لا على الأخذ ، مرتكزة على بذل الجهد لا على استهلاك جهد الآخرين ، مرتكزة على العمل لا على الأمل ، على الإيثار لا على الأثرة ، على التضحية لا على الحرص ، على إنكار الذات لا على تأكيدها ، إن بذل الجهد في حد ذاته صحة ، وأية صحة .

في بعض المؤتمرات الطبية التي عقدت في البحث في أمراض القلب اتفق المؤتمرون على أن صحة القلب في بذل الجهد وراحة النفس ، وأن طبيعة العصر الحديث تقتضي الكسل العضلي ، والتوتر النفسي ، والكسل العضلي وراء تفاقم أمراض القلب في معظم البلاد المتقدمة تقدماً مادياً ، النبي عليه الصلاة والسلام في معركة بدر كان معه رواحل قليلة ، وأصحابه أكثر من ثلاثمئة رجل ، فأعطى توجيهاً وقال :

((وَأَنَا وَعَلِيٌّ وَأَبُو لُبَابَةَ عَلَى رَاحِلَةٍ ، فَكَانَ أَبُو لُبَابَةَ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ زَمِيلَيْ رَسُولِ اللهِ e ، فَكَانَتْ نَوْبَةُ رَسُولِ اللهِ e . دورُه في السَّيْرِ . فقالا له : نَحْنُ نَمْشِي عَنْكَ . ليظلَّ راكباً . فقال : مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى مِنِّي عَلَى السَّيْرِ ، وَلاَ أَنَا بِأَغْنَى مِنْكُمَا عَنِ الأَجْرِ))

[النسائي وأحمد عن ابن مسعود]

رسول الله e ، قائد الجيش زعيم الأمة قال قولة تكتب بماء الذهب :

((مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى مِنِّي عَلَى السَّيْرِ ، وَلاَ أَنَا بِأَغْنَى مِنْكُمَا عَنِ الأَجْرِ))

أنا أقول : بذل الجهد في حد ذاته صحة للجسم ، كان e مع أصحابه في سفر ، أرادوا أن يعالجوا شاةً، فقال أحدهم : عليّ ذبحها ، وقال الثاني : عليّ سلخها ، وقال الثالث : عليّ طبخها ، فقال عليه الصلاة والسلام: وعليّ جمع الحطب ، فقالوا : يا رسول الله ، نكفيك ذلك ؟ قال : أعلم أنكم تكفونني ، ولكن الله يكره أن يرى عبده متميزاً على أقرانه .

لمجرد أن تبذل جهداً يؤكد إنسانيتك وتواضعك وإحساسك أنك كغيرك من الناس ، لست مستعلياً عليهم ، ولا متغطرساً عليهم ، هذا في حد ذاته صحة وأدب وأخلاق ، فبذل الجهد هو الطب الطبيعي ، أكثر أمراض القلب في هذه الأيام بسبب الكسل العضلي ، وعدم بذل الجهد ، والتوتر النفسي ، وصحة آبائنا وسلفنا الصالح بسبب أن عندهم جهداً عضلياً كبيراً هو أحد أسباب صحتهم ، وعندهم راحة نفسية عالية أساسها التوحيد .

المذيع :

فضيلة الدكتور راتب ، بما أنك ذكرت لنا المرض النفسي في حديثك ، هل ذكر الطب النفسي في القرآن الكريم ، أو السنة الشريفة ؟

الطب النفسي :

الأستاذ :

نعم ، الطب النفسي أساسه التوحيد ، والأمراض النفسية أساسها الشرك ، أنت حينما توقن يقيناً قاطعاً أن أمرك كله بيد الله ، وأن الله يعلم ، ويرى ، ويسمع ، وأنه على كل شيء قدير ، وأن كل ما في الكون بيده ، وأنه عادل ، وأنه رحيم ، وأنه غني ، وأنه قدير ، وأنه يستجيب لك إذا دعوته ، وأنه يسمع نداءك ، هذه المعاني التوحيدية في حد ذاتها صحة نفسية ، بينما إذا توهمت أن هذا الإنسان لا يحبك ، ويتمنى أن يقضي عليك ، وهو أقوى منك ، فهذه المشاعر وحدها تسبب أمراضًا نفسية ، وأمراضًا في الجسد لا يعلمها إلا الله ، الطب النفسي يمكن أن نقول عنه : إن هناك أمراضًا كثيرة ، بعضها عضال ، وبعضها مميت ، كأمراض القلب والشرايين ، وأمراض جهاز الهضم والكليتين ، والأمراض النفسية والعصبية إنما ترجع أسبابها الرئيسة إلى أزمات نفسية يعاني منها إنسان الشرك في هذا العصر ، قال تعالى :

﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴾

[سورة آل عمران : 151]

فتوقع المصيبة مصيبة أكبر منها ، وأنت من خوف الفقر في فقر ، وأنت من خوف المرض في مرض ، قال تعالى :

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً * إِلَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ * وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ * وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾

[سورة المعارج : 19-26]

بعض الأطباء يرى أن ضغط الدم في حقيقته هو ضغط الهم ، لذلك قال تعالى :

﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴾

[سورة الشعراء : 213]

الطب النفسي يرتكز على التوحيد والأمراض النفسية أساسها الشرك ، قال تعالى :

﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴾

[سورة الشعراء : 213]

لأن المؤمن يرى أن كل شيء بقضاء من الله وقدر ، قال تعالى :

﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾

[سورة التوبة : 51]

هذه المعاني التوحيدية تهب الإنسان صحة نفسية ، والصحة النفسية أساس صحة الجسد ، فالتوحيد صحة ، والشرك مرض ، وما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد ، والإيمان بالقدر يذهب الهم والحزن ، هذا هو الطب النفسي ، أن تكون مع الله ، وإذا كنت مع الله كان الله معك ، وإذا كان الله معك كان معك كل شيء ، وإذا كان

عليك فمن معك ؟ ويا رب ، ماذا فقد من وجدك ، وماذا وجد من فقدك ؟ هذه المعنويات العالية للمؤمن تحقق له هذه الصحة النفسية التي هي صحة للجسد .

أنا أعتقد أنه كلما تقدم العلم كشف أن معظم الأمراض ترجع في أسبابها الحقيقية إلى شدة نفسية ، ثم إنني أرى أن هذه الشدة النفسية أساسها ضعف الإيمان بالله ، وأساسها ضعف التوحيد ، وأساسها حُجُب كثيفة بين العبد وربه بسبب المعاصي والآثام التي يرتكبها .

المذيع :

فضيلة الدكتور ، ما دمنا تحدثنا عن الطب النفسي في الإسلام ، والطب الطبيعي ، ولكن هناك طب حديث نوعاً ما ، لا أعلم إن كان تحدث عنه الإسلام ، فهناك الطب الوقائي ، مثلاً ، أن يزيل أسباب المرض قبل وقوع المرض .

الطب الوقائي :

الأستاذ :

النظافة، قال تعالى :

حدثني صديق أنه كان في ألمانيا ، فرأى مستشفى من أضخم المستشفيات كُتِب عليها باللغة الألمانية هذه العبارة : " نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، وإذا أكلنا لا نشبع " ، تحت هذه العبارة كتب : " محمد بن عبد الله " ، وعدّ هذا الحديث أصلاً في الطب الوقائي ، ودرهم وقاية خير من قنطار علاج ، ليس من السهل أن

تعالج مرضاً ، لكن من السهل جداً أن تتقيه ، وهذه حقيقة مهمة جداً في الطب الوقائي ، النظافة ، قال تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾

[سورة البقرة : 222]

من الطب الوقائي الوضوء والصلاة ، انتهى إلى علمي أن علماء كبار في السويد ، هذا البلد المتفوق في التمارين الرياضية ، أن علماء كبار في هذا الاختصاص أرادوا أن يضعوا برنامجاً رياضياً يقوم به كل الناس كل يوم ، ذكوراً وإناثاً ، صغاراً وكباراً ، دون أن يرهق قلوبهم ، ودون أن يعطل أعمالهم ، فنظموا تمرينات لو اطلعت عليها لوجدتها قريبة من الصلاة ، تمارين تؤدى كل يوم خمس مرات ، لا ترهق الجسم ، ولا تتعبه ، وتلين العضلات .

من الطب الوقائي أن يكون الإنسان نظيفاً ، ومن الطب الوقائي أن يقوم ويتوضأ ويصلي .

هناك أمراض كثيرة مثلاً تصيب النساء ، من هذه الأمراض انقلاب الرحم ، هذا المرض قلما يوجد في العالم الإسلامي ، لأن علاج هذا المرض حركات تشبه الصلاة تماماً ، أمراض القذارة ، ثلاثمئة مليون إنسان في الأرض مصاب بأمراض القذارة ، هذه الأمراض معظمها ليست موجودة في العالم الإسلامي بسبب الوضوء ، والمبالغة في التطهير ، وهناك أمراض كأمراض الغرغرين الموات تصيب أناساً كثيرين ، لكن لأن المسلم مكلف أن يتوضأ كل يوم خمس مرات ، وأن يخلل بين أصابعه ، هذا من أجل تنشيط الدورة الدموية، فالدم حينما لا يصل إلى أطراف الأصابع ، هذه الأطراف تسود ، وتتماوت ، ثم تقطع ، الحقيقة أن هناك أمراضًا

كثيرة جداً بسبب مخالفة منهج الله عز وجل .

مثلاً : أنت حينما تسجد ما الذي يحصل ؟ ينطلق الدم على الرأس بالسجود ، فتحتقن الأوعية ، فحينما ترفع ينخفض ضغط الدم حينما تسجد يرتفع ضغط الدم ، ومن هذا الارتفاع والانخفاض المتتالي ينشأ ما يسمى مرونة الأوعية في الدماغ ، هذه المرونة تحتمل ضغطاً مرتفعاً ، لو فرضاً إنسان يصلي ، وارتفع ضغطه إلى رقم كبير جداً الأوعية الدموية في الدماغ المصلي تتحمل ضغطاً مرتفعاً ، بينما الأوعية الدموية في دماغ من لا يصلي لا تحتمل الضغط المرتفع ، الحقيقة أن أداء الصلوات الخمس وتطبيق تعليمات النبي عليه الصلاة والسلام هو في حد ذاته طب وقائي .

المذيع :

أتينا هنا لتعاطي الدواء ، وهو الطب العلاجي ، هل ورد شيء من ذلك حثنا النبي عليه الصلاة والسلام ، أو الله عز وجل في كتابه الكريم ؟

الطب العلاجي :

الأستاذ :

إذا قال النبي عليه الصلاة والسلام ، الذي لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى ، إذا قال :

((تداووا))

وهذا أمر وكل أمر في القرآن والسنة يقتضي الوجوب .

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((تَدَاوَوْا عِبَادَ اللهِ ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُنَزِّلْ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ مَعَهُ شِفَاءً))

[أحمد ، الترمذي ، أبو داود ، ابن ماجه]

أستاذ عبد الحليم ، هذا الحديث يمكن أن تُكتَب عنه كتب ، لو سمع مريض هذا الحديث بماذا يشعر ؟ أنه ما من داء إلا له دواء ، ترتفع معنوياته ، وإذا ارتفعت معنويات المريض استطاع أن يقوى على عوامل المرض .

حدثني صديق ذهب إلى بريطانيا ليجري عملية في قلبه ، قبل العملية بيوم دخلت ممرضة على مستوى رفيع جداً ، تنسق أزهار الغرفة ، ولم تلتفت إليه ، قالت له : من طبيبك ؟ قال : فلان ، قال : لا غير معقول ، كيف أخذت موعداً منه ؟ قال : أنا أخذت موعدًا قبل أن آتي إلى بريطانيا ، حدثته عن هذا الطبيب ، وعن عملياته الناجحة ، وعن أنه أجرى عشرة آلاف عملية ، كلها كانت ناجحة ، فلما انتهت العملية ، ودفع ما عليه ، وجد مبلغاً ضخماً لرفع معنوياته ، هو ما فعلته هذه الممرضة ، فهناك حقيقة في الطب أن الإنسان إذا ارتفعت معنوياته يقوى على عوامل المرض ، فالنبي الكريم قال :

((... فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُنَزِّلْ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ مَعَهُ شِفَاءً))

هذا الحديث يرفع معنويات المريض إلا مرض الموت ، هو بوابة الخروج ، لابد من مرض لا يشفى ، هو بوابة الخروج ، وإذا سمع الحديث طبيباً بماذا يشعر ؟ إنه مقصر ، ما دام النبي عليه الصلاة والسلام ، وهو مبعوث العناية الإلهية يؤكد أن كل مرض له دواء ، فهذا يدعوه إلى المسارعة ، فإن التداوي ، وأخذ الدواء من الدين .

عَنْ جَابِرٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ :

((لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ))

[مسلم ، أحمد]

هناك حقيقة ينبغي أن تكون واضحة في هذا الحديث ، أن الله جعل لكل داء دواء ، لكن مهمة الطبيب أن يحسن تشخيص الداء ، ووصف الدواء ، لكن لو أن الطبيب نجح في تشخيص الداء ، ووصف الدواء ، الدواء لا يكون فاعلاً إلا إذا سمح الله له ، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله ، إذاً نحتاج نحن إلى أخذ بالأسباب ، ثم التوكل على رب الأرباب .

المذيع :

إذاً فضيلة الدكتور ، نشكرك لهذا الإيضاح عن الطب في الإسلام بشتى أنواعه ، إن كان طبيعياً ، أو وقائياً ، أو نفسياً ، فقد كلمنا الله سبحانه وتعالى ، وكلمنا النبي عليه الصلاة والسلام ، وحثنا على التداوي ، وليس التواكل في هذا الأمر ، يتوكل الإنسان على الله ، ولكن يسعى للحصول على الدواء .

الأستاذ :

أحب أن أضيف أن هناك حديثًا شريفًا دقيقًا جداً ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((مَنْ تَطَبَّبَ ، وَلَمْ يُعْلَمْ مِنْهُ طِبٌّ قَبْلَ ذَلِكَ فَهُوَ ضَامِنٌ))

[النسائي ، أبو داود ، ابن ماجه]

كيف أن الدول الراقية جداً يحاسب الطبيب عن كل أخطائه ، وقد يدفع كل ثروته ، لأنه أعطب عضواً في مريض عنده ، كذلك يقول عليه الصلاة والسلام :

((مَنْ تَطَبَّبَ ، وَلَمْ يُعْلَمْ مِنْهُ طِبٌّ قَبْلَ ذَلِكَ فَهُوَ ضَامِنٌ))

أي يدفع تعويضاً لهذا المريض الذي أتلف بعض أعضائه .

خاتمة و توديع :

المذيع :

إذاً أيها الإخوة والأخوات ، نقتدي بسنة النبي عليه الصلاة والسلام :

((تَدَاوَوْا عِبَادَ اللَّهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُنَزِّلْ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ مَعَهُ شِفَاءً))

صدق رسولنا الكريم ﷺ .

إخوة الإيمان والإسلام ؛ إلى حلقة قادمة بإذن الله تعالى ، ومع فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والحمد لله رب العالمين

الحلقة 30 – 30 : العظام

بسم الله الرحمن الرحيم

المذيع:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسولنا الكريم.

إخوة الإيمان والإسلام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، القرآن الكريم كتاب أنزل على النبي محمد ﷺ، احتواءه على علوم بحاجة إلى التفكر والنظر، لا ندعي بذلك أن القرآن الكريم تضمن العلوم الكونية وتفصيلاتها الدقيقة، وإنما هي مجرد إشارات بالواقع لعدد من الحقائق الكونية، المقصود منها هو التأكيد على أن الحقائق العلمية المشار إليها في القرآن الكريم يؤدي فهمها إلى تعميق الإيمان بالله وقدرته، وليس معنى ذلك بحال من الأحوال أننا نمضي إلى ما يتوهمه، أو يتخوفه البعض من تفسير القرآن الكريم كله تفسيراً علمياً، إنما تفسيره في ضوء الإعجاز العلمي للقرآن والسنة.

مع هذه الحلقة الأخيرة، ومع فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي، الأستاذ المحاضر في كلية التربية في جامعة دمشق، والخطيب والمدرس الديني في جوامع دمشق، نرحب به أهلاً وسهلاً بك.

الأستاذ:

أهلاً وسهلاً بكم يا سيدي.

المذيع:

أيها الإخوة، ذكر القرآن الكريم تكوين الجسد، وذكر العظام في مواضع مختلفة، إلا أن الدكتور محمد يفسر لنا في كتابه قول الله عز وجل:

﴿وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً﴾

[سورة البقرة: 259]

نحتاج طبعاً فضيلة الدكتور كي توجهنا، وتفسر لنا هذه الآية الكريمة.

الأستاذ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين. إن من آيات الله الدالة على عظمته هذا الهيكل العظمي الذي هو قوام جسمنا، إنه نسيج متين، يقاوم قوى الشد، ونسيج قاس يقاوم قوى الضغط، متين وقاس، هذا النسيج المتين القاسي أحد وظائفه الكبرى أن يحمي الأجهزة النبيلة، فالدماغ من أنبل هذه الأجهزة، موضوع في كرة عظمية هي الجمجمة، والنخاع الشوكي أيضاً حبل نبيل جداً، موضوع في العمود الفقري، والقلب أخطر هذه الأجهزة، موضوع في القفص الصدري، والرحم موضوع في عظم الحوض، ومعامل كريات الدم الحمراء موضوعة في داخل العظام، ولولا الجهاز العظمي لكان الإنسان كومة من الجلد واللحم لا شكل لها، هذا الجهاز مؤلف من مئتي قطعة، بنيتها قاسية، ومحكمة من الخارج، ومسامية، إسفنجية من الداخل، لو أن بنيتها من الداخل كانت كبنيتها في الخارج لكان وزن أحدنا أربعة أمثال وزنه الطبيعي، لو أن وزن الإنسان سبعين كيلو غراماً يصبح مئتين وأربعين كيلو غرامًا، إذا كانت العظام بنيتها من الداخل كبنيتها من الخارج، من الخارج متينة ثقيلة من الداخل إسفنجية.

يقول العلماء: في بنية العظم يتحقق حد أقصى من النتائج بحد أدنى من اللوازم، فهناك توازن رائع بين البنية المقاومة والوزن الخفيف، الطائرة التي نركبها تزن مئة وخمسين طناً، ووقودها يزن مئة وخمسين طناً، يكفيها أربع عشرة ساعة للطيران، لو أنها صنعت من ثلاثمئة طن من الحديد لاحتاجت إلى ثلاثمئة طن من الوقود، لو كان وزننا أربعة أمثال ما نحن عليه فهناك مشكلات جمالية، وهناك هدر للطاقة بلا مسوغ، أغرب ما في هذا الجهاز أن هناك هدماً وبناءً مستمرين، حقيقة مذهلة، حيث إن الإنسان يتجدد هيكله العظمي خمس مرات في عمر متوسط، كل ست أو سبع سنوات لك هيكل عظمي جديد كلياً، بفعل عملية الهدم والبناء، إن الهدم والبناء مستمر، إذاً يعين على التئام الكسور، وظيفة البناء الأولى أنه يعين على التئام الكسور، فإذا كسر عظم الإنسان، وليس هناك هدم ولا بناء أصبح هذا العظم مكسوراً حتى الموت، وهذه من نعم الله الكبرى، والهدم والبناء المستمر يجعل العظم مخزناً للكلس، بمعنى أن الجنين قد يحتاج إلى مادة الكلس يأخذها من عظم أمه، لأن عظم أمه فضلاً عن أنه هيكل وظيفته أن يكون قوام الإنسان معتمداً على هذا الهيكل فهو مخزن للكلس.

المذيع:

فضيلة الدكتور، ما هو الذي ينظم نمو العظم ؟ وكيف يمكن إيقاف هذا التنظيم عند حد معين ؟

الأستاذ:

تصور لو أن هذا العظم ينمو عشوائياً لتعملق الإنسان ؟ من أسماء الله عز وجل الباسط القابض، هناك هرمونات تنظم نمو العظام ؟ وتنظم إيقافه عند حد معين ؟ شيء لا يصدق ؟ أن هذا العظم ينمو، من الذي أمر هذه الخلايا أن تقف عند حد معين ؟

عملاقاً، هناك حالات نادرة جداً حكمة وجودها أن تعرف قيمة القاعدة الأساسية، فهناك إنسان مقزم، طوله خمسة وخمسون سنتمتراً، وهناك إنسان عملاق طوله مئتان وأربعون سنتمترًا، فالعملقة والتقزم لها علاقة بهرمون النمو،

وهذا شيء دقيق.

شيء آخر، هو أن التعظم أي تحول الغضروف إلى عظم يبدأ من الحياة الجنينية، ويستمر بعد الولادة إلى سن اكتمال النمو الطولي، من سبعة عشر عاماً إلى الواحد والعشرين، كيف أن هناك نسيجًا غضروفيًّا مع الزمن يصبح نسيجاً عظمياً، الغضروف ألين، لكن تبقى غضاريف بين العظام، كيف أننا نضع قطعًا من الكوتشوك بين قطعتين صلبتين تفادياً للاحتكاك، كذلك الغضروف له مهمة كبيرة، إنْ في العمود الفقري، وإنْ في المفاصل، فالغلاف الغضروفي يسهل الحركة، ويمتص الصدمات، ويعين على ليونة الاحتكاك.

شيء آخر، هناك عند المفاصل سائل لزج ينزلق عليه سطح لزج من أجل سهولة حركة المفاصل، هذا السائل يتجدد تلقائياً من حين إلى آخر، نحن نعلم في السيارات أنه لابد من إضافة الزيت، لكن الإنسان خَلقه في كمال مطلق، هناك زيت يكون بين المفاصل يتجدد تلقائياً من دون أن تضيف الزيت، ومن دون ساعة زيت، ومن دون خطر احتكاك العظام مع بعضها، هذه بعض الآيات الدالة على عظمة الله عز وجل، لكنكم كما تفضلتم في بداية اللقاء وذكرتم هذه الآية:

وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً﴾

[سورة البقرة: 259]

العلماء قالوا: العظام في مجملها مركبة من مادة أساسية هي الكالسيوم، ولكن توزيع هذه المادة مع متمماتها على شكل آخر، فخمسة وثمانون بالمئة من العظام كالسيوم وفوسفات، وعشرة بالمئة كالسيوم الكربونات، وثلاثة بالألف كالسيوم الكلوريد، واثنان بالألف كالسيوم الفلوريد، وواحد بالمئة فوسفات المغنزيوم، هذه نسب الكالسيوم مع المتممات التي في العظام، وتسعة وتسعون بالمئة من الكالسيوم متوضع في العظام، ولكن امتصاص الكالسيوم من الأمعاء هنا الدقة، هذا الهيكل العظمي المتين . أستاذ عبد الحليم . عظم عنق الفخذ يتحمل ضغط

مئتين وخمسين كيلوًا، فالإنسان الشديد القوي المتين يتحمل نصف طن، وطبعاً عنق الفخذ هو عظم من أطول عظام الإنسان، لكن من أجل جمال الإنسان جعل وسطه متوسعاً بفضل عنق الفخذ، فكل حمل الإنسان يقع على هذه المنطقة هذا العظم من المتانة حيث يتحمل مئتين وخمسين كيلوًا، ما هذه المتانة ؟ وما هذه القوة في العظام؟ والعظم هو كلس يؤخذ من الحليب، فكيف تحول هذه أملاح الكالسيوم التي أودعها الله في الحليب، وفي مشتقات الألبان، وفي بعض الفواكه ؟ كيف نقلت هذه المادة فأصبحت بناءً متيناً للإنسان ؟ هنا ملاحظة لطيفة جداً، إن توضع الكالسيوم في العظام يحتاج إلى فيتامين " د "، فإذا لم يتوافر هذا الفيتامين أصيب الطفل بهشاشة في عظامه، أو بلين في عظامه، موطن الشاهد في الموضوع أن شكل العظام على شكل شوكيات، و هذه الشوكيات تتداخل، وإذا تداخلت كونت جسماً متيناً لدرجة متناهية، والحقيقة أن عظم عنق الفخذ كما تكلمت قبل قليل: يتحمل هذا الضغط الهائل، قال تعالى:

﴿وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً﴾

[سورة البقرة: 259]

ننشزها، أي: نجعلها على شكل شوكيات متداخلة حيث تكون متينة جداً وقاسية جداً.

المذيع:

فضيلة الدكتور محمد، تحدثنا عن العظام بشكل موسع، أو بشكل عام، ولكن إن دققنا في صنع الله، وفي العظام بالذات، وأخذنا مثلاً اليد، فكيف تحدثنا عن بنائها ؟

الأستاذ:

مثلاً لو تصورنا أن هذه اليد بلا مفصل، كيف نأكل ؟ الأكل مستحيل، بشيء من الطرافة، لابد من أن ننبطح على الأرض، وأن نأكل الطعام عن طريق اللسان فقط، كالقطط، هذا المفصل يجعل قدرتك على تناول الطعام

يسيراً، هذا المفصل داخلي، لكن مفصل الرجل خارجي، هذا نحو الداخل، تلك نحو الخارج، هذا المفصل يتحرك في كل الاتجاهات، هناك من يقول: إن الحضارة الإنسانية أساسها هذا الإبهام، هذا الإبهام يقوم بأعمال، تصور حاول أن ترتدي ثيابك من دون إبهام، مستحيل، الإبهام يقوم بدور، الأصابع بدور، السلاميات بدور، الرسغ بدور، الكتف بدور، يوجد شيء دقيق جداً، إنسان أحياناً يغضب يمسك ابنه من يده، ويرفعه بعنف، لو أن الأربطة التي ربطت فيها اليد مع الجسم لم تكن مدروسة لخلعت يده، ويد الطفل مرتبطة مع الجسم لا بأربطة تحميه من أن تنخلع عند حمله فقط عند الغضب منه، لأن الشد السريع يضاعف المقاومة تقريباً، فالإنسان مربوط ربطاً محكماً، الآية الكريمة:

﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً (28)﴾

[سورة الإنسان: 28]

لو فكر الإنسان في عظم الرسغ، و كيف أنه يتحرك بكل الاتجاهات، وفكر في عدد الأصابع، وفي السلاميات، وفي الإبهام بالذات، وفي هذا المفصل الداخلي، وفي حركة مفصل الكتف، لرأى العجب العجاب، إن هذه اليد فيها شبكة أعصاب، وشبكة أوردة، وعضلات، وأجهزة عالية جداً، فالله عز وجل دعانا إلى أن ننظر إلى خلقه، وإلى كمال خلقه، كي نتعرف إليه أكثر فأكثر.

المذيع:

ما هي السلامية ؟

الأستاذ:

هذا العظم الذي في الأصابع، كل إصبع لها عدة سلاميات، قال العلماء: في اليد خمس أصابع، وفي كل إصبع ثلاث سلاميات، إلا الإبهام، فهو مكوّن من سلاميتين، وهنا السر، ربما لا تصدق أن حضارة الإنسان التي يزهو بها متعلقة بهذا الإبهام، والإبهام مما يتفرد به الإنسان دون بقية المخلوقات، على السلامية الثانية في هذا الإبهام يرتكز وتر مع عضلة قابض طويل، يطوي السلامية الثانية، فيعطي الإبهام رشاقته ودقته التي يتفوق بها الإنسان على سائر المخلوقات، بسبب دقة بناء اليد انطلقت هذه اليد لتؤدي مهمات لا حصر لها، لولا هذا الإبهام لما كان لهذه الأصابع من قيمة، جرب أن تكتب من دون إبهام، أو أن تخيط من دون إبهام، أو أن ترتدي ثيابك من دون إبهام، أو أن تعمل على آلة دون إبهام، فإنك بالتأكيد لن تستطيع شيئاً، وهذا صنع الله الذي أتقنه.

إن مفصله الكروي يعطيه المرونة الفائقة، والسلاميتان الاثنتان مزودتان بما لا يقلّ عن خمسة أوتار مما يمنحه الحركة برشاقة في كل الاتجاهات من البسط والقبض، والتبعيد والتقريب، والدوران والإمساك والمقابلة، لو أن ضارباً على جهاز الحاسوب جلس ست ساعات يضرب على أزراره لبذل هذا الإبهام جهداً يساوي المشي على قدميه أربعين كيلو مترًا، وهو لا يدري، قال أحد العلماء الغربيين: هذا الإبهام العجيب هو الذي فتح لنا هذا العالم العجيب، فزاد معرفتنا بالله عز وجل، وعظمته، ووحدانيته، وإن هذه الأداة العجيبة فيها مجموعة من العظام والأوتار والعضلات، والأعصاب والشرايين، والأوردة والعروق الليمفاوية، في اليد سبعة وعشرين عظماً، وثمانية وعشرون مفصلاً، وثلاث وثلاثون عضلة، أما عظام الرسغ فسبعة، وهذا الرسغ أيضاً يعطي اليد الحركة في كل الاتجاهات، ولولا هذا الرسغ لما كان لهذه اليد من معنى، ولولا أنها باتجاه واحد لفقدت معظم خصائصها، تمر شبكة سقي وتروية دموية من أبدع ما خلق الله عز وجل، وتصبّ هذه الشبكة في نهرين عظيمين على حافتي الرسغ في شلالين متعانقين متضافرين، يتوزع عن الوريد والشريان شبكة دقيقة جداً في اليد، ففي أي مكان وضعت رأس إبرة يخرج الدم، معنى ذلك أن هناك شبكةً دقيقةً جداً، وأما المنظم فهي شبكة عصبية محكمة

متدفقة من ثلاث كبلات، أعصاب المتوسط، والزندي، والعقبري، تستقبل الحس، وتوجه الحركة، وهذا نظام إرادي، ونظام لا إرادي مرتبط بالفعل المنعكس الشرطي، لو درسنا هذه اليد لوجدناها آية من آيات الله عز وجل، هذه الحضارة، وهذه الصناعات، وهذه الآلات لا معنى لها من دون يد، والله ﷻ كرم الإنسان بهذه اليد، وهذه من أقرب الآيات لدينا، قال تعالى:

﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (21)﴾

[سورة الذاريات: 21]

المذيع:

إذاً أيها الإخوة والأخوات، في نهاية هذه الحلقة ونهاية هذه الحلقات لا يسعنا إلا أن نشكر فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي، الأستاذ في كلية التربية في جامعة دمشق على سعة صدره للإجابة عن أسئلتنا حول تفسير آيات الله الكونية في القرآن الكريم، وفي السنة النبوية الشريفة، وطبعاً الإجابة عن أسئلتنا إن كانت علمية منها أو شرعية في هذه الحلقات.

أيها الإخوة والأخوات، إلى حلقات قادمة من هذه البرامج التي نكون فيها، ويشرفنا فيها فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي، نستودعكم الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

والحمد لله رب العالمين

الفهرس

الحلقة 01 – 30 : مقدمة 1 1

الحلقة 02 – 30 : مقدمة2 13

الحلقة 03 – 30 : الله الذي رفع السماوات 24

الحلقة 04 – 30 : مواقع النجوم 34

الحلقة 05 – 30 : خلق الإنسان – جهاز المناعة 44

الحلقة 06 – 30 : التيموس 62

الحلقة 07 – 30 : البعوضة والنمل 72

الإعجاز العلمي – الحلقة 08 – 30 : النحل 83

الإعجاز العلمي – الحلقة 09 – 30 : ماء زمزم 92

الحلقة 10 – 30 : تزكية الذبيحة – الدم المسفوح 104

الحلقة 11 – 30 : سلوك النبات 114

الحلقة 12 – 30 : البرزخ – الحجر المحجور.....127

الحلقة 13 – 30 : التربة وماتحتويه – الزنجبيل 136

الحلقة 14 – 30 : تيارات البحار 148
الحلقة 15 – 30 : وردة كالدهان 157
الحلقة 16 – 30 : الكبد 168
الحلقة 17 – 30 : الساعة البيولوجية 186
الحلقة 18 – 30 : العقرب 199
الحلقة 19 – 30 : حليب الأبقار 209
الحلقة 20 – 30 : القلب 221
الحلقة 21 – 30 : الكون ومداراته 235
الحلقة 22 – 30 : الحمام الزاجل 246
الحلقة 23 – 30 : المشيمة – السائل الأمنوسي 255
الحلقة 24 – 30 : التمر 270
الحلقة 25 – 30 : الخيل – الزرافة 279
الحلقة 26 – 30 : دودة القز – العنكبوت 287
الحلقة 27 – 30 : السمكة الطبية 298

الحلقة 28 – 30 : قرحة السرير 308

الحلقة 29 – 30 : الطب في الإسلام 317

الحلقة 30 – 30 : العظام 331